أحمد كلي ولد الشيخ سيدية

مسار من المسارات

ترجمة

باب ولد هارون

الجزء الأول

دار المستقبل
للنشر والتوزيع
القاهرة - مصر

مسار من المسارات

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الناشر

دار المستقبل للطباعة والنشر

(16 شارع حسن الصياد – جسر السويس)

رقم الإيداع بالمكتبة الوطنية بموريتانيا:

2021 /

ISBN: 978-977-280-80-52

الطبعة الأولى: **2021**م

أحمد كلي ولد الشيخ سيديه

مسار من المسارات

ترجمة

باب ولد هارون

الجزء الأول

توضيحات

﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزُّمَر: 62] صدق الله العظيم. لقد شاء سبحانه وتعلى أن أولد في ضواحي أبي تلميت، تلك القرية التي أسسها جدي الأكبر في صدر القرن التاسع عشر الميلادي. سُلِّمتُ بعد مولدي لجَدَّيَّ عبد الله والشانه اللذين من أجلهما قررت خوض غمار هذه السطور. أتضرع إلى الخالق الجبار أن يطيل حياة المذكورين فيها من الأحياء وأن يجعل الجنة مثوى الراحلين. وكما قيل: " لم يعودوا موجودين لكنهم باقون بيننا، يسكنون قلوبنا، مصرين على الحياة".

موتانا يستحقون علينا أكثر من النسيان، إذ لا ينبغي أن تكون استحالة الكلام عليهم مبررا لصمتنا. من الحكمة التزام الصمت عنهم في الوقت الذي كان لدينا العديد من الثوابت والعزة. أما الآن وفي خضم تسارع وتيرة الزمن وتفاقم الأحداث، فقد أصبح ملحا أن نتذكرهم وأن نستدعيهم.

أرجو أن يساهم هذا العمل في إبقائهم في قلوبنا لفترة أطول وأن يخلد ذكرهم بعدنا.

وهذه أيضًا فرصة لدعوة القارئ للترحم على أرواحهم. إذا تحقق ذلك فإن هذا العمل لن يذهب سدى، أو كما أحدث نفسي أحيانًا، فإنه سيكون أقل تفاهة.

من الصعب بالنسبة لي تصنيف هذا الكتاب الذي يمكن اعتباره نقطة التقاء بين السيرة الذاتية والتنويه بأشخاص محببين.

يمثل سلفنا عالما آخر، عالم الأمس الذي لم يكن سهلا، حيث عرف العديد من النزاعات التي مزقته وكان قاسيا على من لا يستطيعون الصمود.

في مجال السياسة، لم يكن إتقان التصدي للخصم كافيا، بل من الضروري أيضا احتواء الأهل وكبح جماحهم. في جميع الأحوال، لا بد من معرفة طرق التأهب

للمعركة وكيفية المواجهة.

بكل صراحة، فإن الأمر يتعلق بي. وكما يقول مونتين Montaigne، " فأنا أمثل كُنْهَه". ومع ذلك، فإنه ليس انتقاما من مسار مهني غير مرضي، ولا من آخر، عدواني، في مواجهة الغير. كلا، بل على العكس من ذلك. كما أنه لا يمثل بزوغ نزعة أدبية ملهمة مفاجئة، ولا يعدو محاولة متهورة لمواجهة الوقت والنسيان.

مع مرور الزمن دون رؤية الأعزاء، يمكن بسهولة أن ننسى المكانة التي كانوا يتبوأونها. لا أتذكر كل شيء عن أهلي، ما عدا سعادتنا العارمة وصورة الكتب المتراكمة التي تظل دائما محط الأنظار وفي متناول اليد. يُلجأ لها أحيانا لحل معضلة دينية أو قراءة مقطع ذي دلالة خاصة أو قصيدة، يُفضل، بدافع الحياء، أن تكون لغير القارئ.

يدفع الإلهام والمعرفة الجميع إلى الأعلى، رغم كل العوامل المقاوِمة. كان رفاق عبد الله ذوي وجوه ملهمة، يطغي عليها تفاؤل غير واقعي. كما أنهم يُجِلُّون الكتب وكل ما هو مكتوب.

يعتمد عبد الله بالأساس على القرآن ورجاء الله، ولديه نزعة قوية للنضال وقت الشدائد، مما حدا به عدة مرات لرفض الخضوع للإدارة الفرنسية.

يدرك الذين يعرفون جدي مدى تجذر البعد الإنساني لديه. فمهما تكن الظروف وحتى بمحضر الأمراء والسلطات الفرنسية، فإنه يفكر دائما بالضعفاء، من أطفال ومرضى وبسطاء لا يهتم بهم أحد. كل ذلك والقرآن لا يفارق شفتيه.

وعيا مني بمحدودية مواهبي الكتابية، وحتى لا أنكشف أمام الجميع، فقد فرضت على نفسي الالتزام بالصمت وعدم الكتابة. كان ذلك أيضا بدافع الحياء، لإدراكي أن كلامي عنهم يتعلق في الحقيقة بي.

بعد تجاوز هذه الحواجز، كان من اللازم استحضار الذاكرة، فاجتاحتني ذكريات شتى.

يقول بودلير Bodelaire: "عندي من الذكريات كما لو كان عمري ألف سنة". كان هذا الشاعر وقتها قد طعن في السن.

إذا لم يبق إلا الذكريات، فذلك دليل على أننا على حافة القبر، إذ الحياة عبارة عن مشاريع وصراعات في كل يوم ولحظة.

أمام الصفحة البيضاء، كان علي الانتقاء والغربلة. وفي النهاية كانت الغلبة للعشوائية التي فرضت نفسها، تاركة الساحة لتزاحم المراحل والتجاهل التام لأي تسلسل زمني. لذا سأترك العنان المطلق للقلم، دون أي تقييد.

إن حياة أي شخص عبارة عن أشياء لا تكتسي في ظاهرها أهمية، لكنها تمثل في الحقيقة المرتكز الأساسي لكل وجود.

أخيرا أنوه إلى أنه لا شيء في هذا الكتاب مختلق، حتى لو كان محتواه ذاتيا بعض الشيء، إذ كيف يكون الشخص موضوعيا عندما يتعلق الأمر به وبذويه؟ أدرك أن الأشخاص العزيزين علي ليسوا سوى أناس عاديين، لديهم نواقص وعيوب، تماما كالجميع. لكن كيف يمكننا أن نتجنب المبالغة والبقاء على المسافة اللازمة؟ أين تكمن نقطة الاعتدال؟ كل هذه التساؤلات نابعة من رغبتي في توضيح هذا النص الذي يظل محصلة وقائع حقيقية.

وبالطبع، فإن كل الأحكام والتفسيرات صادرة مني، مما يجعلها ذاتية وقابلة للأخذ والرد. أدرك أن هذا الكتاب يعكس إلى حد ما الصورة التي أتمثلها عن نفسي. كما يُمكن أن ينظر إليه من زاوية البوح والاعتراف. وفي كلتا الحالتين، يمكن أن يخلو بعض الشيء من التزام الحذر، بل ربما تكون له مخاطر. غير أن الكتابة في نهاية المطاف هي المجال الوحيد الذي تستطيع فيه سيادة كل إنسان أن تتجلى على ما يظنه طي النسيان، قبل أن يستحضره فجأة.

أتمنى ألا أندم على كتابة هذه السطور أو على الإلمام بالكتابة أصلا.

المولد

لقد جعلني الخلاق الموجِد لكل شيء أولد عند عين السلامة، وتحديدا عند البلدة المسماة أيْتْنِيتَ، وهي عبارة عن عُقْلة غير عميقة ذات مياه غزيرة.

يقول محمد بن مولود بن داداه إن نقاط الماء هنا لها في الغالب أسماء بربرية وأن الأمر نفسه ينسحب على الغطاء النباتي وأدوات السقي، بل على كل ما يتعلق بالمجال الرعوي. لا تتميز المنطقة بشيء خاص. فهي بلدة رعوية بالدرجة الأولى، كغيرها، تنوء الأرض فيها بعبء تلبية احتياجات الإنسان والحيوان. تتشكل تضاريسها أساسا من كثبان رملية تفصل بينها قيعان ذات أشجار. في فصل الأمطار، تنبت الأرض بعض المنتجات الزراعية.

دارت حياتي كلها في هذا الوسط (الديكور). هنا يتفرغ الراشدون لأعمالهم، ويقفو النبات فصول السنة ويتعلم الصبيان القرآن العظيم ويمارسون ألعابهم. ليس من السهل الغوص في هذا الماضي.

عندما علم عبد الله بأني في طريقي إلى رؤية النور لأول مرة، عاد من أبي تلميت ولم يتوقف عن الدوران، مصحوبا ببعض رفاقه، حول الخيمة ـ مركز التوليد، تاليا القرآن العظيم، إلى أن تم الفرج.

طبقا للعوائد المعمول بها عندنا، يعيش الطفل الأسن من الأسرة مع جديه، وذلك ما حصل تماما بالنسبة لي. فور مولدي، تم إهدائي بصورة طبيعية لهما. فجدتي الشانه لم ترزق إلا بنات، مما جعلني مرحبا بي عندها وعند جدي عبد الله. كل حياتي دارت معهما.

منذ الأزل، يتمنى الأزواج في منطقتنا وغيرها من البلدان، على غرار العديد من الشعوب، أن يرزقوا بالذكور بدل الإناث. يظل السبب في تلك الرغبة غامضا بالنسبة لي، لكنه ربما يعود لأبوة آدم عليه السلام للبشرية، وهو من الذكور. إلا أن هذا التفسير لا

يبدو كافيا.

حدثتني الشانه أني ولدت مغشيا علي وأنها أغمستني في الماء لكي تعيدني للحياة. شاء الله أن أمتَنَّ بحياتي للماء. بعد هذه العملية وربما منذ تلك اللحظة، ستكون لي علاقة خاصة مع الماء. وحتى اليوم، فإن الماء يشغل كل تفكيري. فسعادتي تكمن في أن يكون في متناول يدي دائما بعض منه. لما ذا لم يحاول أي باحث أو مؤرخ كتابة تاريخ بلادنا من زاوية الماء؟ من المؤكد، رغم ذلك، أن الكثير من التحالفات والنزاعات مرتبطة به.

عندما أصبحت في وقت من الأوقات وزيرا للمياه والطاقة، قال لي عمي موسى، الخليفة العام لأسرتنا، محاولا تسليتي لما لاحظ إحباطي: *إن الماء حلم راود كل أجدادك*.

وفي أيامنا هذه، فإن الماء يستحوذ على تفكير كل الشعوب. ألا يقال إنه بالإضافة للثقافة، سيكون محرك نزاعات القرن الذي نعيش فيه؟ نشاهد أنه السبب اليوم في محنة الدول العربية. فعلى الخريطة الجغرافية، نلاحظ أن أيا منها، وبالخصوص في الشرق الأوسط، لا تتحكم في مجرى الماء الذي يتدفق فيها. فالفرات ينبع من تركيا والجولان تحت الاحتلال الإسرائيلي ومصر تتصارع مع دول منبع النيل. إن أهمية هذا النهر بالنسبة لها غير طارئة. ألم يقل هيرودوت Hérodote، منذ عصور سحيقة، أنها هبة منه؟ كان ذلك موضوع أول إنشاء يمتحن به الطالب الذي يلج السنة السادسة من التعليم الثانوي. بهذه المقولة، أراد هيرودوت بلا شك أن يشير إلى أن هذا النهر هو ماضي مصر وحاضرها، بل ومستقبلها كذلك. كان بوسعه أن يضيف أنه مُنشئ دولتها، تلك السلطة الضرورية لإدارة مياهها. معضلة الماء في قلب النزاعات الحالية في الشرق الأوسط، إذ لن تكفي التفاهمات الترابية ما لم تُؤخذ المصادر المائية بعين الاعتبار. فهذه قضية حياة أو موت ليس فقط بالنسبة للعرب، بل أيضا لإسرائيل التي تحتاج المياه للري وإنتاج الطاقة الكهربائية، والتي

تريد الاستحواذ عليها دون غيرها.

بالعودة إلى مولدي، فإن البقعة التي رأيت فيها النور لأول مرة عادية جدا. لكني أحب هذه البقعة من الأرض. صحيح أن السكان يفتقدون فيها الكثير من الأشياء، لكنهم شجعان وفي صراع لا ينقطع مع الطبيعة، مع الحياة.

يخيل إلي عندما أعود إليها أني أتماهى مع محيطي بكامله، بشريِّه وحيوانيِّه ونباتيِّه، وأن كل ما يحيط بي يتحدث إلي بطريقته ويستوقفني. لذا فإني أعشق حوزتي الترابية. فهي موطني وكل موريتاني يحب موطنه. بصورة أعم، أعتقد أن التعلق بالموطِن هو المدخل للتشبث بالوطن. فبلدة كل منا تحدد مواطنته وترفعها إلى مستوى الوطن، مما يحدونا لحب هذا الأخير وحب ساكنته كافة.

لحسن الحظ، فإن هذا التعلق بالبلدان يسري في العديد من مُواطنيَّ وأتصور أنه الخطوة الأولى نحو حبهم للوطن ومواطنتهم الصالحة.

وعلى كل حال، فإني أشعر حقيقة في بقعتي هذه أني في مكاني وعلى اتصال مع كل ما يحيط بي، من أشخاص وطبيعة. أحيانا أحس كما لو أني أتفاوض وأتبادل الآراء مع النبات وأن تواصلا غريبا يدور بيني مع الأشجار، أنها تعرفني وتعطيني أخبارها. في بعض الأيام، تحدثني أنها سعيدة وبصحة جيدة، بينما لا تخفي في أخرى نكدها وشكواها. المجال هنا مجالها، تماما كما هو مجال الإنسان والحيوان.

يستمر في كل يوم صراع لا هوادة فيه بين الأتربة والرياح والحياة، والنصر دائما حليف الرياح والرمل. في نشوتهما، يمحوان كل يوم آثار صراع الأمس. ربما يزيغان الأحياء عن طريقهم ويُقبران ضحايا العطش.

تتكرر هذه الظاهرة كل سنة عند طلوع الثريا والدبران. في تلك الأيام، نشاهد خداع الطبيعة للإنسان وتذكيرها له بضعفه وتفوقها عليه. السيناريو اكلاسيكي جدا. يبدأ النهار جميلا وباردا. يزاول الرجال أعمالهم، متناسين المخاطر، فيخرجون دون زاد من الشراب. فجأة يتغير الطقس وتعلو الأفقَ رياح ساخنة وقاتلة تجعل الرؤية

معدومة. ترتفع الحرارة إلى مستويات قياسية. وبدون محددات، يفقد السائر بوصلته، فلا يدري أين يوجد، وكثيرا ما يموت جراء ذلك.

أعرف الكثيرين ممن رحلوا عنا بهذه الطريقة. لكن عزاءنا فيهم أنهم ذاهبون إلى الجنة، لأننا معشر المسلمين، نؤمن بأن الموت بالعطش يمحو السيئات جميعا، ربما لفظاعته. يمكن لظاهرةٍ مثلِ هذه الأيام أن تفتك بالبهائم التي تضل طريقها فتموت عطشا، رغم ملَكتها الاهتدائية.

كان مصدر الماء عند أيتنيتَ يغطي متطلبات الإنسان والحيوان والنخيل، إذ كانت هنالك واحة ذات تمور لذيذة أهداها محمد سالم ولد العتيق لعبد الله.

كان هذا الوجيه الشمسدي (نسبة إلى آل شمس الدين، المعروفين بالسماسيد) يعيش من تجارته في بتلميت، مرتبطا بصداقة متينة مع أسرتنا. رغب في البقاء معنا حتى النهاية، ولما تقدم به العمر، لم يستجب لضغوط ذويه الذين راودوه للذهاب معهم إلى أطار، مصرا على البقاء معنا حتى وافاه الأجل المحتوم عند بتلميت ودفن بالبعلاتيَّ.

ورث عمي إسحاق هذه الواحة ليمارس عليها هوايته المفضلة: العمل اليدوي والزراعة. لم يغير ذلك من سلوكه الراقي كأستاذ متميز يلقي دروسه خارج الحي، مفضلا المشي في تلك الأثناء، على طريقة أحد أسلافه البارزين. يقول دون أدنى مركب نقص بأنه متخصص في علوم القرآن والنحو العربي.

لم يكن شيء يستفز إسحاق أكثر من الظلم الذي يُخرجه عن رشده، وهو ما جعله محببا لدى مخالطيه.

هنالك جيل كامل من نخبنا المعاصرة استفاد من تعليمه، حافظ على التعلق به واحترامه. مسؤولون كبار ورؤساء وزراء سابقون وقادة جيوش كانوا يُسرون بالمشي إلى جنبه في الطرقات، مجسدا التواضع وناثرا حوله الطيبة. يزعم البعض أن يديه معبأتان بطاقة كهربائية مستقرة يسري إشعاعها في كل من لامسته. إنه سعيد من بين

السعداء المغمورين برحمة الله.

لو سئلت عن تاريخ مولدي لكان من المستحيل علي إعطاء إجابة صحيحة. لست الوحيد في ذلك، حيث أن تواريخ الميلاد لدينا ينبغي أخذها بقدر من الحيطة.

سئل الرئيس المختار ولد داداه بمحضري عن نفس الموضوع. أمام الشك المبطَّن في السؤال، أجاب بأن كل أهل بتلميت مولودون سنة 1924، عام وفاة جدنا باب، وهو التاريخ الوحيد المحقق.

فيما يخصني، كانت لي تواريخ ميلاد عدة. في مدرسة حينا، استخرج معلمنا لكل واحد منا بطاقة ازدياد. وثائق إلى حد ما غير دقيقة. تحمل وثيقتي تاريخ 1944. أثناء وجودي في مدرسة افيدرب *بسانت* الويس Saint Louis، *وعندما* أردت خوض امتحان السياقة، لا حظ ممتحني حداثة سني فقرر استفسار سلطات أبي تلميت. عندها قرر ريني غارنو René Garnaud، الحاكم الفرنسي الذي يترأس محكمة ما هنالك، أني مولود سنة 1942. هكذا زاد عمري بسنتين. احتفظت بهذا التاريخ إلى غاية الإحصاءات الأخيرة التي جعلني سبق قلم فيها مولودا في بوغي عام 1945. تم لاحقا تصحيح المكان، دون التاريخ. أين تكمن الحقيقة؟ الله وحده يدري.

تعطي السرعة التي تتعاقب بها الأحداث الانطباع لكل منا أن له عمرا زائدا على عمره الحقيقي. لدينا شعور أكثر حدة بالزمن الجاري، مما يجعل المرء يعتقد أنه عاش أكثر من الواقع. أمام جدول التواريخ المفصلية التي طبعت تاريخنا المعاصر، يصاب المرء بالدوران: نهاية الاستعمار، استقلال البلاد، وقوف الإنسان على سطح القمر، التحولات التكنولوجية، الخ. كل ذلك بسرعة ووتيرة تفضيان إلى الغثيان.

كانت علاقتنا بالأحداث الماضية والحاضرة تمر عبر الروايات الشفوية والكتب والجرائد، لكن دوما بالتزام السكينة والمسافة. في الوقت الراهن، ننجرف كغيرنا في الزوبعة، رغما عنا أحيانا.

وعلى كل حال، فهذا العالم الجديد عالمنا. وهو بالضرورة يحتاج رؤية جديدة، بالأساس من مجتمعنا وشبابنا. فالاثنان يناديان بتلبية مطالب مشروعة وملحة، ينبغي البحث لها عن حلول عبر مقاربة جديدة هي الأخرى، سبيلا لخلق مستقبل أفضل، جديد هو الآخر.

المدرسة القرآنية

يشكل تعلم القرآن العظيم أكبر هاجس للوالدين. في سبيله، يحتدم التنافس ليس فقط بين التلاميذ، لكن أيضا بين الأسر.

من اللازم أن نستيقظ وسط الليل للحاق بمقر معلمنا، تحت خيمته، ويود كل منا المجيء قبل زملائه ليتسنى له الانتهاء من واجبه قبلهم.

في جنح الظلام وتوقيا للدغ الحيات ولسع العقارب، كنت أسلك أحيانا الطريق على صهوة حمار. على ضوء نار الخشب، كان علينا أن نكتب حصتنا اليومية وأن نستعرض درس الأمس، قبل مراجعة السور المتعلَّمة قبلُ، لإتقان حفظها. بعد إكمال هذا البرنامج، كنت أسعد بالنوم قبل قدوم الآخرين. لم يكن معلمنا يضربنا أثناء التعليم، لكنه يمطرنا بالتهديدات وعبارات التقريع.

يتم التكفل التام بأعباء المعلم وتُعطى الأولوية لتغطية احتياجاته ليتفرغ لمهمته. في كل قسمة، يكون نصيبه محددا سلفا، سواء تعلق الأمر باللحم أو اللبن أو أي طعام آخر. في حال تنقل الحي، يمنح ركوبا جيد الترويض، قبل الآخرين. وتجدد له الملابس والمستلزمات الأخرى في فترات منتظمة.

في حياتنا كأطفال، لا نبالغ إذا قلنا إن يومي العطلة الأسبوعية يُترقبان بشغف شديد. يضاف لهما يوم عطلة آخر بمناسبة قدوم الأخ الأكبر لمعلمنا، فيغتنم الأخوان تلك الفرصة لتبادل الأخبار وربما لتسوية بعض القضايا العائلية العالقة. نحتفل أيضا بيوم من الحرية إذا مات أحد سكان الحي، لأن المعلم هو الذي يشرف على مراسيم الدفن، أو فقط لاحترام حداد الأسرة المكلومة. ربما للسببيْن معا.

فيما يخصنا كأطفال، كنا نتمنى وقوع موت يومي أو أي حدث مهما تكن خطورته، إذا كان من شأنه تحريرنا للتفرغ للألعاب.

بعد إكمالي حفظ القرآن العظيم بصعوبة، كان من اللازم القيام ببعض

المراسيم: خضاب الأيدي بالحناء والتضحية بشاة ضأن. تم إيثار أصدقائي في المائدة. وكمكافأة، تلقى المعلم بقرة حلوبا وجمل ركوب أنيق.

ومع الأسف، نتخرج من هنا جاهلين بصورة شبه مطلقة كل شيء عن هذا الكتاب المقدس. فتفسيره ليس من مقرراتنا، تماما كالثقافة الإسلامية العربية المرتبطة به. يتطلب ذلك دراسات أعمق، لم أتمكن من القيام بها.

لم يكن تقشف المدرسة القرآنية ليحطم الأفراح اليومية. نظل في الحياة التي هي في نفس الوقت حياة الأطفال وحياة الراشدين. تعطي كل مجموعة معنى لنمطها وتتعلم من الأخرى.

فالشبان يعيدون للكبار الصورة التي كانوا عليها، وهؤلاء يعلموننا المُثل الراشدة التي يعتقدون أنهم حملتها. كان الدين والثقافة والمعارف البدوية توابلَ الحياة اليومية بالنسبة للكل.

كان معلمنا تقيا ومحترما من الجميع. وهو الرجل الوحيد الذي لا يغادر الحي أبدا بسبب مسؤولياته. لذا كان الضيوف المولعون بالمعرفة ينزلون عنده. لم يكن بحال من الأحوال عاشقا للموسيقى، لكن الموسيقيين العابرين ينظمون حفلاتهم المسائية عنده، أمام كل الساكنة، فتهديهم جدتي جملا أو قطعا من القماش تكريما لهم على ذلك.

من غير المألوف أن تجري الأفراح التي ينعشها المطربون في منزل معلم القرآن، لكنه المكان الوحيد الذي لا يستطيع الصبية فيه الإخلال بالحفلة. كنا نختبئ غير بعيد، في النبات أو خلف السياج الشجري. من وقت لآخر، وعندما يكون التأثر بالموسيقى في أوجه، يلقي المعلم عبارات استحسان: *هَحْ، ذاك مكروڤ*، بمعنى: هذا من الكمال بمكان.

يتوفر الحي على موسيقييه الخاصين به، لا يغادرونه أبدا. لهم وظائف أخرى ولا يتعاطون المزامير أو المديح النبوي إلا في وقت متأخر من الليل، بعد أن ينتهوا

من مهامهم اليومية. في صمت الليل، ينصت الكل ويسمع رواياتهم التي لم تكن دوما دقيقة، عن سيرة نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ. كانت أخطاؤهم وأغلاطهم التاريخية تزعج العارفين. في الصباح، يمازحهم عمي أحمد، مشيرا بطلب الصفح من الرسول والدعاء والتوبة لله، لتجنب سخطه من أكاذيب ليلتهم المنصرمة.

مدرسة الحي

بعد الدراسات القرآنية، ها هي مدرسة الحي المتنقلة. أقول متنقلة لأنها تسير مع الماشية بحثا عن أفضل الكلأ. هكذا نبقى في وسطنا الطبيعي. غبطة كبيرة أن يظل المرء حيث ولد. كانت تلك إحدى بواكير تجربة مدارسَ من هذا النوع في موريتانيا.

مثَّل الانتساب للمدرسة تحريرا بالنسبة لنا من الخضوع التام للراشدين وأعطانا الانطباع بأن وقت الخروج من الطفولة إلى طور الشباب قد حان.

في البداية، لم تكن المدرسة إلا شجرة نجلس في ظلها على أديم الأرض دون فراش. كان ذلك تقليدا عتيدا لمدارسنا القرآنية وتجسيدا غير مقصود للطريقة التربوية الموغلة في القدم التي ينوه بها أرسطو. ألا يقول هذا الأخير إنه لا يُعرَف حقيقة إلا ما يمكن تدريسه في الخارج، في الهواء الطلق؟ كان المعلم يستجيب لهذه المعايير. صفر اليدين من كل شيء، كان أغلب تعليمه شفويا، لا تزال عباراته ترن في آذاننا. في بلادنا، يتم تداول جزء لا يستهان به من المعارف بالطريقة الشفوية ذات الأهمية البالغة، تجسيدا لمقولة: *يؤخذ العلم من أفواه الرجال*.

لعب عوز مدرستنا دوره لأنه أبقانا على الدوام فيما هو أساسي، فلم يكن هنالك ما يخطف الانتباه. هكذا لم يكن لمدرستنا في البداية أن تُحدث قطيعة مع مدارسنا التقليدية، الموسومة بالمحاظر. كانت اللوازم نادرة، إلا أن المعلم يتوفر على صفارة للتنبيه على وقت الدخول. يتعجب المواطن من الحدة غير المألوفة لهذا الصوت الذي يسمعه الكل. قبل هذه الإشارة الصوتية، يكون حلب البهائم قد اكتمل. بالموازاة مع ذلك، ينتهي بعض التلاميذ من الدفع بالعجول والخرفان والجِدى صوب المراعي.

بعد أشهر معدودة من افتتاح المدرسة، حدثت تطورات ملموسة. أصبحت لها خيمتها الوبرية وسبورتها وطاولاتها القابلة للطي. المعلم وحده يستخدم الطباشير

الحقيقية. أما نحن، فلدينا ألواح فردية، لكن لم يكن عندنا ما نكتب به عليها. لذا كان علينا أن نكتفي بقِطَع من الطين سريع التفتت، نلتقطها من الأودية التي تكثر فيها، طافية على السطح. تسمى هذه الصخرة محليا *بتافراجيتْ*.

في وقت قصير، تم شراء جملين لنقل المدرسة وأثاثها، أحدهما يقل الخيمة وركائزها وأعمدتها، والثاني الطاولات والسبورة.

في البداية، ترددت الشانه كثيرا في قبول تمدرسي، لكنها انصاعت لتركي ألتحق بزملائي، مقتنعة تماما أن ذلك سيكون آخر عهد لي بحفظ القرآن وأني سأنساه بسرعة. ومع الأسف، فإن المستقبل أنصفها، على الأقل جزئيا.

لم نكن نتوفر على كتب ومعظم ما نتلقاه كان عن طريق معلمنا، الشيخ ولد محنض، الذي نسميه *مُونْسَيَ*، أي سيدي. يساعده في هذه المهمة كتيب دافَسْنْ Davesne، المرجع المدرسي الشهير في تلك الحقبة. يحاط الاقتراب من هذا الكتاب النادر باحترام فائق وبكثير من التدابير، كما لو تعلق الأمر بكتاب مقدس.

ما هو أكيد أن رغبة عارمة في التعلم، لم أجد لها لحد الساعة تفسيرا، تسكن كلا منا، رغم أن المسيرة الوظيفية والمصعد الاجتماعي لم يدورا بخلدنا. تعليم مجاني، لذاته فقط، وبدون أهداف؟ ليس الأمر تماما كذلك. جاذبية لغة جديدة، لغة الأقوى حينها؟ احتمال وارد.

تتم المتابعة التربوية حسب طقوس صارمة لا تتغير. فجأة ينزل السيد لَنوبلْ Le Noble، المكلف بالمدارس المتنقلة، عن جمله مرتين في السنة، خلال الدراسة. لا يصطحب مرافقا أو دليلا، لتعوده على الطريق. يحمل معه وعاء مليئا بالحلويات والبسكويت، وربما كان ذلك جزء من مهمته التربوية التفتيشية. بالرغم من نهجه البسيط والمألوف، يستحوذ الارتباك على كل التلاميذ. المعلم وحده يحافظ على كرامته، ظاهريا على الأقل، ويظل هادئا.

بالنسبة لنا، فإن بقايا شتات أفكارنا وانتباهنا تسير نحو هذا الوعاء ومحتوياته.

مع الاستعجال الذي يسهل تصوره، ننتظر فتحه واللذة المتوخاة من ذلك.

كان التعليم المقدم من طرف مدرسنا مختصرا، لكنه صلب. على سبيل المثال، لم يكن لنا أن نتعلم التاريخ أو الجغرافيا. فتاريخ فرنسا البعيدة وجغرافيتها ظلا مجهولَيْن هنا وغير مقررَيْن تحت الخيمة. لذا لم نسمع قط عبارة " أجدادنا الغوليين". على الجانب الآخر، لم يكن لبلادنا، مع كامل الأسف، تاريخ أو جغرافيا يتداولان في المدارس الجديدة. في الحقيقة، كنا في ذلك التعليم بلا جنسية، لا فرنسيين بالكامل ولَمَّا نصبح بعدُ موريتانيين.

يركز المعلم تماما على الباقي. إذا لم يكن الحساب يطرح إشكالات، لكونه مادة أساسية بالنسبة للطفل، وتحديدا إبان القسمة في الألعاب، فإن الأمر مختلف فيما يخص ا للغة. هنا يفسد كل شيء.

عندما نفتح خلسة الكتاب الوحيد المتوفر، نبقى مشدوهين أمام *كوخ بيراما Birama* المشتعل، تماما كما يقع لنا عندما يفتحه المعلم على *قصة دان Dan*.

ومع ذلك، لم يكن الأمر مجرد متعة، إذ كان لزاما علينا أن نحرر يوميا وبأسلوبنا الخاص نصا يسميه الشيخ إنشاء حرا. عذاب حقيقي. كنا نجهل كل شيء عن اللغة، مفرداتها وقواعدها. لذا يسهل تصور ما نكتبه ونرويه.

لم تتوقف الصعاب عند هذا الحد. ينبغي أن نضيف لها أن الأيام في الحي تتعاقب وتتشابه؛ أن كل شيء عادي جدا وأننا لو قدر لنا أن نكون علماء، فلن نجد شيئا نقصه. لذا كان سطران، أو ثلاثة، كفيلان بإفراغ خزاننا. لملء الفراغ، كان علينا أن نستدعي أخيلتنا لتغذية رواياتنا التي لم يكن لها أن تدَّعي أي مستوى من الجودة. كانت ببساطة مستعصية على التصنيف، مجرد خزعبلات. ومع ذلك، كنا نتقدم صوب الإتقان وكان المجهود واريا للعيان. لم تكن القفزة قد تمت، لكن التحفز الذي يسبقها كان على قدم وساق.

هنالك تفتيش سنوي آخر، يقوم به المدعو روبينه Robin، الذي يأتي بالسيارة

من سانت الويس Saint Louis. يحرر تقريرا عن مهمته ويقدمه لمعلمنا لإبداء ملاحظاته قبل الإفراج عنه رسميا. كان الشيخ يقرأ لنا منه فقرات منتقاة بكل تأكيد.

أتذكر أنه ورد فيه مرة أنه في موريتانيا، يوجد معلمان حقيقيان: صاحبنا وولد بُبوطْ.

لم يكن الشيخ معلما متغطرسا أو منزويا عن الناس، صعب المراس. على كل حال، لم تكن الحياة في الحي، حيث الخيام مفتوحة، لتسمح بذلك. كانت خيمته العائلية مبنية على الدوام على بعد أمتار من المدرسة، وإثر كل تنقل، فإنهما تبقيان متجاورتين.

كنت أزوره مرارا لمعرفتي القديمة بأسرته. كان أبوه محنض، عميد الأسرة، محترما جدا ومعروفا في كل المنطقة. له ذاكرة قوية تمكنه من حفظ قصيدة رنانة من إنشاد واحد. رحمه الله برحمته الواسعة. وبوصفه عالما مرموقا، كان يؤم الصلاة في المناسبات الدينية، شديد القرب من عبد الله، كما كان من أبيه باب.

بمناسبة عيد الأضحى، ينتظر الكل إشارته لذبح أضحيته.

عاش هو وابنه الشيخ في نفس الخيمة الأسرية المقسمة جزأين، يفصل بينهما ساتر من القماش مشدود بين الركيزتين. هنا، كان بوسعه أن يدخن دون أن يراه والداه، لوجوده خارج مجال رؤيتهما. سوء أدب ما كان ليقام به تحت أي ذريعة.

يلتحق به بعض الأصدقاء هنالك. مدخنين مثله، يتبادلون غليون التبغ كما يتبادلون كأس الشاي. مهما يكن صغر حجم هذا الأخير، فإنه قد يكفي شخصين أو ثلاثة. كانت اللقاءات حول كأس الشاي أو الغليون مناسبة لتبادل الأخبار أو المساجلات، لكن بطريقة أخوية، على شكل مقطوعات شعرية قصيرة.

كان التبغ والشاي منتجيْن نادريْن مطلوبيْن بشغف في الحي. رغم حداثتهما، فإنهما كانا، ولذات السبب، ممنوعين في بعض الأوساط الموغلة في المحافظة. توصي هذه الأخيرة بالامتناع الطوعي عنهما وتذهب إلى حد تحريمهما تحت ذرائع

مختلفة، لكن إضرارهما بالصحة أو بمحفظة النقود لم يكن من بينها. يُتحفظ منهما فقط لحداثتهما التي يلزم الحذر منها، تماما كما يتحفظ من كل جديد.

لم تكن الآثار القاتلة للتبغ معروفة في تلك الفترة كما هي اليوم. بالموازاة مع ذلك، كانت السعادة الغامرة الناجمة عن تناول كاسات الشاي الثلاث أو حصة التبغ تشجع أكثر فأكثر على تقليد متعاطيها.

لم يكن ذلك ليقع دون إثارة جدل ديني وأخلاقي تناوله جدي الأكبر، سيدنَ، في إحدى قصائده البديعة في مجالها.

بخصوص الشاي، برر تناوله بأن كل متعة حلال للمسلم ترضي الله تعالى. أقوال شاعر يقدر هذا المشروب. عرف سيدنَ الشاي بمناسبة سفر إلى شمال البلاد عاد منه بأدوات تحضيره. لذا فإنه يتعاطاه مع أقرانه في ساعات المرح. أثارت قصيدته التي تعتبر نشيدا للشاي وللزمالة المحيطة به جدلا كبيرا بين محبي الشاي ومدخني التبغ. يحاول كل من الفريقين جذب الغطاء لصالحه، معتمدا على قصيدة سيدنَ لتبرير سلوكه وملذاته. أسأل الله أن يعفو عن الجميع.

تكمن ميزة الإنتاج الفني في استطاعة كل إنسان أن يجد فيه على الدوام ما يبحث عنه، مما هو شخصي بالنسبة له. يستخدم الشعر أيضا لهذا الغرض، كما أنه يساعد المرء على تحمل ظروفه التي غالبا ما تكون صعبة في بلادنا.

كنا ننصت مغتبطين ونحن ما زلنا أطفالًا "لشعر" من نوع آخر، من نثر حكايات ألف ليلة وليلة. تقرأ لنا منه خالتي ميمونة مقاطع، مع الحرص على تجاوز الكلمات والعبارات التي لا يروق النطق بها في الملأ. كانت الرواية، بالرغم من تشويهها وبترها، تغمرنا بالسعادة. يسيل لُعابنا، على غرار كلب ابافلوف Pavlov، عند ذكر الموائد الشهية ونعتقد أننا نشتَم رائحة النكهة المثارة.

لم يكن استدعاء المدن البعيدة والغامضة غائبا عن المشهد. ألم تحدد السعادة باعتبارها كامنة في قراءة ألف ليلة وليلة، ثم نسيانها للتمكن من قراءتها مجددا؟

لمتعتهم، كان المعلم وأصدقاؤه فقط يشربون الشاي ويدخنون معا. كان هو أيضا يقرض الشعر في أوقات فراغه، كما هو الحال بالنسبة لكافة ءابائه. يسترسل فيه باللغة الفرنسية، دون أن يتوفر لذلك من الأدوات إلا على شهادة الدروس الابتدائية. سيكون له غيرها فيما بعد. لكنه حتى في تلك الفترة، كان يقدم لنا إنتاجه الشعري في شكل محفوظات لم أعد للأسف أستحضرها اليوم. كان متهورا بعض الشيء، يصل به الأمر حد مساجلة فيكتور هيغو Victor Hugo ، أمير الشعراء. هكذا تفتقت عبقريته عن قطعة يصف بها عاصفة مطرية نزلت على الحي، لم أعد أتذكر منها سوى الكلمات التالية:

Les troupeaux avancent
Les tentes balancent
Les hommes s'élancent
Entrent les bagages ...
La pluie cesse et quel plaisir
L'eau nous laisse enfin sortir .

بعد ثلاث سنوات من التمدرس في مهدنا، كان علينا أن نهاجر للالتحاق بمدرسة أبي تلميت والمتابعة المباشرة للفصل المتوسط.

عند مغادرة الحي، كنا نتقن الكتابة والقراءة، كما كانت لدينا مبادئ من الحساب، وهي القواعد التي لا غنى عنها، سبيلا لدراسة جيدة. لم تكن المدرسة آنذاك تعيش الأزمة التي تجتازها اليوم.

إن المدرسة الجيدة هي معبر الرقي الاقتصادي والاجتماعي والقضاء النهائي على جروح مجتمعنا، كما يذكر الجميع بذلك، تلكم المهمة الصعبة التي تتطلب طول النفس والصبر والإرادة.

مهما يكن من أمر، فإن القادة يفضلون عادة الأمور الاستعراضية لإعطاء

الانطباع بأنهم موجودون وأنهم في قمرة القيادة. قد يكون الأمر مفيدا لهم سياسيا، لأنهم يسترون به ضعفهم ونقص شرعيتهم. إلا أنه في هذا المجال، أصبح من الملح استشعار الخطر، سبيلا للتصدي لمَعاوِل الهدم الذاتي.

شكل تحويلنا إلى أبي تلميت نهاية السنين السعيدة. كما شكل قطيعة مع البراءة. هنالك عالم جديد تماما، غريب وعنيف، يباع فيه كل شيء ويشترى، حتى قطعة الخبز والسكر. هكذا دخلنا مدرسة جديدة ونظاما جديدا، إضافة إلى مرحلة من الشباب. لم تتغير نظرة الراشدين حول هذه الأخيرة في الأمس ولا في اليوم. فهي دوما مقصرة، ناقدة وغير راضية.

في أيامنا هذه، يعتبر مصير الشباب قضية وجودية لا بد من محاولة ابتكار حل لها، حيث أن أوهامنا وعدم مسؤوليتنا ستجعل من شبيبتنا طبقة طفيلية خاملة. ألم تقل نقوش بابلية منذ ما يزيد على ثلاثة آلاف سنة قبل ميلاد عيسى عليه السلام أن: «*هذا الشباب فاسد من أعماق القلب وأن الشبان أشرار كسولون، لن يكونوا أبدا كشباب الأزمنة السالفة. شبان اليوم لن يكون بمقدورهم الحفاظ على ثقافتنا*". كما تقول نقوش مصرية، تعود بدورها إلى ألفي سنة قبل المسيح عليه السلام: "*لقد وصل عالمنا إلى مرحلة حرجة، لم يعد الأطفال فيها ينصتون لآبائهم. لا يمكن لنهاية العالم أن تكون بعيدة.*"

معلمنا الجديد يدعى غاي سيللي سوماري. سيكون لاحقا حاكم بتلميت إبان الاستقلال ومفتشا عاما للإدارة ووالي دائرة وسفيرا، قبل أن يصبح عضوا في مجلس الشيوخ. أسأل الله أن يدخله فسيح جناته. لا أفتر عن تذكره والدعاء له بالمغفرة، إذ لم يكن لي مجرد معلم، بل أصبح أخا أكبر، ستبقي أسرته إلى الأبد أسرتي. أرسل لي أفرادا منها ليتعلموا القرآن العظيم، فعاشوا ضمن عائلتي. في فترات غيابه عن الوطن، أتيحت لي الفرصة لأكون وكيل أخيه الأصغر، عمر، الذي سيصبح لاحقا وزيرا وعضوا في مجلس الشيوخ.

في نهاية تلك السنة التي كان فيها كل شيء مدهشا بالنسبة لنا، تمكنا من التغلب على صعاب حياتنا الجديدة والتكيف معها، وأخيرا من النجاح في امتحاناتنا، وهو ما لم يكن بالأمر الهين.

ففي مسابقة دخول الإعدادية التي تظهر نتائجها في المقرر رقم 1066_ep بتاريخ 5 / 7/ 1955، حل اديا الحسينُ الذي سيصبح طبيبا نفسيا مرموقا في بلادنا، تحمل إحدى مستشفياتنا اسمه، في الرتبة الأولى. كان أحمد بَنْ موسى الثاني على اللائحة، وهو مرشح حر التحق قبلُ بالسنة الخامسة. وكنت في الرتبة الثالثة على هذه اللائحة.

أصبح العديد من الناجحين فيها، كمعاوية ولد سيد أحمد الطايع ودْيَنْغْ بوبو افَّاربا والتقِ ولد سيدِ وغيرهم من أعيان اليوم، مشاهير. وقد خضع معنا فرنسيون تظهر أسماؤهم على لائحة الناجحين، لنفس المسابقة.

وفي امتحان شهادة ختم الدروس الابتدائية، حل ابن عمي عبد الله بن أحمد في الرتبة الثانية على المستوى الوطني، مما يدل على أن تدريس معلمينا، الشيخ وغاي سوماري، كان جيدا.

لم يقتصر الأمر على الدروس. ففي المدرسة المتنقلة تحت الخيمة، كنا قد تعلمنا كيف نكتب في كل الوضعيات، بدون الاعتماد على أية واسطة. لذا فإني أشَّرت بهوامش على تقرير للمرحوم اعبيدي ولد الغرابي ـ أسكنه الله فسيح جناته ـ المسؤول ساعتها عن قطاع السياحة التابع لرئاسة الجمهورية. سألني المختار الذي لم يكن يُغفل أي شيء عن أحد هذه الهوامش، عندما لم يتعرف على خطي. كان علي الاعتراف له بأنه من خطي، لكني كتبته مستلقيا على السرير. انتهي الأمر بابتسامة ملاطفة.

مدرسة الحي، تحت الخيمة

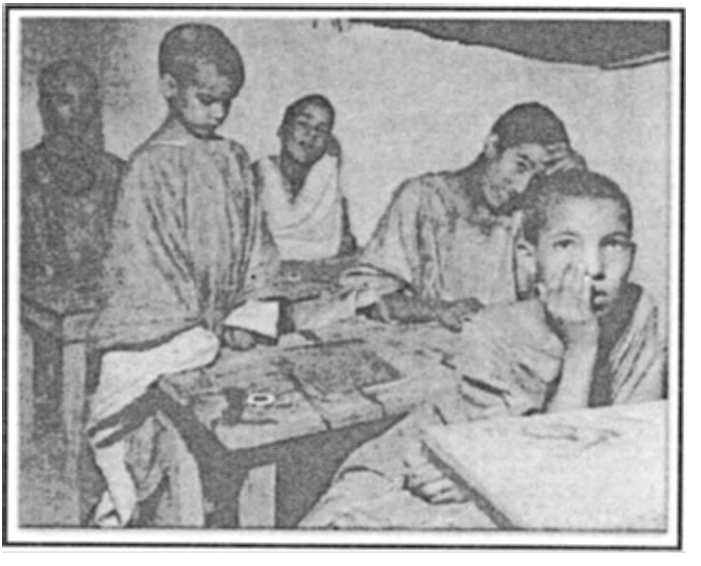

في الخلف وعلى اليسار: صورتي مع بعض زملاء الدراسة

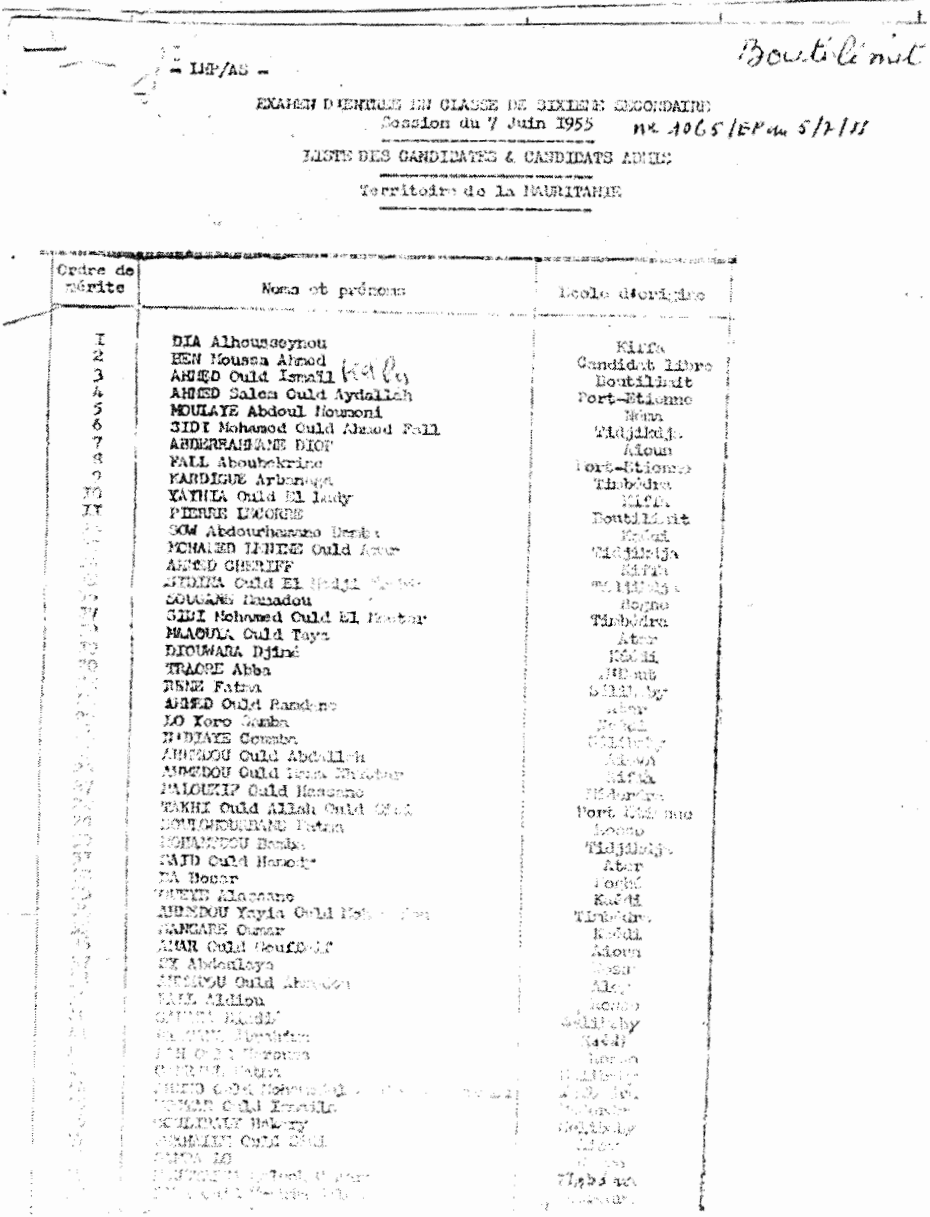

LEP/AS –

Boutilimit

EXAMEN D'ENTREE EN CLASSE DE SIXIEME SECONDAIRE
Session du 7 Juin 1955 N° 1065/EP du 5/7/55

LISTE DES CANDIDATES & CANDIDATS ADMIS

Territoire de la MAURITANIE

Ordre de mérite	Noms et prénoms	Ecole d'origine
1	DIA Alhoussoynou	Kiffa
2	BEN Moussa Ahmed	Candidat Libre
3	AHMED Ould Ismail	Boutilimit
4	AHMED Salem Ould Aydalich	Fort-Etienne
5	MOULAYE Abdoul Moumouni	Nioro
6	SIDI Mohamed Ould Ahmed Fall	Tidjikdja
7	ABDERRAHMANE DIOP	Aioun
8	FALL Aboubekrine	Fort-Etienne
9	KARDIGUE Arbanga	Timbédra
10	YAHIA Ould El Hady	Kiffa
11	PIERRE D'ORGNE	Boutilimit
12	SOW Abdourhamane Demba	Kaédi
13	MOHAMED YAHIA Ould Amar	Tidjikdja
14	AHMED CHERIFF	Kiffa
15	AYDARA Ould El Hadj Yahia	Kiffa
16	SOUDANE Ramadou	Nioro
17	SIDI Mohamed Ould El Mokhtar	Timbédra
18	MLAOULA Ould Taya	Atar
19	DIOUMARA Djiné	Kédi
20	TRAORE Abba	Kiffa
21	BAH Fatma	Kiffa
22	AHMED Ould Ramdane	Atar
23	LO Yoro Samba	Kaédi
24	N'DIAYE Coumba	Tidjikdja
25	ABDEDOU Ould Abdallah	Aioun
26	ABDEDOU Ould Sidia Mokhtar	Kiffa
27	FALOUKIF Ould Hasenne	Nouakchott
28	BAKHI Ould Allah Ould Sidi	Port Etienne
29	DOUCOURARE Fatma	Nioro
30	MOHAMEDOU Bemba	Tidjikdja
31	SAID Ould Hamody	Atar
32	BA Bocar	Kaédi
33	TAYEB Aldasseine	Kaédi
34	ABDEDOU Yayia Ould Mohamed Yahia	Timbédra
35	HANDARE Oumar	Kaédi
36	AMAR Ould Seoufi	Aioun
37	BA Abdoulaye	Nioro
38	ABDEDOU Ould Abdallah	Atar
39	KANE Aldiou	Nioro
40	OUMAR Bandji	Selibaby
41	BA Mamadou Mamadou	Kaédi
42	BAH Ousmane Ousmane	Nioro
43	DIALLO Mamadou	Nouakchott
44	ABDEDOU Ould Ismaila	Aioun
45	SOULEYMANE Mahamy	Selibaby
46	MOHAMED Ould Sidi	Aioun
47	DIOP Ali	Nioro
48	[illegible]	Timbédra

نتائج مسابقة دخول السنة الأولى إعدادية، لسنة 1955

الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي

دَعِ الإِكْثَارَ مِنْ قَالٍ وَقِيلِ ... كَفَاكَ اللَّوْمُ بِالْكَلِمِ الْقَلِيلِ

أَقِلَّنِي إِنْ عَثَرْتُ عَلَى عِثَارِي ... تَخَيَّرْ الصَّحْبَ كُلَّ فَتًى مَهِيلِ

وَإِلَّا تُرْدِ جِرْ عَمَّا عَلَيْهِ ... جُبِلْتَ مِنَ التَّهَوُّرِ وَالصَّهِيلِ

فَإِنِّي لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتَ مِنِّي ... وَلَيْسَ رَعِيلُ خَيْلِكَ مِنْ رَعِيلِي

وَلَسْتَ إِلَى لِقَاءِ اللَّهِ مِنِّي ... بِمَنْزِلَةِ الرَّفِيقِ وَلَا الزَّمِيلِ

وَلَمْ تَكُ فِي الْحِسَابِ غَدًا حَسِيبِي ... وَلَا مَوْلَايَ أَنْتَ وَلَا وَكِيلِي

تَلُومُ إِذَا تَعَاطَيْنَا كُؤُوسًا ... تُذَكِّرُنَا كُؤُوسَ السَّلْسَبِيلِ

نُحَاوِلُ أَنْ نُحَرِّمَهَا عَلَيْنَا ... دَلِيسَ لِمَا نُحَاوِلُ مِنْ سَبِيلِ

نُرِيدُ عَلَى إِبَاحَتِهَا دَلِيلًا ... مَشَى احْتِيَاجَ النَّهَارِ إِلَى دَلِيلِ

أُصُولُ الْحِلِّ عَدِّدْهَا فَعُدُّوا ... نَبَاتُ الْأَرْضِ مِنْ تِلْكَ الْأُصُولِ

رَفَيْلَكَ مِلَّ فِيهَا الْقَوْلَ قَوْمٌ ... فَمَا أَغْنَوْا بِذَلِكَ مِنْ فَتِيلِ

وَلَيْسَ اللَّوْمُ فِيهَا الْيَوْمَ إِلَّا ... أَحَادِيثًا تُعَدُّ مِنَ الْفُضُولِ

وَإِنَّ لَهَا فَوَائِدَ وَاضِحَاتٍ ... يَرَاهَا كُلُّ ذِي نَظَرٍ أَصِيلِ

إِزَالَةُ حِقْدِ ذِي الْحِقْدِ الْمُنَاوِي ... وَتَحْبِيبُ الْخَلِيلِ إِلَى الْخَلِيلِ

وَجَبْرُ خَوَاطِرٍ وَقَضَاءُ حَاجٍ ... وَمَعْرِفَةُ السَّخِيِّ مِنَ الْبَخِيلِ

وَفَوْزٌ إِنْ تَعَاطَاهَا النَّدَامَى ... بِتَمْيِيزِ الطَّرِيفِ مِنَ التَّلِيلِ

وَإِبْقَاظُ النَّوَاظِرِ مِنْ كَرَاهَا ... وَإِبْرَاءُ الْمُتَيَّمِ وَالْخَلِيلِ

وَزَادُ مُسَافِرٍ وَمَتَاعُ مُقْوٍ ... وَأُنْسٌ فِي الْإِقَامَةِ وَالرَّحِيلِ

وَتُحْفَةُ قَادِمٍ وَسُرُورُ عَافٍ ... أَوَى حِينَ الْمَبِيتِ أَوِ الْمَقِيلِ

وَفَاكِهَةُ الشِّتَاءِ إِذَا تَلَأْلَأَ ... وُجُوهُ النَّاسِ بِالشَّمْلِ الْمُلِيلِ

وَتُطْرِبُ مَنْ يُدَرِّسُ كُلَّ فَنٍّ ... وَتُفْرِجُ كَرْبَ ذِي الْهَمِّ الدَّخِيلِ

وَتُنْسِي كُلَّ صَبٍّ مُسْتَهَامٍ ... عَنِ الْحَدْبِ وَالطَّرْفِ الْكَحِيلِ

وَتَدْفَعُ ذَا التَّلَصُّصِ فَهْيَ أَغْنَى ... إِذَا دُفِعَتْ مِنَ السَّيْفِ الصَّقِيلِ

وَتُرْضِي الْمُسْلِمِينَ وَفِي رِضَاهُمْ ... يُؤَمِّلُ أَنْ يُنَالَ رِضَى الْجَلِيلِ

وَحَسْبُكَ مِنْ فَوَائِدِهَا بِهَذَا ... دَعِ الْإِكْثَارَ مِنْ قَالٍ وَقِيلِ

مع عبد الله

يحب الآباء جميع أبنائهم ويحبون حبا زائدا الضعفاء والمرضى منهم أو الغائبين عن المنزل. هؤلاء يستحوذون على تفكيرهم ويغذون مشاغلهم. أظن أنهم كذلك يحبونهم لعيوبهم، ولي منها الكثير. في حالتي، يمكن أن يفسر ذلك التعلقَ الذي كان لجدَّيَّ بي. كنت المفضل بالنسبة لهما. حدثتني ماريه أن عبد الله كان يقول، عند ولادتي، إنه يرغب في أخذي معه، في جيبه. كنت دائما تحت عباءته.

وبقدر ما تسعفني الذاكرة، فإنه لا ينفك عن إلقاء نظرات العطف علي والاستحسان لما أقوم به، حتى إن كان من الحماقات. يبدو أنه كان فخورا بي، إذ يقدمني لكل زواره الكثيرين. كانت تلك الفترة عذبة، ككل حياتي، أبوح بذلك حمدا لله وشكرا له.

يعني البقاء بجانبه مجاورة القرآن العظيم الذي لا يفتر عن تلاوته. يقول إنه كان في البداية يكرر كل سورة منه ستمائة وخمسين مرة. بالمواظبة على سماعه منه والإنصات له، استطعت بدوري أن أحفظ مقاطع منه قبل الالتحاق بالمدرسة القرآنية. يجهر بتلاوته عندما نكون لوحدنا ويخفض به صوته بمحضر الغير. يحدُث أحيانا أن يغفو أو ينام، لكنه لا يفقد خيط تلاوته. كانت تلاوة القرآن ورجاء الله يستحوذان على نشاطه وتفكيره وحياته.

يلتف حوله في الغالب أكبر العلماء والدارسين في المنطقة. يقوم أحدهم تارة بقراءة وثيقة جديدة أو تعليق بصورة أعم على مقاطع تتعلق بقضايا فقهية أو دينية. ينصت عبد الله من غير أن يتدخل، وهو ما لا يمنع البعض من رفع الصوت من وقت لآخر. ما زالت بعض أقوالهم عالقة بذهني.

عندما يتعلق الأمر بالقرآن العظيم وتفسيره، يدخل محمد بن أبي مدين على الخط. يقول بصورة قاطعة أن الله وحده يعرف معناه الحقيقي وأنه في هذا المجال كما

في غيره، يجب الوقوف عند سنة رسولنا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، مضيفا أنه ينصح الكل بعدم خوض مغامرة تأويله. هذه الصرامة الدينية اكتسبها محمد من جده باب الذي عاش في كنفه بصورة دائمة، معينا له على حفظ مكتبته والتعامل مع محتوياتها. لذا فإنه حصل مبكرا على تربية ومعرفة يقدرهما الجميع. تقوم طريقته المنسجمة مع فكر جده على الوقوف عند النص القرآني والسنة الصحيحة عن الرسول، وهما الميدانان اللذان تخصص فيهما بامتياز، مع اليقظة النقدية لكل المصادر الأخرى.

يكتفي الحاضرون الآخرون بتدخلات مقتضبة، تثير حسب الاقتضاء الموافقة الضمنية عليها بالسكوت أو الجدلَ الحاد. يحافظ العالم الجليل وشيخ الأساتذة محمد عالِ ولد عدود على الصمت ولا يتدخل إلا في القضايا الكبرى. يُنصت إلى تعليقه ووجهة نظره باهتمام بالغ.

هنالك أيضا عبد الجليل ولد عبد الرحمن الطاعن في السن، وهو عالم ذو طبع حاد. يلتحق بنا في الصباح الباكر، نسمعه من بعيد قبل أن يصل، لارتدائه نعالا من الخشب. يحترمه عبد الله كثيرا ويأمرني بأخذ الحيطة عندما يقترب. يزود عبد الله يوميا بمكتوب صغير الحجم وبخط قديم، يتناول نسب أحد صحابة النبي ﷺ. يقال إنه يعرف أنسابهم أفضل من معرفته لأسرته الخاصة. تعتبر مصنفاته في القرآن العظيم مرجعا غير منازع، وهو لا يماري فيما يتعلق بالسنة المحمدية.

لا ينبغي لأحد أن يناقضه أو يتحداه، فقد رمى يوما على الوجه شخصا تجرأ على ذلك بكأس شاي شديد الغليان.

كان على صداقة حميمة مع بلال، المسئول عن التموين. يقرض بلال بدوره الشعر في أوقات الفراغ، ويعتبر عبد الجليل أشعاره مسلية، على الأقل. كان يثمن عاليا شاي بلال والعناية التي يحيطه بها.

وقد مدح بلالا شعراءُ كبار، من أمثال موسى بن باب والمختار ولد حامد ويعقوب ولد أبو مدين، وغيرهم. بوسع الشعر أن يمثل مرآة مجتمع ما، في فترة من

الزمن. كنا نعتبر بلالا أبا لنا جميعا، إضافة إلى كونه وجيها محترما ومرموقا.

غير بعيد منا، يوجد مسكن القاضي إسماعيل، أخي عبد الله. حياته خالية من الكماليات، ملئها الحق والاستقامة.

دأب يوميا على تسجيل كل شيء وترك في هذا الصدد يوميات مستفيضة، مشحونة بالوفيات. إبان مزاولته القضاء، أصر على العزوف عن إصدار الأحكام، مفضلا الإصلاح بين الخصوم على التقاضي، كلما كان ذلك ممكنا.

يحكى، والأمر غير مؤكد بالطبع، أن الطرف المعترض على الصلح كان مهددا بتذوق شاي القاضي. يعتبر ذلك عقوبة قصوى، لأن شاي القاضي يحوز سمعة أردإ شاي في المدينة.

بالنسبة للقضايا المهمة، يجتمع بعدة علماء تحت خيمة منعزلة ليقولوا الحق وينفذ هو حكمهم على الفور. يكرر أن أغلب القضاة إن لم يكن كلهم، عندما يمثلون أمام الله تبارك وتعلى، قاض القضاة، للنظر في عملهم في هذه الحياة الدنيا والاستماع لحكمه، سيساقون إلى النار مصفدين في الأغلال.

اشتهر القاضي بعدم التساهل إلا في إلحاق المواليد والسهر على مصالحهم.

أتذكر أنه اعترض أثناء نزاع كان أحد إخوته طرفا فيه، على شهود مشهورين جلبهم هذا الأخير، بحجة الصداقة التي تربطه بهم، وهو محق في ذلك.

وبالرغم من كل هذه الصرامة، فإنه ظل يحتفظ بمرحه وشغفه بالشعر. كان أيضا مولعا بالأخبار، يطلب من محدثه أن يقص عليه الكاذب منها قبل الباقي.

لدينا تقليد بتخليد موت أي شخص مهم بمراثي تحوي الدعاء له وتاريخ ميلاده ووفاته وتشيد بتقواه وأعماله الطيبة.

تغذي هذه المراثي حديث الناس لبعض الوقت ويتم فحصها من جميع الزوايا من طرف المختصين. وبالطبع، كانت هذه الأشعار محل تقدير متباين ومعرضة أحيانا للاستهزاء.

بوصفه خبيرا بالشعر وصاحب دعابة، يستعجل القاضي الكتابة لاثنين أو ثلاثة من أصدقائه الحميمين، ملحا عليهم في طلب السكوت والامتناع من نظم أي شيء. يقول أن أشعار المناسبات التي ينشئونها خالية من الإلهام وجالبة لحزن أعظم من رحيل الفقيد المحبوب. توجه أولى هذه الطلبات بانتظام لعبد الله ولد عبد الرحمن الملقب بالشاعر من طرف السلطات الاستعمارية.

بمناسبة زيارة أديتها له رفقة سفيرنا، سألني ابيير مسمير Pierre Messmer، وهو إذ ذاك وزير دفاع الجنرال ديغول، عن أخبار الشاعر وعن صديقه الترجمان محمدن ولد محمد صالح، معتبرا الأخير ذكيا للغاية وحكيما بامتياز.

وككل إنسان، يحدث أن يستدين القاضي فيزوره غريمه للسلام، احتراما له. وعند انصرافه يطلب الإذن في العودة لإلقاء التحية مستقبلا، فيرد القاضي الذي يدرك تماما مغزى هذا الكلام، دون مزاح ظاهر: " أفضل ألا تعود، لكن لك الحق تماما في الرجوع لإزعاجي بالإلحاح على تسديد ما تطالبني به. "

يحظى كل مكتوب باحترام كبير وتمنعنا أمهاتنا من الجلوس عليه أو حتى تخطيه، بحجة أن القرآن مكتوب بالأحرف العربية. كل هذه الذكريات ـ وبالأصح هذه الأنماط ـ التي لا تكتسي أهمية إلا بالنسبة لي، تشكل بعدا عميقا من ذاكرتي كطفل.

كانت الموسيقى الشعبية جزءا من الثقافة وتعايشت مع التقوى والمعرفة الدينية. تعين الإنسان على تحمل ظروف حياته وعلى قضاء أوقات سعيدة في الصحراء، حيث الطبيعة القاسية، إضافة إلى اعتبار معرفة فنونها معيارا أساسيا للكمال الأدبي.

حدثني عبد الله أنه يكتفي في صباه بملامسة أوتار الآلة الموسيقية لتحديد المقام الذي توقف عنده العازف من حصته الموسيقية وأنه يتأثر بصورة عميقة عندما يتناول الحفل "شور الارحال"، لأن الموسيقى في هذا المقام تتناول الموت وهشاشة الوجود البشري، وكلها أمور كامنة في نفوسنا، تغذي قلقنا الأزلي.

إن الموسيقى، عندما تثير الموت، تقرب من الله وتؤدي إلى النتيجة نفسها التي يحدثها الصوم أو الصلاة. وبالطبع، لا يتعلق الأمر هنا بموسيقى الحفلات الشعبية الصاخبة، بل بالأخرى.

عندما يشدو فنان أو فنانة قادمين إلى الحي لتحيتنا، يلتفت عبد الله إلي قائلا: أحمد، أتسمع؟ إن الموسيقى، خلافا لما يعتقده البعض، لا تتلف الباقي، أي البعد الديني، بل بوسعها " أن تذكي اللهيب". التعايش ممكن هنا أيضا، بل ومرغوب فيه.

في هذا الوسط، كان طلب العلم يبرر نفسه، لأنه يقود عادة إلى الجنة، ولم يكن على الإطلاق تجسيدا لأي طموح أو بحثا عن ترقية اجتماعية. بالطبع، كان الاعتبار يمنح لمن يستحقونه.

يدلف إلى المخيم أحيانا غرباء دون أن نعرف من أين جاءوا. هم في الغالب مشعوذون يدَّعون أن لهم خوارق متعددة. لأغلبهم وجوه المستنيرين وعقول مشوشة تماما. هل ذلك مصدر إلهامهم أم أن هذا الأخير نازل من السماء؟ تجعلهم مواهبهم المزعومة محط انتباه لبعض الوقت، قبل أن يختفوا من المشهد. وحدهم الأطفال والفضوليون يلاحظون مرورهم. تناول أحدهم يوما زهرة من شجرة طلح فمد لنا تمرة زاهية، مما جعلنا نتبعه مسافة طويلة للحصول على المزيد، إلا أننا رجعنا بخفي حنين وواصل هو رحلته. بعد ذلك بزمن طويل، أتيحت لي الفرصة لمشاهدة عرض سحري في باريس، رفقة المختار والسيدة حرمه. بعد أن طُلب من مرضى القلب أن يخرجوا، تم شطر سيدة نصفين بالمنشار، باتجاه الطول. تناثر شيء كالدم في كل مكان، قبل أن تظهر " الميتة" وابتسامة عريضة تعلو محياها.

يحظى صاحب المعرفة بالاحترام ويتمتع بنوع من الحصانة، على غرار ما يحدث في البلدان الأخرى. على سبيل المثال، وقعت شخصيات فرنسية مشهورة من بينها الفيلسوف الكبير سارترSartre نداء يدعو إلى العصيان المدني، إبان الثورة الجزائرية. اعترض الجنرال ديغول الذي كان ساعتها رئيسا للجمهورية على توجيه

أي عقاب له، قائلا إنه لا يمكن لأحد أن يسجن فولتيرVoltaire. ومع ذلك، فإنه كان عدوه اللدود.

من هو عبد الله حقا؟ رجل تُقى ومعرفة، أم رجل ميدان، منخرط كليا في رسم تاريخ البلاد؟ يقول إنه لا يحس بالاطمئنان إلا إذا داهمه الخطر من كل جهة. يتطلب فهم الخطر السياسي قسطا من الحَدس وقدرة خارقة على إدارة عناصر شتى، متنافرة في أغلب الأحيان.

في السياسة كان له حليف وازن: الأمير عبد الرحمن ولد اسويد أحمد. يتبوأ الاثنان مكانة كبيرة في موريتانيا تلك الفترة، المحافظة والريفية، والمفتقرة إلى مركز قيادة موحد. كانا لا يفترقان، تربطهما صداقة عميقة. ظلا متواطئيْن ومهيمنين على الساحة السياسية. يلتقيان في كل مناسبة ويجلسان جنبا إلى جنب.

ترك لي هذا الأمير ذكرى رجل متزن، يبهر بصمته وبساطته ورزانته.

خلال زياراته لنا، لم يكن يبرح مكانه، بل يظل إلى جنب عبد الله. في مثل هذه الظروف، يتم اتخاذ ترتيبات معينة. تُبنى خيمة كبيرة وتفرش بأحسن المتاح. يفرغ شخص لخدمة هذا المدخن وتحدد له مهمة توفير التبغ الجيد وتهيئة غليون التدخين له. يسهر بلال على مائدة ولباس هذا الضيف العظيم. عندما يلبس هذا الأخير دُراعة جديدة، فإنه لا يبرح مكانه، بل يبقى جالسا.

ينسحب في أوقات الفراغ إلى خيمته ويبقى لوقت طويل ينظر لاعبي "ظامتْ"، تلك اللعبة التقليدية التي تستخدم فيها الأعواد وبعر الجمال بيادقَ على الأديم، دون أن يتدخل.

تعم الوفرة طيلة مكثه ويسعد الأطفال. عندما يلتحق به عبد الله، أكون دائما في صحبتهما. تشع من عبد الرحمن قوة هائلة مكبوتة تفرض الاحترام.

يدور الحديث مرارا عن أمير آخر: احبيب ولد ابراهيم السالم. كان عبد الله يحبه كثيرا ويسانده بقوة. وكان احبيب بمثابة فرد من أسرتنا. يرافقه في الغالب سليمان

الذي تربطه به صداقة أخوية متينة، يوصيه عبد الله بالمحافظة عليها وتقويتها على الدوام. في الواقع، كان يعتبر احبيب رجلا مباركا ويحدثني أنه شاهده في المنام والمطر الذي يرمز عندنا للبركة يتبعه.

ستكون لي فيما بعد علاقات وطيدة مع احبيب. فقد حضرت الحفل البهيج الذي أقامه في آوليگ، متحديا بذلك تحريم الحكومة لحضور تلك المناسبة وتعليمات الحزب الواحد بهذا الصدد.

أهداني خيولا جميلة في مرات متعددة. وإلى اليوم، فإني ما زلت متعلقا بعائلته، متشرفا ومفتخرا بصداقة ابنه الأمير أحمد سالم.

لم أتعرف على الأمير أحمد بن عيده، غير أن مدونين فرنسيين يذكرون أنه كان موظفا في أبي تلميت وأنهم التقوا به تحت خيمتنا وترجم بينهم مع عبد الله. عندما عاد إلى آدرار، كان يبعث إلى هذا الأخير برسائل كثيرة تشهد على صلابة مشاعر الصداقة التي يكنها لأسرتنا.

غير بعيد منا، يزورنا الأمير اهْمَيْمَدْ، القريب والصديق، المرة تلو الأخرى للقاء عبد الله.

كنت طفلا ساعة تنصيبه ولا أزال أتذكر الكلمات التي قالها عبد الله في هذا الحفل، موجها كلامه لعثمان، الأخ الأكبر للأمير اهميمد: " لقد تلقيتَ بعض الدراسة، خلافا لأخيك. ابق معي، فسأجد لك وظيفة إدارية واترك له الإمارة لأنه يهدد بالهجرة إن لم يتبوأها. " عندها أعطي عبد الله سراويله البيض لاهميمد، كما تقضي بذلك التقاليد.

حافظت فيما بعد على التواصل مع هذا الأمير بمناسبة لقاءات في شگار وعين السلامة.

لا يسع المرء عند التفكير في الأمر اليوم إلا أن يعترف بتمتع عبد الله بطاقة هائلة. كان يجد الوقت للإنصات لتقارير يومية عن الأخبار المذاعة، معدة من طرف ثلاث

مصادر مختلفة.

وبالرغم من مشاغله الروحية والزمانية، فإنه كان مهتما بتجديد الغطاء النباتي ويعطي نفسه وقتا لذلك. بعد كل جفاف كبير، وعندما تنقرض بعض النباتات والأشجار، يأمر بملء حقائب من البذور وإحداث شقوق فيها قبل تثبيتها على دواب أليفة تروح بها إلى المراعي. كانت تلك طريقته لإعادة بذر الأرض في المنطقة. إنها بشكل أو بآخر الإيكولوجيا قبل الإيكولوجيا.

كان عبد الله مكلفا بالعلاقات العامة لأسرته قبل موت والده بزمن، كما تشهد له الوثيقة التالية:

إن النقيب ربيرRippert، المغادر لقيادة دائرة الترارزة، يصر على لفت الانتباه إلى أن عبد الله ولد الشيخ سيدي هو الابن المفضل للشيخ سيدي. وقد أسدي عبد الله للنقيب ريبير خدمات جليلة على مستوى أموره الشخصية وفي شؤون الترارزة. كل المعلومات التي كان يعطيها تمت مراجعتها والتأكد من صحتها ونجاعتها على الدوام. فهو نزيه وذكي، وصديق للنظام والعدالة ويحب ا لأوروبيين الذين... ثقتهم. وهو يستحق الثقة والصداقة التامتين لولائه. فهو صديق حقيقي للسلطات الفرنسية.

بتلميت، في 28 نوفمبر 1917.

***

تقول السلطات الفرنسية إنه كان الابن المفضل عند أبيه. لقد قاده ذلك إلى زيارة الولي الكبير الشيخ احمدُّ بمب امباكي في طوبا. احتفظ به هذا الرجل الرباني الشهير أسبوعا كاملا، يعد له الشاي خلاله بيده. يقول عبد الله إنه شاي مبارك من شاي الأولياء. وخلافا للأعراف، كان الشيخ يدخل إصبعه في هذا الشاي الساخن ويتذوقه لاختبار نضجه، فلم يزد ذلك عبد الله إلا رغبة في احتسائه. وفي يوم الرحيل، أتاه الشيخ بكمية هائلة من النقود ولما لم يجد وعاء يضعها فيه، جلب له صندوقه

الشخصي الذي ما زلت أحتفظ به.

عندها انهالت عليه الهواجس طيلة ليله ومنعته النوم، لأنه لم ير في حياته مثل هذا المبلغ من المال. بات يسائل نفسه كم سيشتري من إناث البقر والإبل؟ عند حلول صلاة الصبح وبعد ما يشبه وميضا مباغتا، قرر إهداء هذا الكنز لوالده باب. منذ ذلك اليوم، كما يقول، وخيرات هذا العالم تطارده.

كنت أرافق جدي في زياراته لأبي تلميت. على النجد الغربي للمدينة، يوجد منزل الشيخ ولد جدُّ، وهو ممر لا غنى عنه، يُلفى فيه الكثير من الناس ويجتمع فيه النبلاء والموظفون في آن واحد. فهو لذا مكان مثالي لربط العلاقات وتسوية المشاكل. لا يتريب الحاضرون، وهم في الغالب كثيرون، في تلقيهم أفضل استقبال. فالمائدة الوافرة تقدم للكل، وكذلك السكن.

يواصل صاحب المنزل نفس الخدمة التي اطلع بها منذ البداية، في حياة باب: حلقة ربط مع السلطات الفرنسية المحلية وقيم على تموينا بحاجيات الأسرة.

فيما يتعلق به، أخبرني بلال بالحكاية التالية: في أحد الأيام، طلب منه باب أن يقترض من أحد تجار القرية ما يقضي به ديون أصحاب القوافل الكثيرين الذين طال انتظارهم تسديد مستحقاتهم. عندما رجع خالي الوفاض، سأله باب عمن قصد؟ أجابه الشيخ بأنه قصد تاجرا يدعى المثنى، فما كان من باب إلا أن تمتم قائلا: كان من الأفضل التوجه بذلك إلى الفرد، أي الله تبارك وتعلى.

قدم في هذه الغضون ثلاث فرسان من مدينة خايْ، موفدين من طرف إبراهيم بقايقو ومعهم ما يكفي لتسديد ديون أصحاب القوافل الذين حزموا أمتعتهم وغادروا القرية على الفور. لا ننسى أن الخوارق بالنسبة للبعض تمثل نقيضا لكل سبب معلوم أو نتيجة لمخطط دقيق مُبَيَّت.

في إطار مهمته، وهنا أعود إلى الأرض، كان الشيخ يتولى حل كل إشكال يحدث بين الإدارة الفرنسية والسكان. كما كان عليه العبء الجحود لمركزة

الضرائب، فلم يكن ليخرج سليما من كل ذلك، بدون عداوات متعددة. أسأل الله أن يسكنه فسيح جناته.

في وسطي العائلي، يتميز المزاج العام بالانفتاح والتسامح ويتم القبول، دون الاعتراف بذلك، بالرقي والتطور عندما لا يعود بالإمكان وقفهما. بصورة أوسع، كانت الحرية هي القاعدة العامة وكنت أستفيد منها كثيرا. لم تكن هنالك شرطة أخلاق، بل مراقبة ذاتية من كل أحد.

على سبيل المثال، لدي مذياعي وأسطواناتي للاستماع للأخبار والموسيقى العادية. وهذه براهين عند بعض رجال الدين على الانحراف والغرق في مجافاة الأخلاق الحميدة.

عندما يصل إلى مسامع الحضور صدى شدو مُنِّينَه أو سيداتِ، يسكت عبد الله ولا يبدي أي اعتراض. لكن قد يصدر ذلك من أحد رفاقه، عبر هيئة معينة أو نظرة أو سعال مفتعل.

وبكل استغراب، فإن أشرس مقاومة لتطور الأعراف تجيء من الوسط النسوي. صحيح أن النساء لا يسافرن كثيرا ولا يشاهدن ما يجري في الأماكن الأخرى، بل يسهرن على رعاية التقاليد والمسؤولية الأولية، كأمهات، عن التربية. هنالك شعر متداول يسخر من هذه المستجدات، متظاهرا بالإيصاء بها:

حسّن راصك يكون العرف واللحيه حسنها من هون
ذاك اللي جاري بيه العرف والتبيب إبان ألگرون
باش اتعود اكبير أتنگاس كلّم رچو والعب مرياس
واختر من لحزاب اللي ساس واگبظ لخبار افتلفون
ولا تصحب كون ارذال الناس لوّل من لرذال الگرصون
حرك كرعيك أكژ ايديك فوگ الرالة والعب مزيك

جـــاوب بالمنكـــب فـــرظ اعليـــك لا تمـــــرگ فمـــــك وي أنـــــون

وابلـــــژ فالشيـــــبان عينـــــيك لمهابـــــة مـــــاهي فالقانـــــون

من الخطإ الاعتقاد بأن كل ما لا يوجد في هذا الأخير مسموح به.

يصدر البعض أحكاما قاسية على الشبان الذين يرتدون القمصان أو السراويل القصيرة، معتبرين أن الذراعيْن والفخذين لا تتم تغطيتهما في هذه الحالة. وتلك جُنحة عدم ستر للعورة، لأن هذه الأعضاء ينبغي أن تظل بمنأى عن الأنظار لفرط خصوصيتها.

في هذا المنوال، يروي السيد المحترم معروف ولد الشيخ عبد الله الذي تربط عائلته صداقة سحيقة بأسرتنا أنه تم ضبطه متلبسا بهذه الجريمة من طرف عبد الله الذي قدم لتحيته فوجده لابسا قميصا بدون أكمام وسراويل غير سابغة، مما تسبب له في حرج شديد. أصيب معروف الذي كان يزاول دراسته في مدرسة وليام ابونتي William Ponty بالشلل ولم يعرف كيف يتصرف، إذ لم يستشعر الأمر قبل وقوعه. في تلك الأثناء كان في جيبه فول سوداني مشوي يتناول منه حبات، مما ضاعف حرجه، الغذائي هذه المرة. عندما لاحظ عبد الله الأمر، طلب منه أن يعطيه بعضه، محاولا بذلك تخفيف وطأة الأمر عليه.

كان الموظفون الذين يخدمون في بتلميت يزورونا من وقت لآخر. وكان الدكتور با بوكار آلفا صديقا للكل. بوصفه رئيسا للكشافة، كان هو وفريقه يأتون راجلين إلى ربوة عين السلامة في آخر الأسبوع، حاملين مؤنهم على ظهورهم، فيشعلون نيران حطب كبيرة وينظمون نشاطات ثقافية. كنت أكتفي بمتابعة المشهد عن بعد مع بعض أصدقائي. لم نكن لنقترب كثيرا لوجود الطبيب الذي يحتمل أن يعطينا حُقنا أو يفرض علينا بعض العلاجات.

كثيرا ما كان عبد الله يتدخل لصالحه لدى السلطات الفرنسية وعلى أعلى

المستويات، كما تشهد له الوثيقة التالية:

مفوض الجمهورية في إفريقيا الغربية الفرنسية

دكار، في 27 دجمبر 1955

رئيس السكرتاريا الخاصة

***

أيها الشيخ،

بعد الرسالة التي بعثت لكم في 30 نوفمبر، راجع مدير الصحة بصورة دقيقة جدا وضعية السيد با بوكار ألفا الذي أوصيتم به المفوض السامي والذي عبر عن رغبته في التحويل إلى دكار. لقد تم التطرق مبدئيا لتبني استثناء لصالح المعني، نزولا عند رغبتكم، لكنه لا يوجد الآن، مع كامل الأسف، أي منصب طبيب شاغر في دكار. لذا فإنه من المستحيل على مدير الصحة أن يلبي رغبة السيد با.

وقد كلفني المفوض السامي بإبلاغكم عميق أسفه، لأنه كان يود إرضاءكم، كما قال لكم، بمناسبة هذه القضية، لكن الأمر مستحيل في الحقيقة.

ولتقبل، أيها الشيخ، أفضل مشاعري.

التوقيع

***

كان يقوم بالأمر نفسه بالنسبة لآخرين، أمثال الشيخ سعد بوه كان، الموظف بالعدالة. كان هذا الأخير يبهر الكل بأناقة دراريعه البراقة والمصمغة على الدوام، مما يعطيه مظهر شخص كبير الحجم. وعلى ما أتذكر، كانت الثياب الجميلة نادرة في بتلميت. لم يكن عبد الله يلبسها على الإطلاق، مكتفيا بارتداء قماش البركال Percale.

كان با عبد العزيز، نصف البوتلميتي، يعيش مع السكان العاديين، بالغ النظافة في كل الأوقات ولا يفتر عن تدخين السجائر.

وكان با آلسان يمكث معنا مرارا ويحدث الحضور غالبا عن تگانتْ. أله ارتباطات عائلية هناك؟ بخصوص تلك المنطقة الجميلة، يكفي أن نتذكر المقولة القاضية بأن سكانها، بعد موتهم، سيحرمون الجنة، لأنهم سبق وأن عاشوا حياتهم فيها.

تدور النقاشات في محيط عبد الله في الأيام الخوالي حول قضايا عادية أو على الأقل غير مثيرة للجدل، كمرائي الليلة المنصرمة والتأويلات التي يعطي كل واحد لها، أو صحة الصلاة عندما يكون للمصلي أسنان اصطناعية. أحيانا، يتم استعراض وقائع حديثة أو مضحكة. يشار إلى أعمار هؤلاء وألئك بإيحاءات محتشمة من سياقات الصحة النفسية، لكن الأمر يتعلق في الحقيقة بالزمن الجاري.

لا يتم التطرق إطلاقا للحياة العاطفية في حد ذاتها، على الأقل في الملإ. لكن يتم ذلك بصورة غير مباشرة عبر رواية أشعار قديمة، بذريعة أن العلم لا حياء فيه. يكثر شعراء الجاهلية من هذا النمط، لكن يشفع لهؤلاء أن الكفر يسمح بكل شيء، لكنه لا يبرئ مع ذلك.

كان لجدي هاجس لا يتزعزع: نشر المعرفة كلما أمكن ذلك.

مثل إنشاؤه لمعهد أبي تلميت الكبير، وهو عبارة عن نسخة حديثة للمحظرة التقليدية، أحد إنجازاته المبهرة.

جسد هذا الصرح أيضا نوعا من مظاهر الانعتاق السياسي من فرنسا التي كان، من جهة أخرى، يساندها بقوة. لم يكن الأمر رفضا للمدرسة العصرية بقدر ما كان لحصريتها.

صحيح أنه حظي منذ فترة طويلة بمركز تعليم مجاور لمكتبة زاخرة بالمخطوطات، ورثها عن أوائله وأثراها هو باقتنائه الدؤوب للكتب من كل حدب وصوب.

كانت هذه المكتبة ذائعة الصيت في المنطقة. يوجد فيها الإنتاج الكامل

للمرجعيْن الروحييْن لأسرتنا: الشيخ سيدي المختار الكنتي وابنه الشيخ سيدي محمد.

كان عبد الله يأسف لتراجع الإسلام وثقافته في إفريقيا، لانحسار مستواه والعراقيل المادية الكثيرة وغيرها التي تعترضه في هذه المنطقة. لاحظ جاذبية جامعات الشرق الأوسط بالنسبة للمسلمين الأفارقة، معتبرا أن موريتانيا، هي الأخرى، قادرة على أن تعود مركزا ثقافيا عالميا بفضل علمائها الكثيرين ودورها التاريخي في نشر الإسلام.

بررت هذه الاعتبارات إنشاء المعهد الذي تقرر أن تدرس فيه العلوم العصرية، كالتاريخ والجغرافيا، بالموازاة مع العلوم التقليدية.

في الواقع، كان هذا المعهد منافسا للأزهر في القاهرة ولجامعة القرويين في فاس.

و من غير المستبعد أن يكون الاهتمام الذي أولته السلطات الفرنسية ترجمة لرغبتها في السعي لإظهار فرنسا كقوة إسلامية، إذ لا ينبغي أن ننسى أنها كانت في مواجهة مع الثورة الجزائرية والقومية العربية التي يحمل لواءها عبد الناصر.

ومنذ البداية، اختار طلاب أفارقة مسجلون في القاهرة متابعة دروسهم في أبي تلميت. كان تعليم محمد عالِ ولد عدود يضمن النجاح ويجذب الناس.

يتم التكفل بكافة المسجلين، في البداية تحت الخيام، ولاحقا في بنايات عصرية.

تم تعيين محمد المختار ولد اباه، أطال الله عمره، مديرا للدروس، بعد استدعائه من طرف عبد الله. ظل في هذا المنصب زهاء ثلاث سنوات ولم يغادره إلا ليصبح وزيرا في ظل القانون الإطار. يقول عبد الله إن أول تدخل له منذ انتهاء الوصاية الفرنسية كان لصالح محمد المختار، سعيا لتوزيره.

يعتبر محمد المختار بمثابة ابنه. حدثني هذا الأخير أن عبد الله لاحظه، وهو إذ ذاك ما يزال في طور الطفولة، فسأل عمن يكون؟ فور الإجابة، أمر بصوت عال أن يحضر بين يديه، قائلا: " أحضروه، فإنه أنفس من جوهرة نادرة". تستخدم تلك

الجملة للتعبير عن التعلق بشخص ما. في الحقيقة، كان ذلك التعلق شاملا لكافة أقربائه، نتيجة العلاقات الرابطة بين عائلتيْنا والمخلدة بالتواتر على مر العصور.

تم تكوين أغلب الأطر الناطقين بالعربية في بلادنا، موظفين وقضاة، في هذا المعهد.

هنالك معركة أخرى قريبة من قلبه، ألا وهي الرغبة في الترقية الاجتماعية التي ظلت ناقصة في جميع أرجاء البلد. تعد مدرسة البنات في بتلميت تجسيدا معبرا عن ذلك.

في تلك الحقبة، لم تكن تتبادر للأذهان ضرورة تمدرس البنات، باعتبارها شرطا للتقدم، تمشيا مع مصلحتهن ومصلحة المجتمع. بالمحصلة، لم يعارض أبدا التحولات الاجتماعية، عندما يرى أنها مفيدة. على العكس من ذلك، كان يشجعها بقوة.

ولفهمه المبكر للأمر، اهتم بتحقيق هذا المشروع لدى السلطات الفرنسية آنذاك.

ففي رسالة مؤرخة بالعشرين من شهر نوفمبر 1946، كتب له الوالي الفرنسي العام: «*إنكم تدركون أن الإدارة، حتى إذا كانت تسير ببطء، تسير بصورة أكيدة. وهكذا يتجسد المشروع الذي طلبتم والذي تحدثتم مطولا حوله مع المفوض العام في شهري إبريل ومايو. ستنتقل مدرسة بوتلميت للبنات من كونها مجرد فكرة لتصبح واقعا. فالمفوض العام نفسه قام باختيار المعلم والمعلمة المحولين إلى أبي تلميت. يتعلق الأمر بالسيد والسيدة هرفي Hervé، ذوي الأولاد الصغار الثلاثة، واللذين يعرفان الإسلام ويقدرانه ويحترمانه، جراء مقامهما أزمانا في فوتا ادجالونه. فلا ينبغي إذا أن تقلقوا على بناتكم اللائي سيبقين "بيضانيات" متميزات. لا ألح على الأمر، لأني أعرف مدى تعلقكم بهذا المشروع.*»

وختم قائلا إنه يعتني كثيرا بسليمان الذي دخل السنة الثانوية الخامسة، ملتمسا مساندة السيد والسيدة هرفي *Hervé* في إنشاء هذه المدرسة الجديدة.

استطاعت خريجات هذه المدرسة لاحقا أن يمدرسن أولادهن وحتى أبناء محيطهن، فساهمت هذه القفزة في إزاحة العراقيل الحائلة دون إرسال الأبناء إلى

المدرسة في كل المنطقة.

بالموازاة مع الجانب الثقافي، كان بوسع عبد الله أن يظهر تحرره في الميدان السياسي. وكمثال على ذلك، فقد هجر موريتانيا سنة كاملة، رافضا الوجوه التي أرادت السلطات الفرنسية فرضها عليه في بعض الأحيان.

ففي مراسلة مؤرخة بالعاشر من مارس 1948، طلب السماح له بالإقامة في شمال السودان الفرنسي (منطقة أزواد الحالية) أو في الصحراء الجزائرية، ذاكرا أنه لم يقم بتلك المساعي عن طيب نفس. وقد فكر كذلك في سكنى غامبيا التابعة آنذاك لإنجلترا.

على المستوى الشخصي، كان يقول إنه ليست لديه مآخذ على أحمدُ ولد حرمَ الذي يعتبره، قبل كل شيء، سليل وسط محبب لديه ومجاور جغرافيا له. لم تكن لديه إذا أية أحقاد ضده، لكنه يعارض توجهاته السياسية بشدة.

كان عبد الله يساند بقوة استمرار النفوذ الفرنسي، معبرا عن ذلك بصورة واضحة. لذا فإنه قام بالحملة للتصويت بنعم في الاستفتاء على البقاء في المجموعة الفرانكو - إفريقية أو الخروج منها. كان يرى أن في موريتانيا ثلاث اتجاهات سياسية: اتجاهه هو، المتشبث بالحضور الفرنسي، لاعتقاده أن فرنسا ما تزال في ذلك الوقت ضرورية بالنسبة لموريتانيا وأمنها واستقلالها. على النقيض من ذلك، كان التيار الثاني، بقيادة حرمَ، مناهضا لفرنسا، فيما كان أغلب المنتمين للتوجه الثالث الذي تجسده النهضة مساندين للمغرب.

في آخر عمره وربما استشعارا منه بقرب الأجل، أصر حرمَ على زيارة أفراد من أسرتنا. كنت في تلك الأثناء أزاول مهنة المحاماة.

شرفني حرمَ، صحبة محمد المختار ولد اباه مد الله في أيامه، بزيارة لا تنسى. تفاجأت وأنا جالس على حصير بال وفي ثياب متواضعة، فكادت عظامي أن تتجمد ولم أستطع الوقوف إلا بصعوبة. للأمر ما يبرره: المفاجأة، تاريخ هذا الرجل العظيم.

طلب مني مصاحبته لزيارة إبراهيم، أخي عبد الله وخليفتنا آنذاك، للسلام عليه والتماس الدعاء منه.

كان لإبراهيم الحضور الذهني المناسب ليطالب، هو الآخر، بالصفح عن كل ما جرى في تلك الفترة مع عبد الله، الأمر الذي بادر حرمَ بالموافقة عليه، صافحا عما في علم الله تبارك وتعلى، على حد تعبيره. هكذا تم، بالمناسبة، إسدال الستار على هذا الفصل من تاريخ بلادنا، مع أن الموت، هو الآخر، يصفي كل الحسابات.

في أوقات الأكل، أجلس في الغالب قبالة عبد الله ثم أنادي كلبنا لأعطيه نصيبه. يتمتم جدي وقتئذ قائلا: من لا يَرحم لا يُرحم.

كان يحرم التعذيب تحت أي طائل ويقول لي إنه ينبغي الانحياز في النزاعات للأضعف على الدوام، حتى فيما يقع بين الدواب. بالنسبة للبشر، يلزم بعد ذلك تحديد الظالم من المُحق.

يحاول دائما تنبيهنا على جميع أشكال المعاناة، مذكرا بأنه شخصيا ولد على ظهر جمل. في الحقيقة، لم تتم الولادة إلا بعد أن برَك الجمل ونزلت الوالدة على الأرض. كان يظهر امتنانه لدابة مسنة للخدمات التي أدت له في حياته ويرغب أن يكفل لها نهاية سعيدة.

هنالك حادثة يقول إنه لن ينساها على الإطلاق، ألا وهي الحفلة البهيجة التي نظمها الدهاه ولد أربيه لكلبنا الذي ضل طريقه إبان تنقل الحي: الطبل، الشراب المُحلى والذبيحة، أي المراسيم التي يقابل بها الضيوف الكبار عادة.

وبالنسبة للأشخاص الذين سكنوا معنا ولم يعد بمقدورهم أن يعملوا، فإنه يدفع لهم علاوات نهاية كل شهر، أي نوعا من مخصصات المعاش، ويقول بالمناسبة إنه لا يرضى أن يكون الفرنسيون يقومون بأفضل منه، وأن كل الشيخوخات متعاوضة.

عبد الله والأمير عبد الرحمن ولد اسويد أحمد، مع الجنرال ديغول في بتلميت.

زيارة الجنرال ديغول لبتلميت، مارس 1953: من اليمين إلى اليسار: سيد المختار انديايي، ممثل موريتانيا في الجمعية الوطنية الفرنسية، وعبد الله ومحمد ول الشيخ ولد جد، المستشار بالجمعية الترابية الموريتانية.

عبد الله وضيوفه أمام خيمتنا

القاضي إسماعيل ولد الشيخ سيدي

عبد الله، صحبة أخيه إبراهيم وابن أختهما أحمد ولد محمد اليدالي

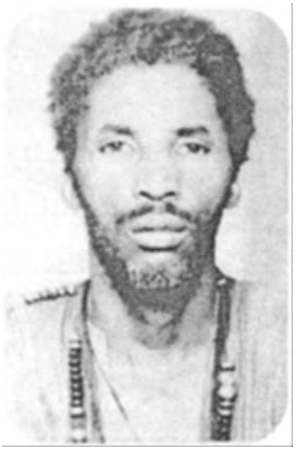

الشاعر بلال ولد إميجن

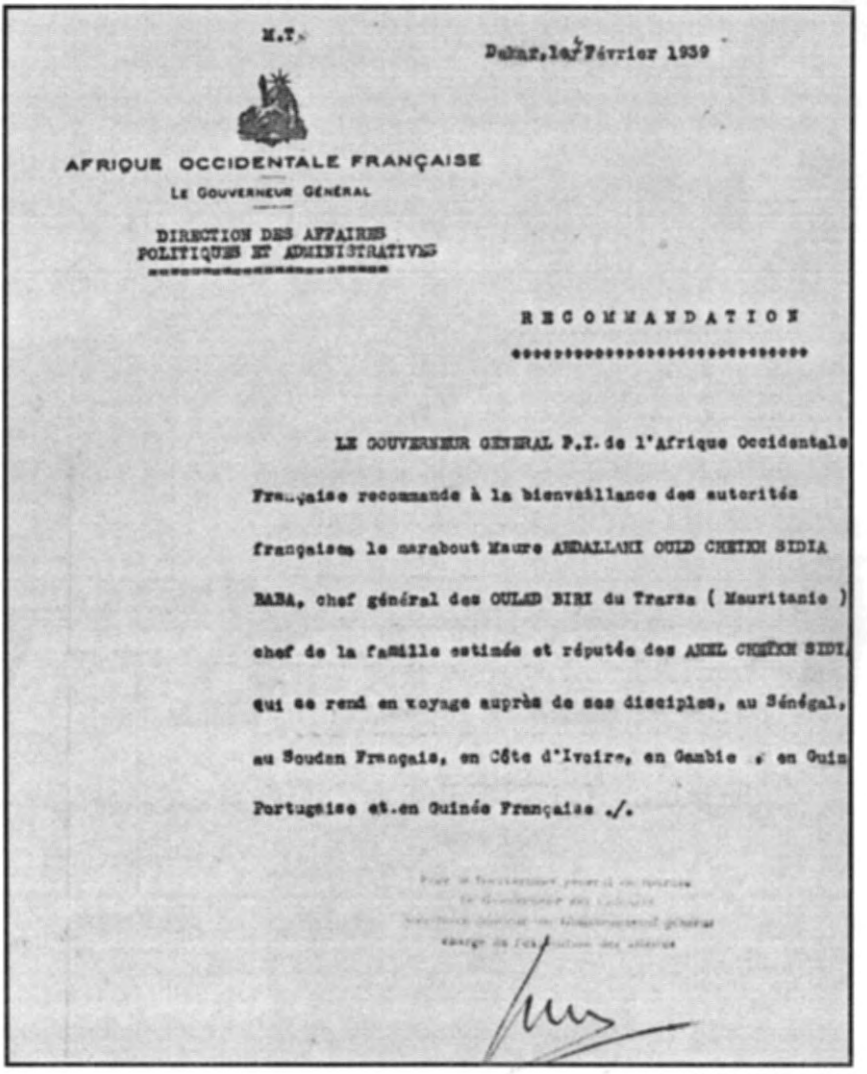

M.T.

Dakar, le 4 Février 1939

AFRIQUE OCCIDENTALE FRANÇAISE

LE GOUVERNEUR GÉNÉRAL

DIRECTION DES AFFAIRES
POLITIQUES ET ADMINISTRATIVES

RECOMMANDATION

LE GOUVERNEUR GENERAL P.I. de l'Afrique Occidentale Française recommande à la bienveillance des autorités françaises le marabout Maure ANDALLAHI OULD CHEIKH SIDIA BABA, chef général des OULAD BIRI du Trarza (Mauritanie) chef de la famille estimée et réputée des AHEL CHEIKH SIDIA qui se rend en voyage auprès de ses disciples, au Sénégal, au Soudan Français, en Côte d'Ivoire, en Gambie , en Guinée Portugaise et en Guinée Française ./.

نماذج من المراسلات المتبادلة
بين الفرنسيين وعبد الله

HAUT COMMISSARIAT
DE LA RÉPUBLIQUE FRANÇAISE
AU CAMEROUN

LE HAUT COMMISSAIRE

Yaoundé, le 7 Septembre 1956

Mon cher Abdallahi,

J'apprends, par le Journal Officiel du 29 août, votre élévation, dans l'Ordre National de la Légion d'Honneur, à la dignité de Grand'Croix.

Je suis heureux, à l'occasion d'une distinction si éminente et qui fut rarement aussi méritée, de vous envoyer mes sincères et très chaleureuses félicitations.

Je souhaite que la France sache toujours aussi bien reconnaître la valeur de ceux qui ont œuvré sans relâche pour une vraie communauté franco-mauritanienne.

Croyez à mes sentiments les meilleurs

P. FEDTKE

Monsieur ABDALLAHI Ould CHEIKH SIDIA
Chef Général des Ouled Biri
Khalifat de la Confrérie Kadria
BOUTILIMIT

(Mauritanie)

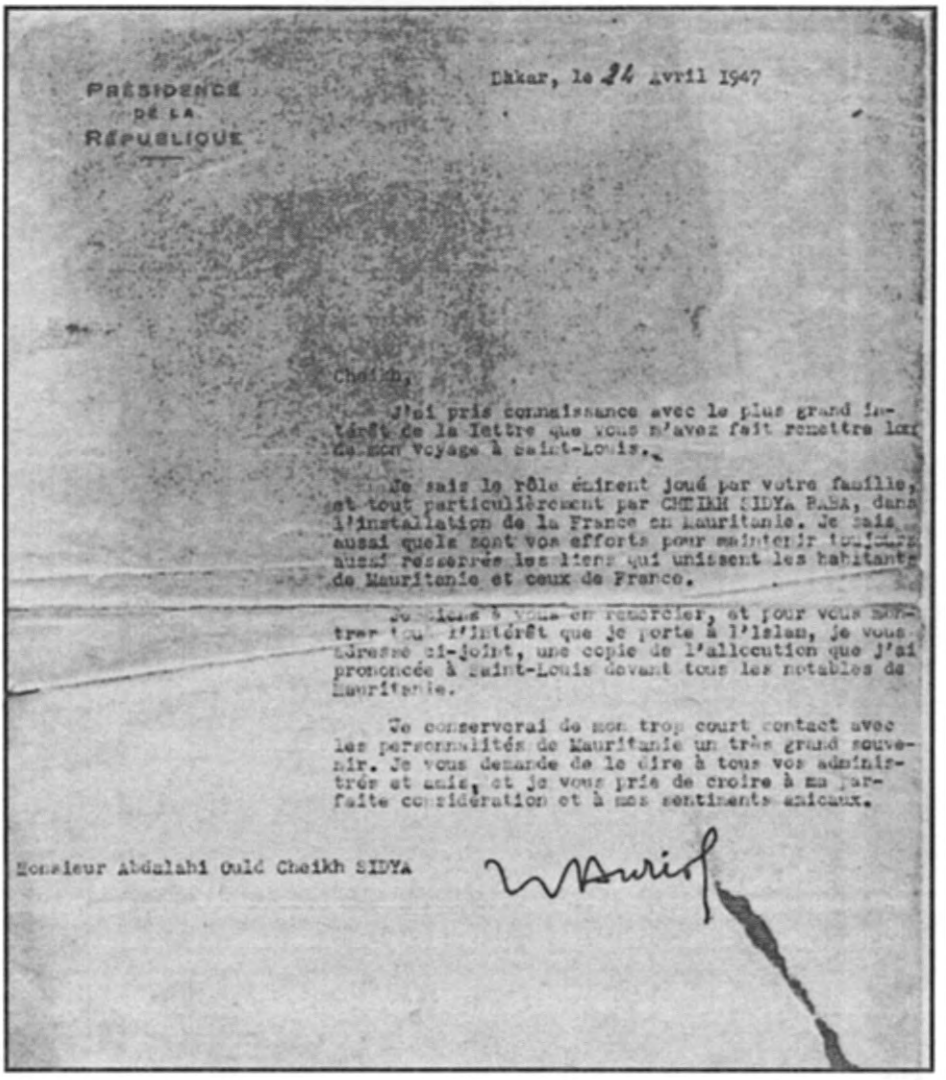

PRÉSIDENCE
DE LA
RÉPUBLIQUE

Dakar, le 24 Avril 1947

Cheikh,

J'ai pris connaissance avec le plus grand intérêt de la lettre que vous m'avez fait remettre lors de mon voyage à Saint-Louis.

Je sais le rôle éminent joué par votre famille, et tout particulièrement par CHEIKH SIDYA BABA, dans l'installation de la France en Mauritanie. Je sais aussi quels sont vos efforts pour maintenir toujours plus resserrés les liens qui unissent les habitants de Mauritanie et ceux de France.

Je tiens à vous en remercier, et pour vous montrer tout l'intérêt que je porte à l'Islam, je vous adresse ci-joint, une copie de l'allocution que j'ai prononcée à Saint-Louis devant tous les notables de Mauritanie.

Je conserverai de mon trop court contact avec les personnalités de Mauritanie un très grand souvenir. Je vous demande de le dire à tous vos administrés et amis, et je vous prie de croire à ma parfaite considération et à mes sentiments amicaux.

Monsieur Abdallahi Ould Cheikh SIDYA

Auriol

L'âge ne me permettant plus de mener de front les deux apostolats , je vous serais très reconnaissant de bien vouloir me décharger de mes fonctions de Chef administratif,pour me nommer Chef Religieux .Ainsi je pourrai renforcer mon rôle de pilier d'une religion , tout en continuant à servir la France jusqu'au delà de la Mauritanie .

Avec mes respects , veuillez croire Monsieur LE GOUVERNEUR ,à l'expression profondément sincère de la fidélité à la France ./.

ABDALLAH O.CHEIKH SIDIYA

Saint-Louis, le I3 Mars I948

Bien cher Monsieur RAZAC,

Je suis un peu fâché que vous ne m'écriviez assez souvent.C'est surtout par l'intermédiaire de nos jeunes gens que j'ai de vos nouvelles et que me sont transmises vos salutations-dont je vous remercie.

J'ai à coeur tout d'abord à vous dire combien je vous sais gré de vous être employé pour mon neveu Mohammed OULD DADDAH/Ainsi vous lui avez obtenu une situation qui va lui permettre de parachever sa formation dans les conditions que nous lui souhaitons:nous en sommes tous reconnaissants et nous y voyons les mains des vrais amis.J'ai vu M. le Président BOISSON lors de son passage ici et vous voudrez bien lui faire part de nos remerciments pour ce qu'il compte faire au jeune Mohammed-et en même temps lui transmettre mes salutations respectueuses.

Je vous prie de bien vouloir nous donner des conseils pour toutes ces nouvelles histoires et nous écrire souvent.

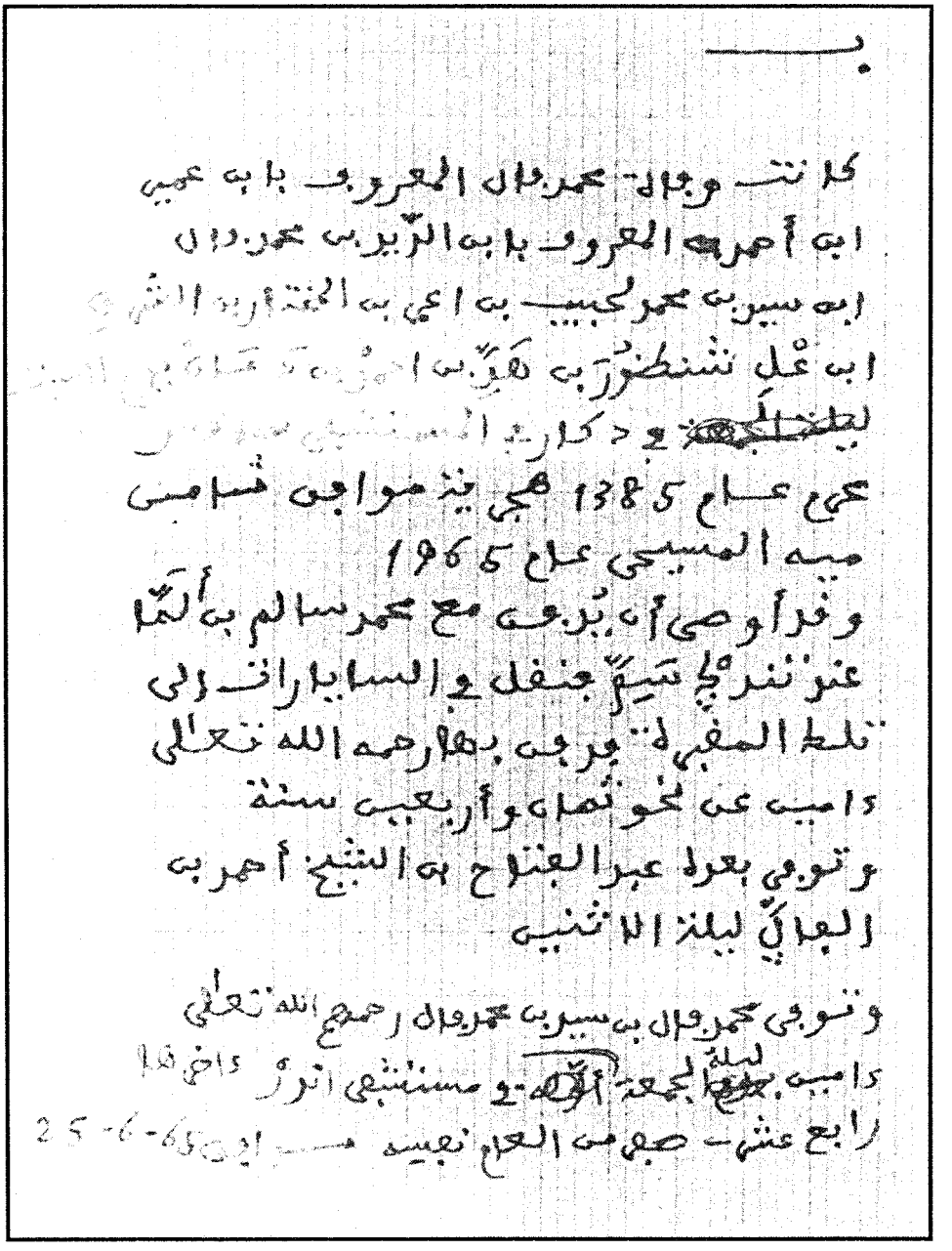

نموذج من حوليات وفيات الأعيان، للقاضي إسماعيل ولد الشيخ سيدي،
يتعلق بالأمير محمد فال ولد عمير، رحمه الله تعلى برحمته الواسعة.

قصاصات صغيرة يزود بها عبدُ الجليل
ولد عبد الرحمن عبد الله يوميا

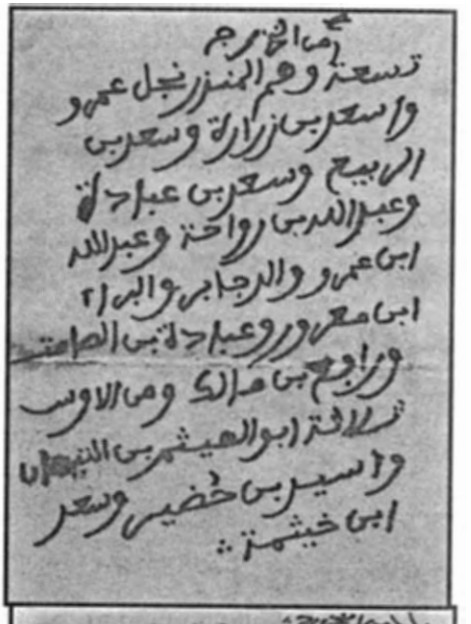

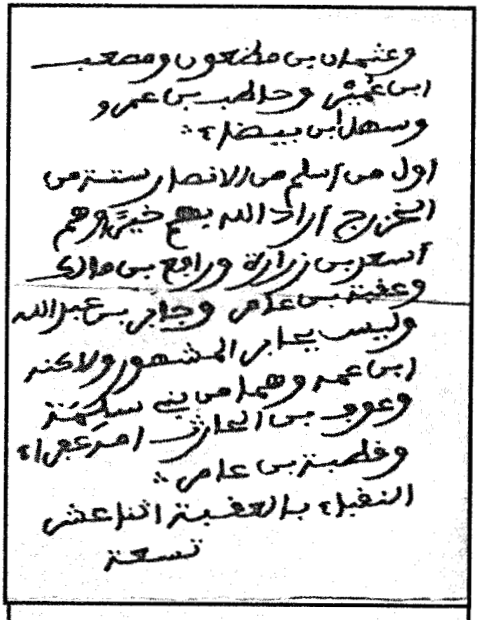

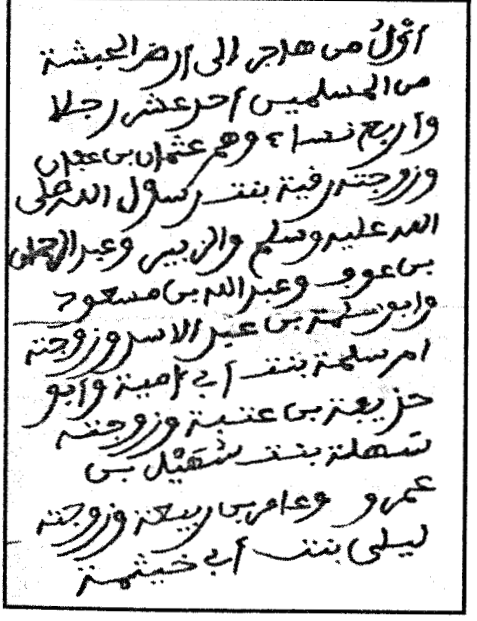

نماذج من محاضر استماع للإذاعة،
معدة لعبد الله

في 1.6.62

(أنباء لوندون وباريس)

ذكرت إذاعة لوندون في كلمة العلان البارحة بوجه إن يتخلى الخمسة الثلاث
عن رئاسة الوزراء وقال إن هذا لا يبدو حتى واستطرد يقول إن جمع أنباء الفاصب
كما لا ينبغي وهذه الكلمة سيكون أول خلاف بين الملك وشعبه
ما زالت رابطة جمهورية الحمنكان أطلقت عليه النار البارحة ووقع الفلام عسكري
على الحكومة ثم يغادر باريس غدا متوجها إلى جنيف عاصمة النمسا حيث يجل
فيها أكثر من شهر في انتظار له كان أكثر من شهر على البارحة ضيفا على رئيس
الجمهورية في رحلة رسمية إلى النمسا ثم على عاصمة الضباب البارحة وصل
على كل منهما بخمسة عشر سنة سجنا مع الأشغال الشاقة وبغرامة مالية قدرها
واعمال العنف والإرهاب جاريتين في مدن الجزائر وفي باريس نفسها وفي الحدود بين المغرب
والجزائر ثم عفو نائب رئيس الجمهورية ما بين الدار البيضاء ثم مدينة الصويرة قال جيم
لاندا عين الرحمة أو يقين وقد وجه رسالة خطية ما عين البر وجه رسالة مماثلة الشيوعيا
وهو حزب يسير سرا ولا عين قانونية والجمهورية العربية المتحدة

أعلن البوليس جنوبا عاصمة سيكون في الرباط في هذا الشهر بين الملك سعود والملك حسين
وعبر الناصر ونصب جهود واسعة هذا الملك حول أنباء بين الرؤساء وتسوية
الخلافات بينهم وخص البعض واستطرد حفوف العرب وقلوبهم ثم جاء مع
وصل الوفد صباح اليوم في الساعة الثامنة والنصف وقوبل بحفاوة واحتفال كبيرين
عبر المطار حضر هذا الاستقبال الحاضرون والنواب وأشخاص بارزة أخرى منها سعيد والنور
موريتانيا ما أتيحت امتيازات ولعل الكهرباء فيها كما بين أوغيرها الأربع مدارسها
على شرف اليوم أصبحت في استطراد كما قال الفاكهون معها وهذا بالنسبة لما كان
فإنها ما كانت تعرف الاحياء بلغ اتمادات العلوية تزجى سلاستها والأولاد
والمعارف الابتدائية وإذا لا أكتب الا وضع الحال للخمسة والأربعة العلج في روح منذ أمس
محمد به العقل سلام نحو إنجلترا بشوهه لآخر عمله لا نرما ما ورد ينتظر الأفكار ويعقوب الفاء
فاء منذ وصيف الى العاصمة عبر الحبشة والسلام ؟

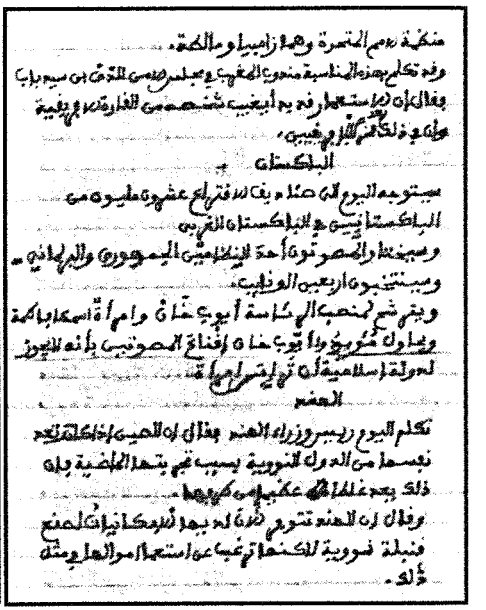

منكفة رهم المتعرة وهما زاميا وما لكة.
وقد تكلم بهذه المناسبة منوب المغرب في مجلس وضع التوقيع على اتفاق يرمي الى استعمار فرنسا بالمغرب، فقال ان هذا الاستعمار قد أبعد شخصية المغرب وقضى على كيانه الدولي.

البلكستان

سيتوجه البرو الى هذا البلد يوم الاثنين القادم بعثة وفيرة من البلكستانيين الى البلكستان الغربي.
وسيمثل البلكستان في احتفالات اليوبيل الذهبي والفضي وسيتبرعون بأربعين الف روبية.
ويترشح لمنصب الرئاسة أبو خان وامرأة اسمها باكمة وعادل مرويخ وابو بخان. وقد أفتى المفتي بأنه لا يجوز لدولة إسلامية أن تولي امرأة.

العهد

تكلم البرو رئيس وزراء الهند وقال ان الهند اذا كانت قد نفسها من الدول النووية بسبب ما حدث في الماضية فإن ذلك لا يعد غلطا لا يمكن اصلاحه.
وقال ان الهند تتوخى كل الحذر بها لم يكن بإمكانها لمنع قنبلة نووية للكشف تراجعا عن استعمال هذا السلاح مثل ذلك.

بـ ١٠-١٠-٧٠

موريتانيا

سيقام اليوم حفل تتويج ملك موريتانيا وزير المالية في مكرمة الجنرال بعد ان قضى أربعا وعشرين ساعة وانه كشف اجره خلال هذه المدة مع وزير المالية الموريتاني بعد الغداء وكانت هذه الساعات تتعلق بالمشاكل الفنية بين البلدين.
ومن جهة اخرى من مازال المستشار وأهل هذه ثلاثة مع الوزير بوزير جان بعد ان مثل بكار وفدا مع صيد كور وسيعود الى العاصمة انواكشوط يوم الثلاثاء المقبل.

البرازيل

ستحتفل البرازيل بالذكرى المئوية لثورة تعاقبة وشنق زعيمها الجندي الاسطوري تيرادنتس الذي صوت له ملايين من مواطنيه في مسابقة التي نظمتها محطات الاذاعة والتلفزيون مع لفوز من الشاعر البرازيلي وليم باريك.

لقاء السوفيات وريغان

وقع لقاء السوفيات الريغان نسائيا فيه تبادلت بينهما وبعدها مضت في نساء السوفيات فرضا كوبيل الى جيل.

الصين

عقد الصين الشيوعية اليوم الى عدم اجتماع ولم تعلن فيه التجارب الذرية.

مجلس الامن

تكلمت البرو ولنظام الى مجلس الامن بكلمة الختام الى

الانباء من موريتانيا الى والنيجر الجزائر البرو ٢٤.٦.٧٠ ما

ـ اجتمع مجلس الوزراء أمس النواب البرو الجلسة العادية برئاسة رئيسه الشيخ سيدي تناقش عشرة البرو الاتجاه بين موريتانيا وبين نسق حضر جلسة الجلسة العشرة الموريتانية ■ حكومة مالي واسعة

مازال موجودا كيتة بالعاصمة لوندون وستة فترة الاتصالات حول التعاون الاقتصادي والعسكري والتقارب والعلاقات بين مالي وبين نسق. وذلك رفع علم الثورة اسلحة وقعت بين جيش وموجود كيتة ايضا مازال بلدة مالي اعلن البرو رسميا بمناسبة ان التعليم الموجود حاليا في حسب وزارة التعليم الفيلم وقد استقال المغرب جميع المعلمين لمعلم مالي وذلك على اثر التوترات الجارية الجهة بين البلدين ■ الايام الاخيرة أوان زيارة موجود الى المغرب ■ ستقال اجتمع مجلس الوزراء أمس موجود مجلس وجيه وصوت على القرار رئيسا على حكومة كبير وضرب الشعاب العليا ملك وقد حيث أكد الحكومة الجديدة وقدم نواب البرلمان حول الوضع احتجاجا على التعديلات وقدم نواب البرلمان مرة أخرى بيانا حول التقسيم والحدود واعلن رسميا ايضا حدود الجزائر ■ ستقال في عدد نواب البرلمان وقال ان مسألة البلاد لا حدود الجزائر في مرسيل بين وزير ■ مجلس الوزراء اجتمع مجلس الوزراء في حيث أكد الحكومة الجديدة وقدم نواب البرلمان حول الوضع احتجاجا على التعديلات وقال ان مسألة البلاد لا حدود الجزائر في وقد أعلن مجلس الوزراء التجارب الذرية في فرنسا وقد أعلن مجلس الوزراء أن يتخلى عن حضورها وأن أجرى بعد السادس

الانباء من موريتانيا الى والنيجر الجزائر البرو ٢٤.٦.٧٠ ما

ـ اجتمع مجلس الوزراء أمس النواب البرو الجلسة العادية برئاسة رئيسه الشيخ سيدي تناقش عشرة البرو الاتجاه بين موريتانيا وبين نسق حضر جلسة الجلسة العشرة الموريتانية ■ حكومة مالي واسعة

مازال موجودا كيتة بالعاصمة لوندون وستة فترة الاتصالات حول التعاون الاقتصادي والعسكري والتقارب والعلاقات بين مالي وبين نسق. وذلك رفع علم الثورة اسلحة وقعت بين جيش وموجود كيتة ايضا مازال بلدة مالي اعلن البرو رسميا بمناسبة ان التعليم الموجود حاليا في حسب وزارة التعليم الفيلم وقد استقال المغرب جميع المعلمين لمعلم مالي وذلك على اثر التوترات الجارية الجهة بين البلدين ■ الايام الاخيرة أوان زيارة موجود الى المغرب ■ ستقال اجتمع مجلس الوزراء أمس موجود مجلس وجيه وصوت على القرار رئيسا على حكومة كبير وضرب الشعاب العليا ملك وقد حيث أكد الحكومة الجديدة وقدم نواب البرلمان حول الوضع احتجاجا على التعديلات وقدم نواب البرلمان مرة أخرى بيانا حول التقسيم والحدود واعلن رسميا ايضا حدود الجزائر ■ ستقال في عدد نواب البرلمان وقال ان مسألة البلاد لا حدود الجزائر في مرسيل بين وزير ■ مجلس الوزراء اجتمع مجلس الوزراء في حيث أكد الحكومة الجديدة وقدم نواب البرلمان حول الوضع احتجاجا على التعديلات وقال ان مسألة البلاد لا حدود الجزائر في وقد أعلن مجلس الوزراء التجارب الذرية في فرنسا وقد أعلن مجلس الوزراء أن يتخلى عن حضورها وأن أجرى بعد السادس

قطعة من آخر ما قاله وضمَّنه

العلامة محمد سالم ولد عدود

من الدعاء لأسرتنا

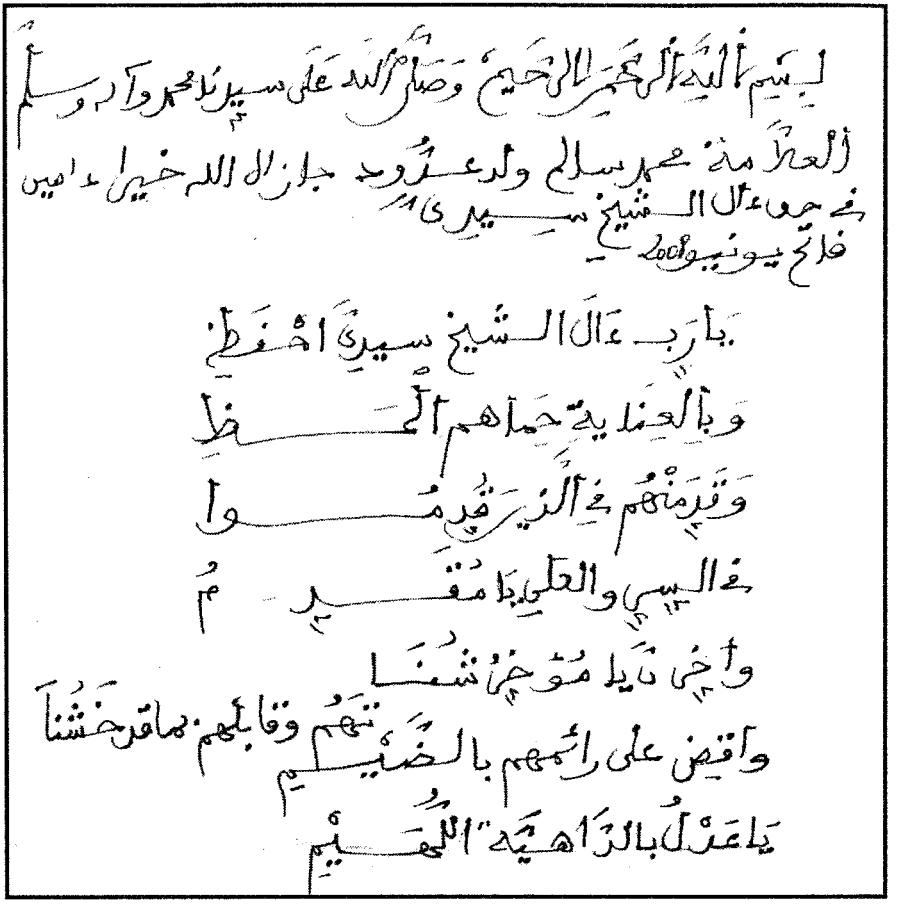

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

العلامة محمد سالم ولد عدود جازاه الله خيرا آمين

في حق آل الشيخ سيدي

فاتح يونيو ٢٠٠٥

يا رب آل الشيخ سيدي احفظ
وبالعناية حماهم احفظ
وقيدمنهم في الزير قدموا
في السير والعلى بالمقدم
وأخر نايلا مؤخر شنا
واقض على رائمهم بالخيبة
يا عدل بالراهية اللهم

الحياة في الحي

هنا تتولى جدتي الشانه، واسمها الحقيقي فاطمة السالمَه، إدارة كل الأمور. ففي غياب جدي، تحوز هي كل الصلاحيات. تدير الشؤون من تحت خيمتها، خيمتنا، وتتخذ القرار في كل شيء. كان أحمدُّ ولد أعمر يساعدها في أغلب الأحيان. فهذا الوجيه الكبير المعروف عندنا كان دوما في الصفوف الأمامية في أوقات القرارات الحاسمة. له ذاكرة أسطورية تمكنه من قص تاريخ أسرتنا الذي يعرف أدق تفاصيله. كانت أحاديثه التي لا تنسى مليئة بالحِكَم. رافق باب في رحلته إلى آدرار، في بداية القرن المنصرم. وسيظل بعد ذلك رفيقا وصديقا حميما لعبد الله. بالإضافة إلى ذلك، كان شجاعا في المعارك ومتمرسا على السلاح. أتضرع إلى المولى جل جلاله أن يجعل الجنة مثواه. بفضل شجاعته، كان أحمدُّ أيضا يعرف كيف يخرج سالما من الأوضاع الخطيرة. يقول الرئيس المختار إنه مدين له إلى الأبد بحياة والدته التي أنقذها لما ضلت الطريق وأشرفت على الهلاك عطشا.

كان مسكننا فسيحا. حددت أودت ابيغودو Odette du Puigaudeau التي كثيرا ما تزورنا، بفضولها المعهود، أبعاده بعشرة أمتار في عشرة. في الحقيقة، كانت أطواله 15 مترا في 12.

وأضافت أن الشانه ملكة عجوز سمينة، تتكلم بغنة.

ربما كانت سمينة، خاصة في نظر فرنسية تجهل أن حجما معينا يعتبر مقياسا أوليا للجمال في مجتمع البيضان التقليدي في ذلك الزمن. في تلك الفترة، لا ينبغي أن ننسى كثرة المجاعات وأن تسمين النساء ربما شكل احتياطا للأيام الصعبة. أما الغنة، فإنها لم تكن لها على الإطلاق. كانت فقط تتحدث ببطء ودون أن ترفع صوتها، محافظة بذلك على السلوك المطلوب في الأوساط ذات التربية الحسنة.

كل شيء عندنا مصنع يدويا: الخيمة نفسها من الوبر، الحبال والحصائر

والأواني والوسائد. كنا، نحن الأطفال المنحدرون من كافة مكونات الحي الاجتماعية والعرقية، ننام سوية تحت غطاء كبير مصنوع من جلود النعاج المدبوغة، يسمى محليا بالفرو.

كان يسكن معنا أيضا هنالك العديد من المواطنين الأفارقة. هكذا أصبح بمقدوري مبكرا أن أتكلم وأفهم عدة لغات إفريقية. تحت الغطاء، لم يكن هنالك أي تمييز على أساس الأصل الاجتماعي أو القبلي أو غير ذلك. توفر تلك الطفولة المناعة من الأحكام المسبقة والنزعات الانطوائية الهوياتية التي ستفعل فعلتها لاحقا. وكانت في حينا عائلات تتحدث لغة البربر وتستخدمها للحفاظ على أسرارها وخصوصياتها.

وبالرغم من ظروف العيش التي تكون أحيانا قاسية، فإن كل شخص يحتفظ لنفسه بمساحات للترفيه والانبساط.

في جنة صبايَ هاته، كان عالمَنا نحن الصغار يحافظ على تراتبيته وتنظيمه الأفقي. هنالك المتميزون في ألعاب الكِعاب والقفز أو في مجال تتبع آثار فرائس الصيد البري. لنا كذلك رئيس يلزم الانصياع لأوامره. يمكن أن يتعرض من لم يفهم ذلك لعقوبة إبقاء رأسه مدسوسا لوقت معتبر في مغارة الأرانب أو الثعالب.

كانت التراتبية سارية كذلك بالنسبة للكلاب التي يتم التعامل معها حسب مهاراتها في مجالات السرعة والترويض واليقظة، وهي المهارات التي اجتمعت في نسل ديسَه، تلك الكلبة المشتهرة بين منافساتها.

في كل واحد من أنشطتنا، تكون النخبة معروفة، محترمة ومحط إعجاب. على سبيل المثال، كان السبق في مجال الكرة التقليدية من نصيب أخي زيد ولد اعبيد، بصفته أفضل مهاجم من بيننا، رحمه الله تعلى برحمته الواسعة. كان الأمر نفسه ينطبق على كل موهبة: حفظ القرآن العظيم، حسن الخط، الغناء، السرعة، إلى ءاخر القائمة. كانت جائزة الأفضل هي التقديم المرغوب فيه في الشراب والحق في اختيار أفضل

عضو من شواء الأرانب.

كان شأن التدبير اليومي مسؤولية الشانه، تسهر عليه. كنا نعيش باكتفاء ذاتي، مستقلين في كل شيء، ما عدا مواد السكر والشاي والقماش التي تأتي من الخارج. لم تكن العولمة قد مرت من هنا.

منذ أيام، هز حينا نقص كبير في بعض المواد، أثناء كتابتي لهذه السطور. ما السبب؟ كانت المواد المعنية على متن باخرة تمنعها الأمواج العاتية من الرسو بالميناء. هكذا يخنقنا الخارج وحالة البحر. لم تكن هذه الظاهرة في الحسبان مدى طفولتي. فنحن نعيش اليوم كارثة من أعظم الكوارث، متجسدة في فقدنا السيطرة على مجرى حياتنا ذاتها. من الواضح أن السيادة والاستقلال مفهومان متغايران.

كان مجيء الضيوف الكبار يغمرنا فرحة، بنفس المستوى الذي يقع لنا في حفلات الزفاف.

حسب العادة، يمكث الضيف ثلاثة أيام دون أن يكون عليه تبرير مُقامه.

من المؤكد أننا من الدول القليلة التي لا يحتاج فيها المسافر لاصطحاب الزاد، متأكدا أنه سيجد السكن والغذاء أينما حل، كما كان الحال بالنسبة لرعاة فيرجيلVirgile الذين يقولون لضيفهم: " أقبِل لتغتسل وتشرب حليب ضأننا، واعلم بأن سكننا سكنك. " كرم الريفيين إذا موغل في القدم. بعض الناس يفرطون في الاستفادة من هذا الكرم، مختلقين أعذارا واهية للقيام بأسفار متواصلة. الله وحده يميز الصادق من الكاذب. يضع السكان كل ما لديهم في متناول الضيف ويتشرفون باستقباله.

تدوم حفلات الأعراس طيلة أسبوع. تتحسن في أيامها الوجبات بصورة ملحوظة ويخف الضغط علينا بعض الشيء، وهو ما يكفي لجعلنا سعداء طلقاء.

بالنسبة للطعام اليومي، يسود لدينا الطبخ المعد للجمهور العريض. توظف الشانه في هذا المنوال عدة عاملات لكل واحدة منهن طريقتها الخاصة. لم تكن في

الغالب وجباتهن لتروق لي، إلا في حالة الاضطرار. لم يمنعني الأمر من محاولة أي شيء للاستفادة من جود كل واحدة منهن. للفوز بذلك، كنت أعتمد على معرفتي الدقيقة بطباع كل واحدة منهن، الأمر الذي لا غنى عنه. كانت الغالبية العظمى والمتعطشة من المستهلكين تنتظر تحت خيمتنا فراغهن من تحضير الطعام.

تمتاز سعيدة ببرودة أعصابها وطيبة طباعها. لا يزور زوجها صمبَ إلا أصدقاءَ قليلين ولا يأتي إلى عبد الله إلا عند عودته من السفر. كان يزرع حرثا صغيرا بالذرة والبطيخ في موسم الخريف. كانت شجاعته أسطورية، علما أنه ألجأ جماعة من اللصوص للفرار دون أن يكون له سلاح غير حزامه. هنالك سبب إضافي يجذبنا إلى سعيدة: كلبها غزبار، الحائز على قصب السبق في كل الأزمنة، نفضله على غيره وتغمرنا السعادة عندما يَقبَل مرافقتنا في رحلات الصيد.

كانت اسْتَيَّ، ذات الأصول الهَلَيْبِيَّةِ التي ربما جهلتها، إحدى هذه العاملات. فقد انتُشل والد جدها مشرفا على الموت عطشا، بعد سبيه من طرف محاربين. خلصه جدي الأعلى من عبوديته وأعاده لعائلته. هرب في جنح الظلام من قريته ورجع بين ظَهْرانينا. كان لاسْتَيَّ طبع حاد ولم تكن تتوقف أبدا عن الكلام، حتى لو كانت لوحدها. بجانبها، كان ينبغي التزام الحذر على الدوام، لأنه من السهل عليها توزيع الضربات، مستخدمة أول آلة من أدوات المطبخ تقع في يدها. ومع ذلك، فإنها كريمة وعطوفة على الكل.

أخيرا عيشاتَ التي كانت قوية ونشطة. حدثني أحد الثقات أنه وجد نفسه مرميا على الأرض، كما لو كان عود حشيش، جراء خلاف بسيط معها. كانت تنتشق مسحوق تبغ مخلوط برماد الشجر وتتكلم بغنة خفيفة. يجد جدياني ودجاجاتي غذاء كافيا قرب رحاها، من بقايا طحين الذرة.

كنا نتدافع نحو المطبخ، حاملين بعض الحطب على رؤوسنا، طمعا في الحصول على مكافأة غذائية صغيرة مقابل ذلك. سيعرف هذا النمط لاحقا ببرنامج الغذاء

مقابل العمل.

أصبحت لها ذرية ناجحة من بينها أخي وصديقي محمد ولد مسعود، الأستاذ المبرز الذي ترك بصمته في رحاب أسرة التعليم.

تزاول عيشاتَ مهنة أخرى، من أشد المهن رهبة: فهي طبيبة أسنان الحي. لتعذيبنا، كانت تستخدم موسى المطبخ الكبيرة التي لا تفارقها. تُضجع الطفل وتجلس فوقه قبل البدء في العملية. تحداها مرة أحد مسني الحي قائلا: لست خائفا منك لأنه لم تعد لدي أسنان تنزعينها. كان الوحيد الذي يستطيع الحديث بهذا الأسلوب. في صغري، كانت عيشاتَ تسكن كوابيس نومي. أسأل الله لها الرحمة ولزميلاتها اللواتي نعتبرهن أمهات.

أقرب منا وتحت الخيمة على الدوام، كانت هنالك مَنِّي. لقد عاشت صحبة أختها جِدَّاهَ في الجوار اللصيق لجدنا الأعلى باب الذي لم يكن يكل احتياجاته اليومية إلى غيرهما. في صباي، كان مصدر أغلب ثقافتي الدينية نابعا منها، كما أن أدعيتي مروية عنها.

وبالرغم من سنها المتقدم، فإنها كانت على الدوام ضمن المبصرين الأوائل لهلال رمضان، عندما يتجمهر الكل بحثا عنه. عندئذ تقول: امشَ لامشاتْ عنَّ بركتُ (ذهب لا غابت عنا بركته). بالنسبة لها، يكون شهر الصيام الذي هلَّ لتوه قد انتهي عمليا. كانت ثابتة لا تتزحزح، ديِّنة ومتفلسفة، تعتبر زمن الأحياء في طور الهروب وأن كل بداية هي في الحقيقة نهاية مسبقة. كانت تنتظر الموت بفارغ الصبر لتخلد في الزمن المطلق المختلف عن زمان الإنسان العابر. قيل إنها بدت مبتسمة عند موتها، كما لو وصلت إلى غايتها المنشودة.

تعد الوجبات بالأساس من دقيق الذرة. تضيف لها الشانة في المساء حليب أبقارنا ونوقنا، قبل أن تشرف على توزيعها. يُبدأ بالصغار وغير متزوجي الجوار المباشر. تتلو ذلك عائلات الحي التي تسير نحوها وفي كل الاتجاهات عشرات

الأواني، يحملها حمالة كثر متحفزون، يرجون الحصول على الثواب الإلهي الموعود.

شكل ديننا وسكننا المفتوح ونظام حياتنا المتكافل عراقيل فعالة أمام التقوقعات الفئوية والفوارق الصارخة في مستويات المعيشة. في حينا، كان هذا المستوى متواضعا، لكن على الأقل لا يشعر أي شخص بأنه فقير متروك لحاله.

التقوى والمعرفة وحدهما يمثلان المرجعية الحقيقية التي تثلج الصدور. تضاف إليهما أوقات مساواة مطلقة إبان صلوات اليوم الخمسة وأمام الموت، وكذلك في أوقات الطعام التي يصعب التمييز فيها تحت الخيمة.

الناس هنا بسطاء وكرماء. عندما يكون الفقير فقيرا، فإنه لا يعيش فقره كمأساة، بل يميل إلى تناسيه، بسبب غياب مظهر التفاوت. بالطبع هنا، كما هو الحال في الأماكن الأخرى، لا يزيل التغافل الوضع، لكنه يمثل تخفيفا بسيطا لوطأة هذا الغبن وهذه الفظيعة المنتشرين. فالموضة الراهنة القاضية باستعراض كل ما يملك المرء، ومرات ما لا يملك، غير مفيدة وتعتبر تحديا خطيرا. بالنسبة للغالبية من مواطنينا، فإن هذه المظاهر لا تعدو كونها نتاجا لنهب ثروات الدولة. وفي قرانا و"آدوابانا"، أي قرى الأرقاء السابقين، فإن الفقر أصبح بمثابة اعتداء، وبصورة أكيدة حرمانا من الحقوق. من الملح معالجة ذلك. فتلك معركة بقاء مصيرية للحمة شعبنا واستمرارية مؤسساتنا.

المساواة عند الولادة وفي المدرسة وأمام القانون والقاضي، بالإضافة إلى عدالة توزيع الثروات، تلكم محاور ينبغي التفكير فيها، ولا يمكن لغير الدولة خوض هذه المعركة.

إذا كانت هذه الجراح قائمة في حينا، فإنها لم تكن بادية لعينَيَّ كطفل ولم يكن الفقر سببا لفقدان المركز الاجتماعي، بل كان على ما أعتقد يلعب في بعض الأحيان دورا جاذبا مرغوبا فيه عند بعض الأسر. بصورة مستغربة، كانت بعض العائلات

المتضررة منه تحظى باحترام الآخرين. وعلى العموم، لم تكن هنالك أي نظرة ازدراء أو غطرسة. ألم يقل لافونتين La Fontaine في موضوع الأرنب والطاووس أنه لا ينبغي الازدراء البتة بالفقراء، لأنه لا يوجد من هو على يقين من بقائه سعيدا إلى الأبد؟

هنالك تفاوت كبير في أنماط الحياة، وكل عائلة تحتفظ بنمط منطقتها الأصلية. كمثال على ذلك، فإذا كان "العيش" المصنوع من دقيق الذُّرة المطبوخ يحتفظ بمكانته المرموقة، فإن "بدعة" العَشاء "بالكسكس" هي القاعدة عند أهل مَگْـيّه. ظلت هذه الأسرة تحظى بمعاملة خاصة من طرف الشانه، على غرار مثيلاتها القادمة من بعيد. وقد أرضعت أبناء هذه العائلة ليصبحوا بذلك إخوتنا، وما فتئت تبالغ في إكرامها. تقول خالتي زينب إنها تتذكر في صغرها مجيء إبراهيم الملقب بَلاَّهَ وزوجته فاطمة، من قبيلة أولاد الناصر.

أبو هذه الأسرة رجل نبيل بامتياز، اكتسب النبل بنفسه ومن الأمجاد التليدة لقبيلته. بطبيعته القوية، كان يرفض الضيم والاستسلام باستمرار، وهو ما عرضه للدخول في نزاعات مع السلطات الفرنسية في أطار. لهذا السبب وبطلب من عبد الله، أتى للمُقام معنا.

كانت لبلاهَ معرفة واسعة، إضافة إلى كونه شاعرا مفلقا يحبذ المساجلات الشعرية التي دأب على تعاطيها مع أصدقائه. ما تزال أشعاره تروى إلى اليوم. عندما حانت عودته لآدرار، التحق به ابن أخته اعلِ ولد تَكَدِّ. بكت والدة الأسرة بحرقة وامتنعت من الذهاب، فاقتضي الوضع تدخل الشانه لحملها على القبول بالأمر. وقد أهدتهم خيمتَنا وأربع نوق بفصلانها كزاد للسفر، ووفرت لهم مرافقَيْن.

في كل تنقل للحي بحثا عن الكلأ، تكون الشانه آخر من يرحل وتوصي على ألا يُنسى أي أحد. تُتحف الأسر الكبيرة بكبش أو تيس للغداء، تعويضا عن تعب السفر. يتم تجاور المجموعات وفق الأصول أو الصِّلات المهنية. كان حي الصناع

التقليديين، ينبغي أن أقول الفنانين، لأنهم بالفعل كانوا كذلك، هو المفضل بالنسبة لي، أذهب إليه في الغالب.

هنا يصنع كل شيء بذوق وعناية. كل ما هو مفيد وضروري للحياة يخرج من هنا. حتى ألعابنا نحن الصغار، التي ربما اعتبرها البعض غير ضرورية، يتم تصنيعها من طرفهم. هكذا يتخصص بعض هؤلاء الصناع في إنتاج ما يسمونه سيارات نسحبها وراءنا بخيوط. يثبّتون عليها بالأساس صناديق خشبية مصبوغة، على كل منا أن يملأها بمواد مفيدة، كالذُّرة. وبالطبع، كانت محاولة جعلها ذات مردودية قصوى تقتضي زيادة أحجامها لتشحن أكثر فأكثر، رغم اعتراض أمهاتنا. لا يهم، كانت سيارات جميلة وبكل لون تجوب الحي طيلة اليوم وفي كل الاتجاهات.

يتواصل الكد طيلة النهار في هذه الناحية، إذ تظل المسابك الصغيرة مشتعلة لصهر المعادن، لكن أيضا لإعداد الشاي وطهي الأكل. كل ما يستهلك هنا لذيذ، خلافا لما عليه الحال عند أهلي، لكون طعامهم معدا لجمهور المستهلكين. وهو ما تترتب عليه وجبات عادية تكفي سواد الناس. على النقيض من ذلك، تكون الكميات المعدة عند الحرفيين بأحجام أقل، يسهل التحكم فيها جيدا، ويسهم الكِيرُ كثيرا في تحقيق ذلك.

لا يفوت الأمر المسافرين القادمين من الخارج، فيختارون النزول في هذا الحي الذي يستطلعونه خفية بمجرد وصولهم. صحيح أنه بوسعهم أن يصلحوا فيه رحالهم المكسورة أو يقتنوا الأدوات الضرورية.

مقارنة مع باق الحي، فإن الوفرة النسبية هنا حقيقية، لا تخطئها العين، إذ يمتلك رؤساء العائلات الكبيرة الأبقار وجمال الركوب. وهم في الغالب متعلمون، يحفظون القرآن ويحافظون على مكتبات صغيرة. يكون في أكثر الأوقات حولهم تلاميذ يتعلمون كتاب الله وشبان يدرسون علوما أخرى.

هنا يمكن التأكد بسهولة من عدم صحة النكتة القائلة بأن الإسكافي لا يرى أبعد

من النعل وأن الحداد لا يبتكر إلا بيده. ففي هذه المِهن، يكون استجداء الذكاء والتخيل والذوق متواصلا دون توقف. وبالفعل، فإن حرفيينا يشكلون نخبة حقيقية.

منذ بزوغ الفجر، تكون هذه المنطقة سباقة إلى الانتعاش بنشاط يستمر طيلة اليوم. يصطف الرجال والنساء فيها لتسلم طلباتهم. وفي المقابل، يعطي كل واحد حسب قدرته، حبوبا أو سكرا أو شايا؛ أحيانا قماشا أو ببساطة يقوم بالدعاء لهم. كل الأشياء المصنوعة هنا يكتنفها الجمال والشعر ويسِمها نبوغ مبتكريها. يدرك السكان ويتعرفون بسرعة على سِمَة كل حرفي، مما يُذكي روحا تنافسية ما ومجهودا كبيرا للوصول للجودة.

يتم كذلك تعاطي الطب التقليدي في هذه المنطقة. فمريم وأختها فَلِّي امرأتان تلعبان أدوارا متعددة. وهما كذلك معروفتان كمولدتين، تساعدان الأمهات وتداويان المواليد الجدد، كما يستفيد أطفال الحي من خبرتهما في معالجة العديد من الأمراض، كالسعال الديكي الذي تداويانه بلبن الحمير، وأمراض العين التي تستخدمان ضدها عروقا صغيرة لشجر الإهليلج (تَيْشَطْ، بالحسانية)، مغلية في ماء تغسل به العين قبل أن يبرد. يسمى هذا السائل الخارق بإفَرْ، ويستخدم كذلك صابونا لغسل الثياب، عند فقدان هذه المادة.

في حال الأمراض الخطيرة، تستدعي الشانة الطبيب القدير أوفى الملقب اباه، بتغليظ الباء، احتراما له. يُرسَل إليه ركوب مروض في بتلميت، حيث يسكن وينتاب الصبيان خوف لا يوصف فور رؤيته.

يبدأ هذا الطبيب المتمرس دائما بالاستماع المتأني للمريض ولمحيطه، ثم يأخذ نبضه عبر الضغط بإصبعه على الوريد وينكس جفنه قبل أن يفحصه. بعد ذلك، يأمر بالحمية التي يجب اتباعها. أحيانا، يقوم بالحجامة، ذلكم المشهد المروع، مع أنها علاج معروف في زمن الرسول ﷺ، لكن ينبغي للطب المعاصر أن يطوره.

في بعض المرات يعطي هذا الطبيب الماهر مسهلا قويا من السَّنا، مع الاحتفاظ

لنفسه بسر الخلطة التي يصنعه منها.

ينطلق في المساء وعلى ضوء القمر حفل موسيقي صغير، على الأصح أصوات، قبالة مسكن سارة. تجد هذه العاملة يومها بالجلود إلهامها مساء لتتحول إلى شاعرة. كل الأطفال يروحون هنالك، مغمورين بفرحة عارمة. ترتجل الشاعرة مقاطع وأغاني يمتزج فيها كل شيء: إنتاجها الشخصي، لكن أيضا إنتاج جيرانها والشعر الجاهلي، مرورا بأهازيج ترقيص الأطفال المدبجة في شخصيا من طرف الشانه. ولنعترف بأن هذا المجال لم يكن مجال تخصصها.

يمكن لفرح اللحظة أن يجر الكل للرقص والشدو. يلتحق بنا الرعاة بعد الانتهاء من أعمالهم الشاقة ويروون لنا حصيلة يومهم: حالة المراعي، العثور على ضوال الحيوان أو الوقوف على آثارها، إضافة إلى أنباء الضواري الخطيرة على الماشية.

بالمناسبة، لا يفوت أيا منهم أن يعرض مهاراته في العدو ودقة التصويب.

من بين الكل، كان سيد سالم يستحوذ على إعجابي.

نبقى مشدوهين أمام المشهد وتنمو بداخلنا رغبة جامحة في أن نصبح رعاة، مثله. عندما كان مكلفا بحلب الماعز، دأب سيد سالم على تغذيتي من لبنها الساخن واللذيذ. كميزة عليا، لم يكن للمعارف المتعلقة بالكلاب أي سر بالنسبة له. يوصي بتقليم آذان الدابة أو إخصائها وقطع ذيلها، لأن هذه العمليات ضرورية لإذكاء فطنتها وجعلها أكثر سرعة وقدرة على الصيد، زيادة على تجنيبها بعض الأمراض.

أحب الحيوان وصحبته التي لا أملها أبدا.

عندما أصبحت راشدا، ازداد هذا الإحساس لدي، أمام صعوبة فهم الرجال وغرابة سلوكهم، مما دفعني دفعا نحو الحيوانات. يضاف إلى الأمر أنه، على ما أظن، موروث بالنسبة لي من بعيد.

أرافق عبد الله خارج الحي، إبان خلواته الروحية أو لتكرار القرآن العظيم. ننزل بالقرب من أحد قطعاننا وفي اتجاه الرياح، رغبة في تنسم روائح البهائم. هكذا

يسترجع أصوله، فورثت منه هذا الميل وهذه الجاذبية نحو الحيوان.

تحضرني في هذا المقام ذكرى مسن كبير، الدَّيْشْ، الذي كان في سالف الأيام راعيا لوالد جدي، باب، بداية القرن الماضي. وهو في هذه الأثناء متقاعد وخرِف، يعيش معنا تحت خيمتنا، يلقي السباب للكل، دون أن يصغي له أحد. لما كان قادرا على المشي، كان يلزم نفسه بالذهاب مبكرا إلى البئر، يدور حولها ويعود بالكثير من الأخبار، كآثار الحيوانات القادمة للشراب أو الأشخاص الغريبين على الحي.

بالنسبة للدَّيْشْ، لم يكن هنالك أدنى شك في أنها تعود لسارق متربص في الأرجاء.

يحدث الكل، دون أن يُطلب منه ذلك، بفصل من حياته أثر فيه كثيرا. يروي مرة أنه نزل بقطيعه الموبوء بالجرب قرب مشتلة من اليتوع (إفرنان، بالحسانية) يداوي بسائلها هذا الداء. أمره باب بتقديم نفسه للأمير أحمد ولد الديْدْ الذي يراقب المنطقة مع فريقه المسلح.

تم استقباله بحفاوة وأصبح يحصل يوميا على هيكل غزال (اصْكِيطَه، بالحسانية). لم يستطع أحد ممن تحت خيمتنا أن يعرف بالتحديد ما الذي أثر في الديش: أجربُ إبله أو لقياه للأمير أو لحم الغزلان؟

كانت الأعياد الدينية، وبالأخص عيد الأضحى، أوقات أفراح لا تنسى. تؤدى الصلاة المعهودة ذلك اليوم، يؤمها الشيخ محنض الذي ما يزال صوته المتميز يرن في أذني. بإمعان الإنصات له، يخيل إليك أنه يجد صعوبة في الكلام، أو يعيش لحظاته الأخيرة، مشرفا على الموت. وفجأة ها هو يعود فيما يشبه المعجزة. يعم الصمت المطبق حول محنض، عندما يتحدث، فيستمع الكل بخشوع لما يقوله.

زيادة على شهرته كأديب وعالم وشاعر، فخطه جميل للغاية، الأمر الذي جعل باب يلاحظه لأول وهلة عندما رأى مصحفا خطته يمناه، فارتبطا بهذه المناسبة بصداقة لم يتخللها أي وهن. وهو مبجل بمديحية رائقة دبجها باب في حقه. لم تكن

سهولة الطباعة التي نعيشها اليوم قد ظهرت، مما استدعى اللجوء إليه لنقل الكتب النفيسة.

كان السن قد تقدم به عندما تعرفت عليه، مشتهرا بالتقوى والعلم. إمامنا مثال أعلى للرجل النزيه، على حد تعبير الناس. لكن ما يحويه من القيم الدينية لم يكن ليفسد الباقي، أي ملَكاتَه الأخرى. فهو خبير في مجال الفن الموسيقي وفي الأدب الشعبي، مما جعله بالتأكيد شخصية معقدة، كما برهن على ذلك في مناسبات عدة. تحتفظ الذاكرة الشعبية بارتجاله مديحية رنانة للمسمى البيضاوي. عندما كان هذا الأخير باشا تارودَنْتْ، أكرم وفادة عبد الله أثناء رجوعه من الحج، فدعاه بدوره لزيارته في أبي تلميت.

بينما الاحتفال به على قدم وساق إذ سمع قصيدة محنض، فما كان منه إلا أن خطا خطوات راقصة. وفي الملأ! هال الأمر الحاضرين فسجلوه في يومياتهم المحلية. في قصائد أخرى، يحترم الإمام المنظومة السلوكية للمجتمع الذي ينحدر منه، المعروف بضبط النفس. عندها يختار على الدوام أن يشير على نفسه بوصايا غامضة.

من أمثلة إنتاجه من الشعر الشعبي الحساني هذا المقطع المُهدى للبيضاوي:

ذ المجلـــــــس ظـــــــاوِ يـــــــمِّ بيـــــــه الِّ

فيـــــــه البيضـــــــاوِ والشـــــــيخ امَّـــــــلِّ

بمناسبة عيد الأضحى، كان عبد الله يوزع الكباش في كل الاتجاهات. كان المختار يقول، من باب المزاح، أنه يأمل ألا يُنسى، وشَيْخْنَ ولد محمد الاغظف يحدثني أنه يأتيه منها اثنان بانتظام. كذلك كان الأمر بالنسبة للحضرام ولد خطرِ الذي هو في الحقيقة ممثل عبد الله في انواكشوط، يعهد إليه بملفاته المهمة.

ظل المسار المهني للحضرامِ الشغل الشاغل لعبد الله. بعد موته بفترة طويلة، دأب الحضرام بدوره على تنفيذ طلباته، وفاء لذكراه. أرجو الله تعلى أن يغمره برحمته.

في عيد المولد، يأتي الدور على فرض الزكاة وتوزع على الكل في هذا العيد الملابس والأغطية، وحتى الأمواس.

بدورها، كانت جميع أيام فصل الخريف أعيادا للبشر والحيوان، يتوفر فيها الكلأ الطازج واللبن الوفير. في هذه الأشهر الممطرة، ينصح المثل بعدم استفزاز الناس، لأن تغذيتهم الجيدة وتمامَ صحتهم يجعلانهم غير مسالمين في الغالب.

كنا نحصل طيلة هذه الفترة المترفة على مئات النعاج الحلوبة. يشرف أكثر من عشرة رجال على حلبها، فيملئون كل ليلة وعاء ضخما ـ يسمى أسِلاَّيْ ـ من لبنها، قبل توزيعه على الجيران. سقطتُ مرة وغرقتُ في هذا اللبن، عندما كنت أمشي القهقرى في الظلام، في صباي المضطرب. تم تعليقي برجلَيَّ لفترة طويلة، في انتظار إفراغي من اللبن الخارج من فمي وأنفي. تترك هذه الأوقات ذكريات لا تفنى والشعورَ بالسعادة المتبادلة، الأمر الوحيد الذي له قيمة.

لم تكن جدتي تتنقل كثيرا داخل الحي، لكنها تزور عائلة أهل الشيخ ولد جدُّ مرارا. أرافقها بغبطة آملا أن أحظى بقطعة سكر أثناء حصة الشاي الذي يعد لها كل مرة بالمناسبة.

في حياة باب، كانت هذه العائلة الكُنتية قد أقامت معنا. يعود الفضل للطلب الملح لباب في التحاق الوالدة المومنَ بزوجها أحمد، فلم يبرحا عنا منذ ذلك الوقت.

تحت ضغط السن، تترك المومنَ ذكرى سيدة متئدة ذات قامة صغيرة، يتدلى شعر رأسها المشتعل شيبا على الحصير. وقد أرضعت أغلب ذرية باب.

كان عبد الله يتساءل أمامي: لما ذا لا تربط هذه الأسرة المحببة لدينا أيةُ علاقة نسب بعائلتنا؟ فلم أنس تلك الملاحظة.

أحمد ولد الشيخ ولد جد يودع الملك الحسن الثاني بمناسبة انتهاء مهامه كسفير في المغرب سنة 1971. بهذه المناسبة تم توشيحه بوسام العرش الملكي

الشيخ ولد جد

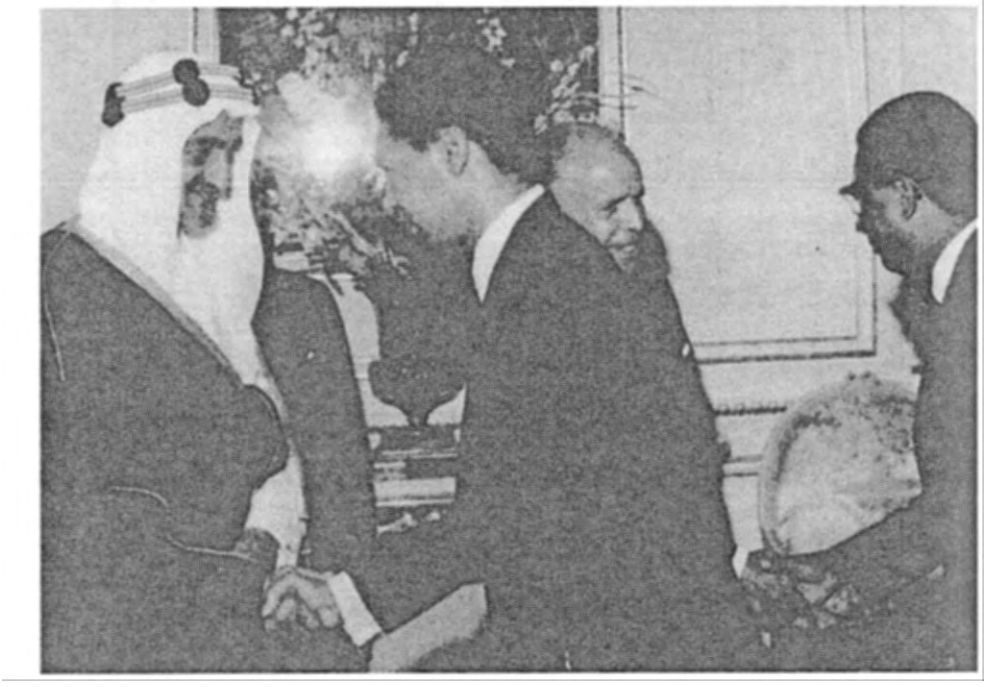

السفير في تونس، أحمد ولد الشيخ ولد جد، مع الرئيس بورقيبة
والملك فيصل بن عبد العزيز، بمناسبة زيارته الرسمية لتونس سنة **1966**.

أبيات وشجرة نسب

من إنشاء العلامة محمد سالم ولد عدود، وبخط أنامله، يناير 1972.

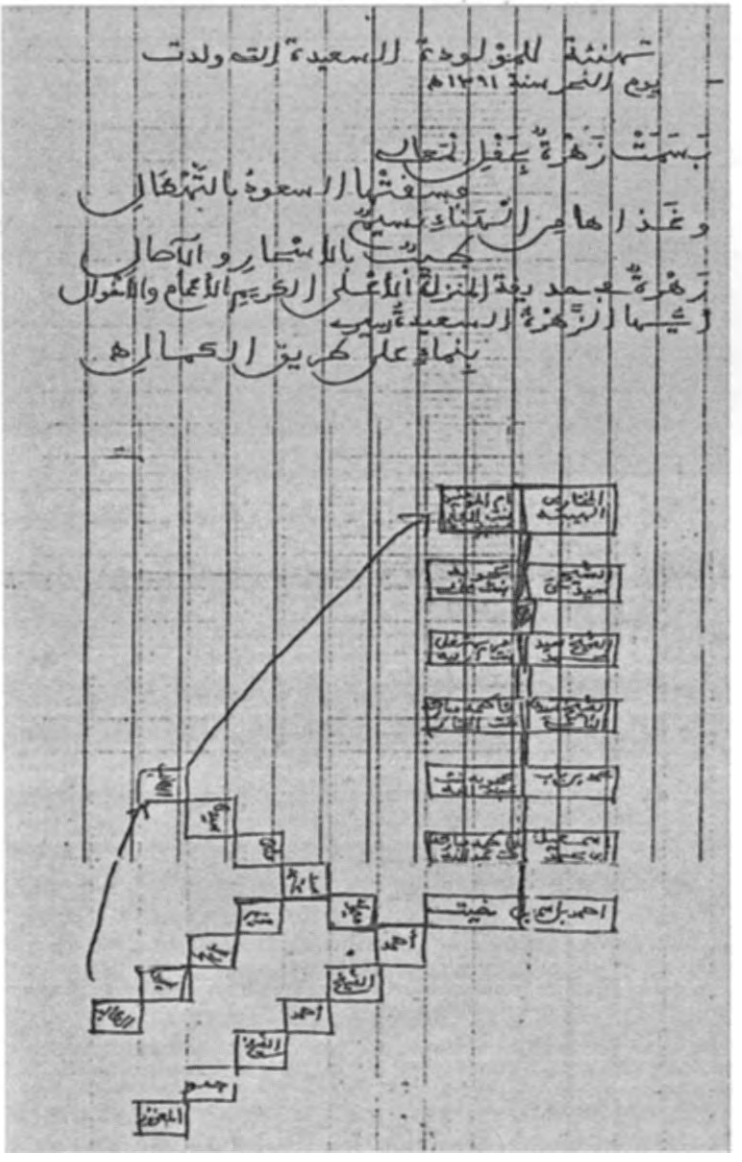

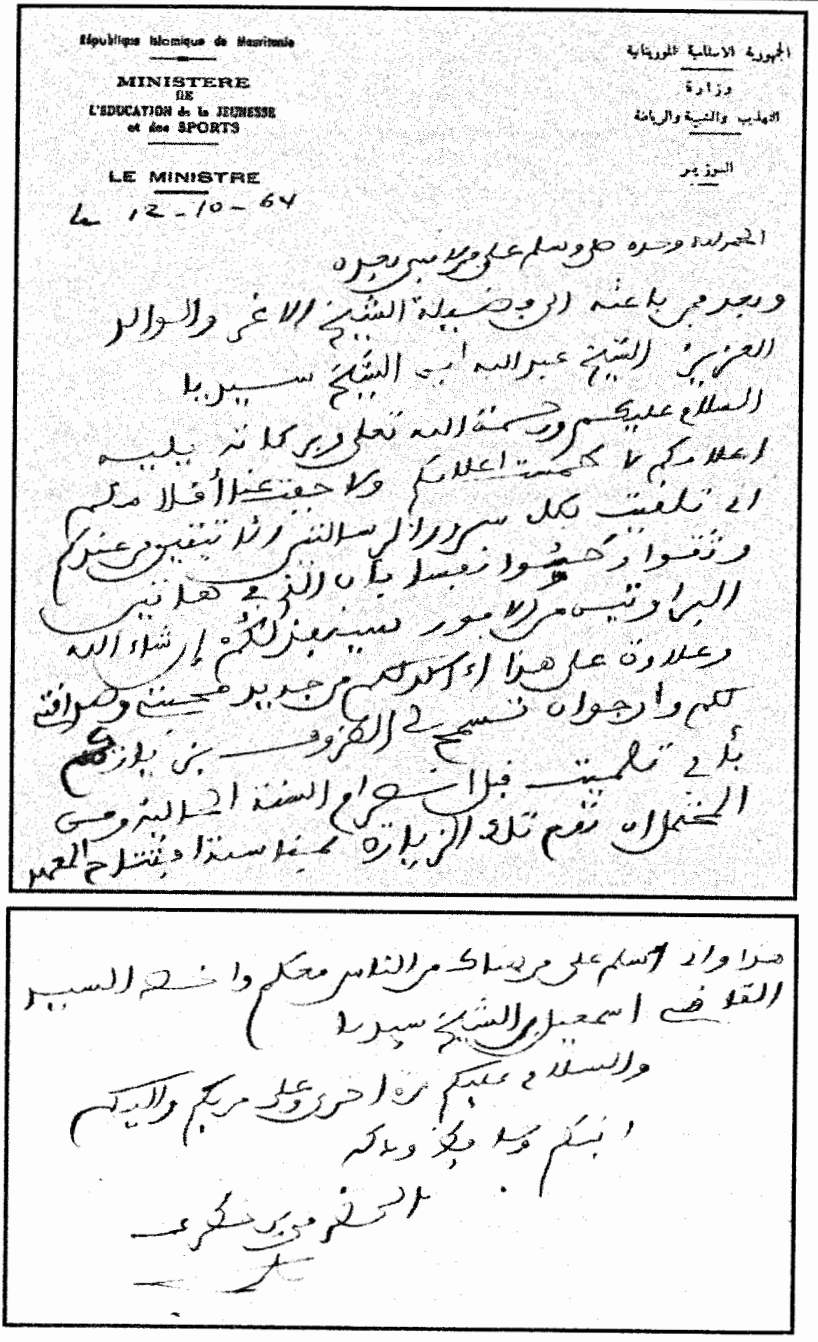

République Islamique de Mauritanie

MINISTERE
DE
L'EDUCATION de la JEUNESSE
et des SPORTS

LE MINISTRE

الجمهورية الاسلامية الموريتانية

وزارة
التهذيب والتنية والرياضة

الوزير

Le 12-10-64

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده

ويسعدني باعثه الى فضيلة الشيخ الأغر والوالد العزيز الشيخ عبد الله ابن الشيخ سيديا

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته يليه

اعلامكم بما كلمتم اعلامكم وقد جئتنا أفلا مكم

اذ تلقيت كل سروري الرسالتين وأنا تيقين عندكم

وثقوا وحيوا نفسا بأن الذي هنالك

البراءة من الأمور سيبعثكم إن شاء الله

وعلاوة على هذا إذا كلمكم من جديد محسنة وصافة

كلم وأجوبه نسمح في الظروف بن يلزمكم

بلدي تلميت قبل اختراع السنة الجارية وعلى

المحتمل أن تتم تلك الزيارة بمعية سيدنا ومفتاح العصر

هذا وأد أسلم على من سألك من الناس معكم وأخص السيد

القاضي اسمعيل الشيخ سيديا

والسلام عليكم من أخيكم وعلى مربكم والديكم

أبنكم محمد بكار ولد

المختار بن سكرى

عن الأصدقاء

من كل ما للمرء من ذخر، حسب سقراط، يكون الصديق الحقيقي دائما هو الأفضل.

في عين السلامة، كان تجمع أولاد اتشايت من أكبر تجمعات الحي، ويقطن به محمد سيديا ولد اباه وعبد الله ولد اباه. كنت أخلق لنفسي، وأنا طفل مشاغب، مشاكل مع أصدقائي وأضع نفسي في مواقف صعبة، فيهب الاثنان في ذلك الوقت المبكر كل مرة لنجدتي. سأكتشف لاحقا أن روابط عائلية خاصة تربطني بهما.

لهذا السبب ومنذ الصغر وطيلة حياتنا، فإنا لا نكاد نفترق أبدا. في حالتهما، تأكدت من صدق مقولة سقراط هاته. كانت صداقتي معهما قوية، مؤسسة على التقدير والإعجاب. كانت أيضا لذيذة وحلوة. لقد انتزعهما الموت منا، لكن ستظل جذوة هذه الصداقة ملتهبة بداخلي. أتضرع إلى الخالق جل وعلا أن يغمرهما برحمته الواسعة.

حفظا القرآن مبكرا، إذ كان ذلك إلزاميا في وسطهما المعروف بعمق الإيمان ونبذ كل ما هو مشين أو لا أخلاقي. اعتمدا على ذلك طيلة حياتهما في مختلف مراحل وجودهما الذي لم يكونا ليظهرا فيه كل هذه الشجاعة من دون هذا السلاح.

صحيح أن ديننا الحنيف يجيب على السؤالين الذين يطرحهما الإنسان منذ الأزل: لماذا خُلقنا وإلى أين نحن ذاهبون بعد الموت؟

بدون أن يقصدا الأمر، ترك لنا صديقاي درسا بارعا في الحياة، قوامه التواضع الممزوج بقدر من النخوة، يدحض المبتذل واللا أخلاقي.

أصبح كل منهما طبيبا، أحدهما بيطري متخرج من تولوزToulouse، والآخر لأمراض القلب، خريج باريس. عرفت مدى رسوخ قناعاتهما وأنهما قادران على التضحية بنفسيهما في سبيلها. السعداء هم من يموتون هكذا، كما يقول *شارل*

ابيغي Charles Péguy.

أبدى محمد سيديا شجاعته منذ مرحلة الثانوية التي كان يقتطع فيها أوقاتا من دراسته يعمل فيها لدى اللبنانيين في دكار للوفاء بحاجيات أسرته المعيشية. المثالية على الدوام.

كنت وزيرا مكلفا بالوظيفة العمومية عندما أكمل دراسته. قمت لصالحه بكل إجراءات دمجه كموظف، وهو الامتياز الوحيد الذي منحته، على ما أتذكر.

كان ينزل معي عندما يأتي إلى باريس قادما من تولوزToulouse، نتشاطر إذ ذاك كل شيء: الغرفة والباقي. أتذكر أنا كنا نسير في إحدى الليالي على شارع جوردانْ Jordan ، في فترة إشراف حرب الجزائر على الانتهاء، عندما تم توقيفنا فجأة، بصورة فجة ومهدِّدة. صاح علينا شرطيون مدججون بالسلاح: *أخرجا أيديكما من جيوبكما والتزما الهدوء. من أي بلد تنحدران؟ تونس أم الجزائر أو المغرب؟* أجاب محمد سيديا ضاحكا ملء شدقيه: *أبعد من ذلك قليلا، في اتجاه الجنوب.*

لم يكن الوقت مناسبا للضحك. سنعرف لاحقا أن الكثير من أفارقة الشمال (المغاربة) قد تم إغراقهم تلك الليلة في نهر السيين Seine، انتقاما من بعض الهجمات. عند اكتشاف موريتانيتنا، تُركنا نتابع مشوارنا.

لقد نجح صديقي في جميع محطات مساره المهني.

عندما عين مديرا لمسالخ كَيْهَيْدِى، كان على وشك أن يجعل من بلادنا مصدِّرا كبيرا للحوم. كان هذا المشروع على أعتاب الإنجاز عندما فقدت هذه المؤسسة محمد سيديا، ففقدت بذلك تسييره الصارم. نزاهته الأسطورية معروفة للجميع، يطبقها قبل كل أحد على المقربين منه. هكذا وصلتني يوما جثتا ضأن جميلتان عبر الطائرة القادمة من كيهيدِى. دون أن أستغرب الأمر، اعتقدت أنهما هدية من صديقي.

لم يقل لي محمد سيديا الذي ينزل عندي خلال زياراته لانواكشوط أي شيء حول هذه الإرسالية. كان علي أن أراجع غبطتي لما وصلتني الفاتورة، دون سابق

إنذار. اعترضت بأني لم أطلب شيئا من المسالخ. أثار المشهد ضحك محمد سيديا الذي لم يكن يفكر إلا في ترويج سلعته، فسدد نيابة عني.

يطبق هذه الصرامة في منزله، على أسرته. عندما عين مفوضا للأمن الغذائي برتبة وزير، كان عليه استقبال وفود أجنبية من المانحين ودعوتهم أحيانا للعَشاء.

بهذه المناسبة، كان يرفض الإفراج عما يزيد على ثلاثين ألف أوقية، مهما يكن عدد الضيوف. تقوم زوجته بكل الحِيل الممكنة لمواجهة الوضع، فتروح إلى الجزار لشراء قطع لحم توهم من يراها بأنهم ذبحوا شاة بالمناسبة. يعتقد أن ممتلكات الدولة مقدسة وأنها تلطخ من يمدون إليها أيديهم. ذلك ما رد به على قريب له راوده الأمل في أن يصبح موردا للمفوضية.

الدرس الذي يجب استخلاصه ـ كنت أريد أن أكتب الحكمة ـ يكمن في ضرورة أخذه كمثال ومرجعية لتوعية مسئولينا وتذكيرهم بأن التقدير والسلطة يتطلبان الاستحقاق، ولو اعتقد البعض أن الدفاع عنهما كاف، في حد ذاته.

شخصية أخرى تفرض الاحترام، ألا وهي عبد الله ولد اباه الذي كان يلقب تارة بالطبيب وتارة بوُلد. عرفته منذ نعومة صبانا ولم نفترق أبدا منذ ذلك الحين. أحس بالسعادة لجواره وبالحماية لقربه، فهو شخص يألف ويؤلف، يكوِّن لنفسه أصدقاء أينما حل، بفضل قدرته الخارقة على التواصل وكسب ود الآخرين.

إبان متابعة دراسته للطب في دكار، كان يعمل في نفس الوقت مراقبا في ثانوية فانْ فولَّنْ هوفنْ Van VollenHoven ويحصل مقابل ذلك على دخل زهيد. في تلك الفترة بالذات، أدخلني السينما لأول مرة في حياتي. كان مشهدا لا ينسى، تخللته مشاعر قوية. خلال العرض، كنت أحاول النجاة من الاصتدام بالسيارات أو الإصابة بالضربات المتبادلة بين الممثلين. لم يفتأ يطمئنني، مستمتعا مع ذلك بخوفي وحركاتي الغريبة.

في تلك الفترة المبكرة، أصبح رئيسا للطلاب والمتدربين الموريتانيين بباريس،

محاطا في كل الأوقات بجمهور من الطلبة القادمين من كل المناطق الإفريقية، ينادونه جميعا بوُلد. سألتقيه لاحقا في الحي الجامعي Cité Internationale، الواقع على شارع جوردانْ Jordan ، بباريس.

في أحد الأيام، تقرر انتخاب أمين عام لطلاب ومتدربي موريتانيا في فرنسا، فأخذني جانبا ليقول لي أن أترشح. استجبت للأمر بدافع ضغطه القوي وإلحاحه، فتم انتخابي.

أشركني في جميع حلقات حياته، كتقديمه لأطروحته التي لم يُدع لها من الموريتانيين إلا أنا ومحمد سيديا، مع جمهور من أصدقائه من الطلاب الأفارقة.

بعد عودته للبلاد، ترك الطبيب، كما يلقبه المختار، بصمة شخصيته القوية على كل الوظائف التي شغلها. وفي كل الظروف، لم يكن ليتردد في إبداء رأيه والدفاع عنه والرد الحازم على كل قول يعتبره مستفزا، حتى في اجتماعات مجلس الوزراء. بوسعه أن يكون غير مهذب، عندما يقرر ذلك.

انطلق في أحد الأيام غاضبا من ظلم وقع لأحد المقربين منه للاستفسار من المختار. كان هذا الأخير يدخل أصابعه بين الفينة والأخرى في شعر رأسه خلال المقابلة، كما هي عادته. مجرد حركة لا شعورية، لا أكثر. وإذا بالطبيب ينهره: "كلما قمت بهذه الحركة، فإني أدرك ما تعني، لذا فإني أنهي اللقاء". لم يؤاخذه المختار أبدا بهذا التصرف غير المؤدب، لقناعته بتعلقه الشديد به، رغم ما يصدر منه من أقوال.

عندما أصبح وزيرا للدفاع، جعلته شخصيته القوية مزعجا. في فترة التخبط تلك، استُحدثت وزارات الدولة التي كانت مسؤولياتها ضبابية، فأصر الطبيب على صلاحياته الخاصة. لذا كان من الضروري تحويله من منصبه، ليصبح مندوبا للحكومة في انواذيب. غير أن الذين توجسوا خيفة من ذكائه المتوقد وروح الصياغة والاستخلاص لديه نسوا أن انواذيب مركز متميز للمراقبة ومعبر تروج فيه مختلف الشائعات. هنا، كان صديقي في مكانه المناسب، مجيدا الإصغاء للآخرين ومستمتعا

بالأراجيف.

أحدث هذا التحويل فراغا سرعان ما انهالت إليه الطموحات المكبوتة، مع أنه لم يكن السبب الوحيد في ذلك.

بالنسبة للمختار، يقول اليوم مناوئوه في تلك الحقبة إنهم يحتفظون له بمشاعر إنسانية محترمة. صحيح أن انطباعا بانتهاء الحقبة كان يفرض نفسه وأن اقتراب أحداث مهمة أصبح جليا.

كنت محاميا في تلك الفترة، ودأبت على مناقشة الأمر مع أصدقائي الذين كان محمد ولد سَكَّانْ من أقربهم إلي. إنه عينة ثمينة من مجموعة أولاد امبارك العظيمة، ذات الأمجاد والتاريخ المليء بالعبر والأخلاق التي اختفى أكثرها اليوم. إلا أن محمد ظل يحتفظ ببعضها، مما يجعل لقاءه مفيدا وممتعا على الدوام. كان يجزم، مثلي ومثل الدكتور، أن الانقلاب أصبح حتميا، في الوقت الذي ظل آخرون، من بينهم وزير الدفاع، يعتقدون أن أي شيء لن يقع قبل انتهاء حرب الصحراء. فإذا تم تسريح الجيش وتفريغه بتلك المناسبة، فإن الأمر قد يروق للعسكر. المفارقة أن ذريعة إنهاء الحرب هي التي استخدمت لتبرير ما لم يعد بُدّ من وقوعه.

إلى ذلك الوقت، كان النظام قد حقق نتائج لا يمكن نكرانها. فقد بنى مؤسسات الدولة وحافظ على وحدة الشعب.

إلا أن هذه الدولة ظلت هشة، على غرار أي مولود جديد ما يزال في الحاضنة. كان البلد فاقدا للبوصلة وعلى حافة الانفجار الداخلي. تم تسريع كل ذلك جراء هذا النزاع الجديد الذي لم نكن مهيئين له، ولو أن الكارثة ستقع على كل حال، به أو بدونه. فالسلام الممل والأجوف، إضافة إلى نظام الحزب الواحد، عوامل كفيلة لوحدها بالأمر.

التقيت في هذا المناخ بصديقي بشير بَن يحمدْ الذي قدم بدعوة من المختار. نزل بقصر الرئاسة فالتحقت به لتناول الفطور معه. تحدثنا بحرية وقلت له بأن السلطة

أصبحت معدومة وأنها في الشارع. تم ضبطي متلبسا بهذا الكلام، من طرف المختار الذي كان واقفا خلفي، يستمع لحديثنا، في طريقه إلى مكتبه. كان يود إلقاء التحية على بشير قبل الانشغال بأعمال اليوم. لم ألاحظ قدومه، لأن ظهري كان مدارا للباب. عندما علمت به، وقفت للسلام عليه، فودعنا قبل أن يستأنف مشواره إلى مسؤولياته.

في موقعه الجديد كمندوب للحكومة، كان الدكتور يحدثني أنه يرى بوضوح وقوع أول انقلاب في البلاد. لم يكن الوحيد، بل معه آخرون. وكوزير سابق للدفاع، ظل يهاتف خلَفه، صديقنا المشترك باباه، سائلا إياه: *هل ما تزالون في الوجود أم لا؟* حدثني أنه انتهز فرصة مرور المحترم محمد المختار ولد اباه لتحميله رسالة تحذير في هذا المضمار لوزير الدفاع، أياما معدودة قبل الإطاحة بالمختار.

عاد للموضوع مباشرة هذه المرة، أمام المختار نفسه. كان الرئيس في زيارة لتدشين محمية آرغين التابعة لانواذيب. في حديث ممتع وساخر في آن واحد، ذكر لي أنه اقترب منه في الوقت الذي كان جميع أعضاء الوفد جالسين في زورق تتقاذفه الأمواج العاتية. كان الرئيس يرتدي ملابس غليظة ويتصبب عرقا. أوقفه الرئيس فور بدء الحديث قائلا: *ليس هذا وقت الكلام في هذا الموضوع.*

لا يحب المسئولون الكبار على الإطلاق حاملي الأنباء السيئة. وقد يحدث أن يقطعوا رؤوسهم، حتى. لذا وقع ما جرى القدر بوقوعه.

بالطبع، كان مبرر الانقلاب هو نزاع الصحراء الذي شكل عامل انطلاقه المباشر، لكنه كان سيقع بالتأكيد، حتى بدونه.

يسهل الآن إطلاق التكهنات حول الموضوع، وتنبغي دراسة أسبابه الأخرى. ألم تندلع الحرب العالمية الأولى بسبب اغتيال دوق النمسا وهونغاريا في سرايفو، حتى وإن كانت لها أسباب أكثر عمقا؟

كنا ندرك جيدا أن تسيير تلك المرحلة لم يعد قابلا للاستمرار وأنه أضحى

متجاوَزا. وبدون أن نشعر بالأمر، تدحرجنا إلى حقبة جديدة كان على السلطة هي الأخرى أن تنتقل فيها من أياد إلى أخرى، ليتحول بذلك شكلها ومضمونها.

كانت الأجيال الجديدة تحاصر القديمة للحصول على حكامة جديدة. هل من الممكن تصور فاعلي الأمس يتخبطون في التعددية السياسية والمستجدات التي يعكسها اليوم عالَم الانترنت ؟ وبالخصوص في ظروف نفاد الصبر الراهن للشباب؟

لم يكن لِغطاء الخرسانة إلا أن ينفجر ويبدد النظام القائم.

كان صديقي عبد الله ولد اباه أول من تم توقيفه وحبسه في اجْرَيْدَه، ذلكم السجن الذي يحسبه مفخرة.

سيغدو المختار إلى سجن آخر في معسكر للجيش بولاته.

ومع كامل الأسف، سيقيم في نفس مكان الاحتضار هذا، ليموتوا فيه، مواطنون آخرون كالكاتب يوسف غي ورفاق محنته. أرجو الله أن يدخلهم فسيح جناته. لكل قدَره، ولكل كذلك شرفه.

بالنسبة لي، كان يوسف صديقا على الدوام، سبق وأن تعرض لاعتداءات عنصرية في الولايات المتحدة الأمريكية.

لما كانت الشؤون الثقافية تابعة للرئاسة، كان هذا المثقف الكبير يطلعني على مشاكله فأبادر بحلها. شكل فقدانه خسارة عظمى لبلادنا.

عندما تمت مداهمة وزير الدفاع السابق، صديقي محمذ ولد باباه، طلب من زوجته بعض النقود. لم يكن بحوزتها إلا مائة أوقية مدتها له، تمثل كل ما تملكه الأسرة في ذلك اليوم. كان أصدقائي نزيهين.

لما خرجوا سالمين من السجن، كان الأمر بمثابة معجزة. فقد تعرضوا لكل أنواع الحرمان، مما جعل ملامحهم الجسدية تتغير، لدرجة أن التعرف عليهم أصبح صعبا. وحدها نبراتهم ظلت كما كانت. كان الدمار أقل ظهورا على باباه منه على الدكتور.

فالأول مدين بذلك لحبات من الفستق تُرسل إليه خفية ولا يحتفظ من برزخه إلا بذكريات ساخرة. يقف على رجليه وكأن شيئا لم يكن. في محيطه، تتم السخرية من كل شيء، حتى من المآسي، كما أن الشكوى تعتبر معرة. يساعد كل ذلك ثقافيا على تجاوز الموضات المتعاقبة وصخب الحياة. فهذه الثروة، بالموازاة مع الفستق، أبقته على قيد الحياة.

بقي الدكتور في عزلة تامة ولم يتلق أي شيء. عند خروجه، كان التعرف عليه مستحيلا تماما. فقد شاخ وفقد شعره وأهداب عينيه.

أمضى ليلة حريته الأولى معي. لم أتوقف عن مطالبته بأخذ حمام والنوم كي يستريح.

التحقت به في الصباح الباكر لسؤاله عن حاله. رد علي بأنه نام قليلا لفرط اشتياقه لسجانيه ومعتقله. لم يكن هنالك بالتأكيد أي مسوغ لذلك، لكن الرجل من تلك الطينة وبتلك القوة الداخلية التي لا يمكن تصورها والتي تستحق احترام الجميع. من المستحيل ترويضه.

يرجع الفضل في نجاته من الموت إلى لبن عنز يحمله إليه أحد حراسه خلسة، في الليالي التي يداوم فيها. كانت تخلط بوجباته الهزيلة أحجار وحبات رمل، فاقتضى الأمر عدة شهور لإعادته للحياة.

ومما أنقذه كذلك أنه لم يفتأ، أثناء هذه المحنة الطويلة، يجسد قيم وسطه الزاوي والمحارب في نفس الوقت، مما يعني تقبل القدر ورفض الانحناء.

أرجو الله أن يبارك في أصدقائي الأحياء وأن يغفر للموتى منهم.

كانت البلاد كلها مذهولة، مثقلة ومتوجسة، خاصة في منطقة بتلميت التي وصل الأمر إلى اعتبار المولد فيها سُبة، لكونها بلد المختار. إلى حد ما، كان البعض هنا يفقد صوابه. تنتظر هذه الفئة من الناس دائما عونا خارقا للعادة وتذهب إلى حد التصريح بأنه لن يكون هنالك استقرار ولا هدوء ما لم يخرج قائد للبلاد من بين تلَّيْ

المدينة. الأمر غريب، لكني سمعت هذه العبارات من أفواه أناس جديين، مثقفين ومتبصرين، دون أن أستوعب ذلك لحد الساعة.

صحيح أن الانقلابات قد تصبح موجعة وأن الصدمة والفرحة تختلطان فيها لعدة أيام. تنظم مسيرات احتفالية مزعجة الأصوات ومبتذلة بشكل كبير، لا مستقبل لها البتة. الثابت فيها أن الذين سيروها بالأمس هم دائما نفس الأشخاص الذين ينخرطون فيها اليوم.

كان عدم الاستقرار القاعدة في تلك الأثناء. يتبادل العسكريون على هرم السلطة بشكل جنوني، ينظر غير الفاعلين منهم ساعتها إلى المشهد، منتظرين دورهم.

لقد عرفت من بينهم الرئيس هيداله، وعلي هنا أن أنصفه. ففي موقعي كعميد للمحامين، كانت تتاح لي فرصة الالتقاء به خلال المراسيم الرسمية. بصورة خاصة، كان الرئيس يمنحني دائما عنايته ويحيطني برعايته.

زرته مرات أخرى صحبة عمي سليمان، ساعيين لتسوية قضايا وقتية عاجلة، بعيدا عن الأنظار وفي جو من الثقة المتبادلة. طلبنا منه في تلك اللقاءات ألا ينجرف وراء مشاعر اللحظة وأن يتجنب كل نزعة انتقامية. من المعلوم للكل أن الرئيس ظل عرضة لضغوط قوية في الاتجاه المعاكس.

وعلى كل حال، كان يستجيب لمطالبنا عندما يستطيع ذلك. ومن الواضح، كما يعترف هو نفسه بالأمر، أنه لم يكن رجلا سياسيا، بل جنديا شجاعا ونظيف الذمة، التقى في حقيقة أمره بالسلطة دون أن يبحث عنها.

عندما جلس على الكرسي، وقع له ما يقع للآخرين الذين لم يعودوا تماما أحرارا في بعض نشاطاتهم، يصل الأمر بهم أحيانا ألا يعدوا كونهم ظلا لأنفسهم.

فيما يتعلق بالرئيس هيداله، تفسر تقارير المخابرات المنحازة والموجهة التي يتلقاها جزء من سلوكه.

سيظل بالنسبة لي ذلك الرجل الصادق المستقيم، والأخ الذي أحترمه كثيرا.

أتساءل على الدوام لمعرفة السبب الذي أنقذنا طيلة هذه الفترات الحالكة. كيف ظل الموظفون يتقاضون أجورهم وكيف تمكنا من دفع المعاشات وتموين الأسواق، في الوقت الذي لا يتوفر البلد فيه على رصيد من العملة الصعبة يكفي لاستيراد احتياجاته أو الاستثمار في تنميته؟ ربما يكمن الجواب في الخبرة التجارية للموريتانيين، وخاصة للموريتانيات.

كان زملاء محامون قادمون من دكار ومن أماكن أخرى يطوفون أسواقنا ويعجبون من ثرائها وتنوع معروضاتها وانخفاض أثمانها. كانوا يجدون عندنا بضائع غير متوفرة لديهم.

بالفعل، يتقن الموريتانيون التجارة. بعض مواطنينا الخارجين لتوهم من متاجرهم سيَّروا ونجحوا في إثراء مؤسسات ومصارف عصرية.

وفي الدول المجاورة، فإننا معروفون كبائعي سكر في ساحل العاج، وتجار مفرق في السنغال، ومشاركين في كافة التبادلات في عموم إفريقيا.

عندما وصلتُ مدينة جوهانسبرغ صحبة صديقي أحمد ولد سيد باب، لمراقبة الانتخابات التي توجت مانديلا، استقبلنا بحفاوة من طرف مواطنين تجار، متوارين عن الأنظار في هذا البلد الذي يعيش اللحظات الأخيرة من نظام الأبارتايد. وصل بهم الأمر إلى تحوير بعض الهواتف لتمكيننا من الاتصال مجانا بالخارج. كانت ضمائرنا مرتاحة لأنا ما زلنا تحت نظام الميز العنصري الذي يملك البيض فيه الشبكات، ولو أن هذه الذريعة واهية بعض الشيء.

مع عبد الله ولد اباه الواقف في الوسط، وإسماعيل ولد أعمر

مع محمد سيديا، إلى اليسار، ومحمد ولد أهلُ

من اليسار إلى اليمين: محمد ولد خطرِ ولد سگّان
وعبد الله ولد اباه، عند عين السلامة

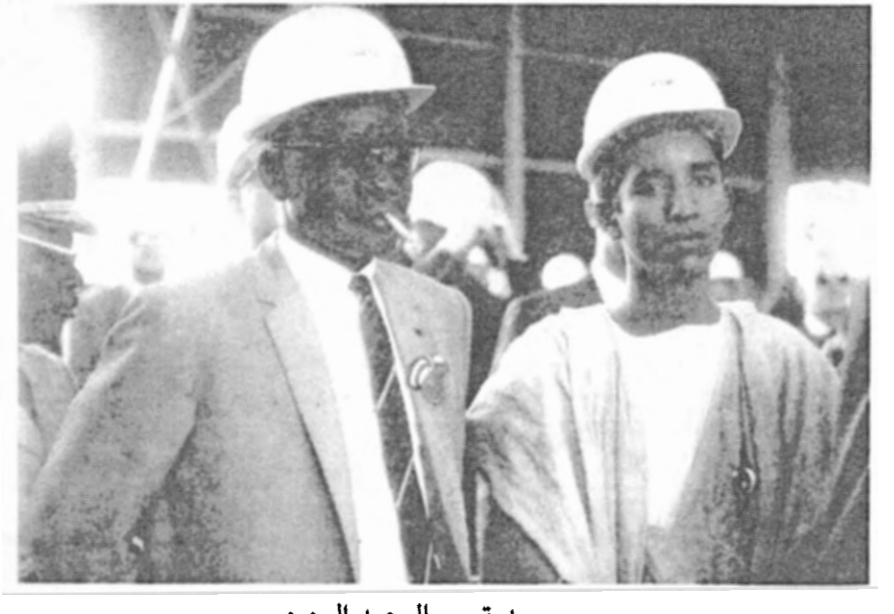

مع صديقي سال عبد العزيز

مع محمذ ولد باباه وزوجته احبيبه

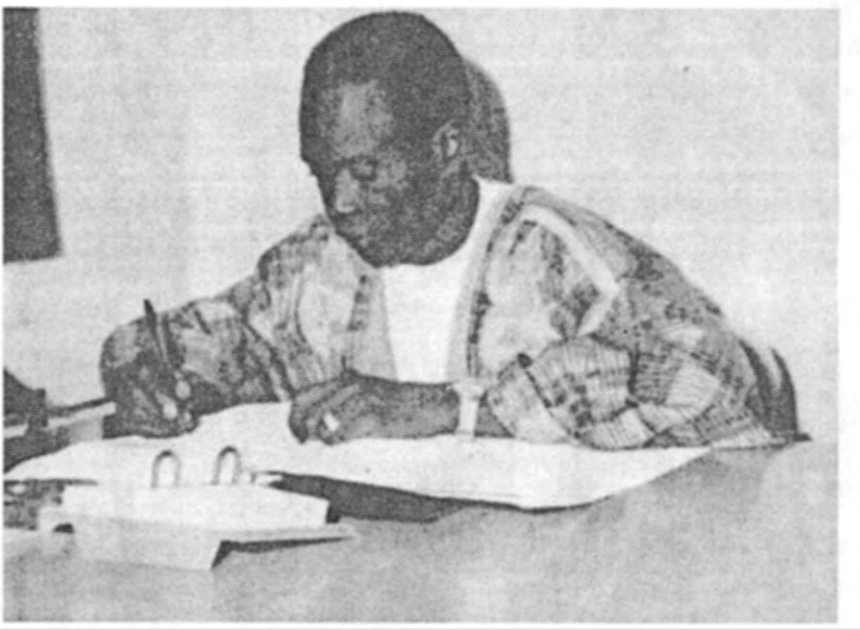

الكاتب يوسف غي

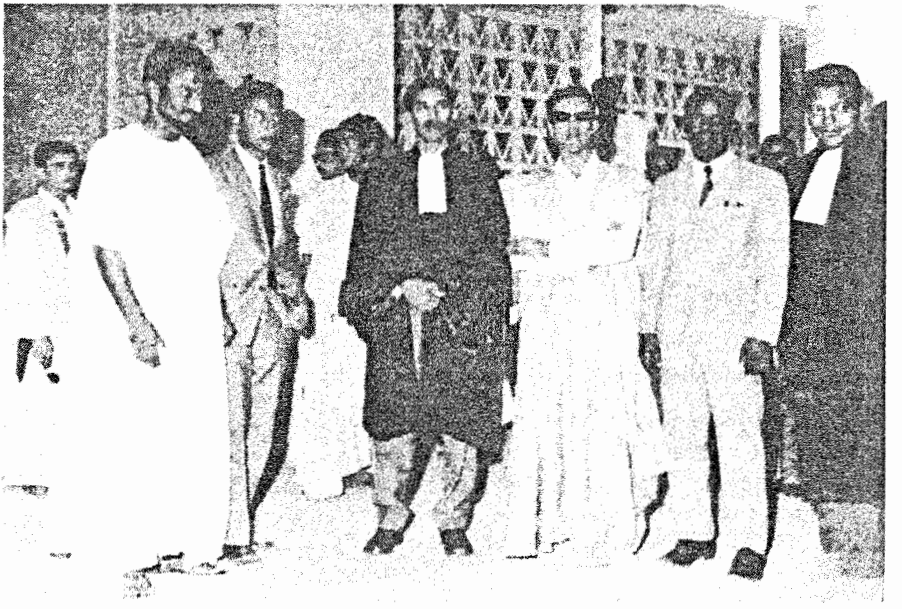

من اليسار إلى اليمين: حمد ولد مكناس وخالي محمد ولد عبد الله
ومحمد ولد أهْلُ وسوماري غاي سلي وشريكي الأستاذ احْنَيْنِ

عائلة الشانه

بما أنها أسن ذرية والديها، فإنها تبقى معهما في الغالب، تحت خيمتهما. كانت أمها العجوز، آيّه، تعاني من شبه الصمم وتعيش منعزلة ومسالمة. تقوم بشؤون بيتها وتعلم الصغار مبادئ الدين في الأوقات التي لا تشتغل فيها بتلاوة القرآن أو تدوير سبحتها بالذكر.

كانت آيّه تجهل كل شيء عما يدور حولها، حتى أن الأمر يبلغ بها أحيانا نسيان نفسها.

يحكى أنه لما قدمت أول سيارة إلى الحي، وجدت آيّه نفسها مدفوعة غصبا عنها للحاق بجمهور الفضوليين لاستكشاف هذا الكائن الخارق للعادة آنذاك. أثناء دورانها بالسيارة، شاهدت انعكاس صورتها دون أن تتوقف عند الأمر.

رجعت مسرعة إلى منزلها، مهمومة ومضطربة لدرجة أقلقت محيطها. كانت تبحث وتسأل الجميع عن صاحب ذلك الوجه الغامض الذي تعتقد أنها قد عرفته في السابق، بشكل مبهم. هل بعث أحد أقاربها الميتين، ليكون ذلك الشخص؟ انتهى الأمر بجلب مرآة لها، لتفهم أخيرا أن ذلك الوجه الغريب هو في الحقيقة وجهها هي، فرجع لها وقارها المعهود بعد حل اللغز. كانت المرايا نادرة، كما أن الانشغال بالتجميل غير مهم بالنسبة لها.

لم تكن السيارات عنصر الجذب أو الحداثة الوحيد. عندما يعلن عن قدوم الطائرة، يتنقل الحي بكامله مسافة عشر كيلومترات، على ظهور الجمال والحمير أو مشيا على الأرجل، لحضور المشهد. أنتظر هذا الحدث الكبير مع خالاتي، تحت شجرة. كان الصوت المزعج لهذه المركبة عند هبوطها أو إقلاعها يبهرنا ويثير دهشتنا.

عندما نعود، يكون لكل منا تعليقه ووصفه الخاص لما رأى.

يبقى الحدث لفترة طويلة مَعْلَما بارزا في اليوميات المحلية، على غرار سنوات القحط أو الخريف الجيد.

قبل البلوغ وحتى اليوم، فإني أفضل النظر للطائرة من الخارج على دخولها. لا أنام فيها إلا قليلا وأحس بتعب الأسفار عبرها، خاصة إذا تعلق الأمر بالمسافات الطويلة. تبقى بالطبع في ذاكرتي تلك التي ذهبت فيها إلى اليابان والولايات المتحدة. فالبقاء لفترات بهذه المدة معلقا بين السماء والأرض يعطيني بكل بساطة انطباعا بهشاشة وتفاهة الحياة. كيف نعالج الأمر؟

ينضاف إلى مشاق هذه الأسفار قدر من الإحباط، لعدم تطابق الصورة النمطية التي كانت لدي عن هاتين الدولتين مع الواقع، السطحي بالتأكيد، كما شاهدته. لا أعرف السبب، لكن ذاكرتي احتفظت على الدوام بغربان طوكيو. فهي تشبه غربانا، حد المطابقة. هل تساهم حقا في التنبؤ بالزلازل الأرضية؟ إذا كان الأمر كذلك، فمن اللازم أن يكون بالإمكان توظيف غرباننا في بعض الأمور. ما هي بالضبط؟ يبقى أن التحليق فوق افوجياما Fujiyama لا ينسى وأنه أيقظ لدي ذكريات تعود لفترة الثانوية. قام صديقي با أليو إبرا، السفير آنذاك في هذا البلد، بكل ما هو ممكن لجعل مقامي مريحا.

في واشنطن، نزلت أيضا عند صديق وأخ آخر، بلال ولد ورْزَگ، معاوني السابق عندما كنت سفيرا في بروكسل. هنالك أيضا أحمدُ ولد عبدلل الذي فسحني في كل مكان تقريبا. كان هذا الشَّغوف بالحريات والديمقراطية - التي تعتبر أمريكا تمثالها - سعيدا بوجوده هنالك، كما لو كان في بيته، مغتبطا بهذا البلد، راضيا عن نفسه وعما يقوم به.

كانت إقامة سفيرنا مترهلة ومحتلة من طرف الصراصير. بعد رجوعي، عملت ما بوسعي للفت انتباه الرئيس، سعيا لتلافي الوضع. كانت هنالك شكاوى رفعها بعض جيران النُّزُل، معللينها بالأضرار الجمالية التي ألحقتها حالة بنايتنا بممتلكاتهم

المجاورة.

كان والد الشانه أصغر إخوته المشاهير. كلهم يديرون محاظر، أي مدارس تقليدية تدرس بها المواد الأساسية في ذلك الزمان.

يقول بأنه أقلهم علما، ويفسر ذلك بآلام شديدة تعتريه في الرأس. وكتسلية عن الأمر، فإنه كان ميسورا أكثر من باقي عائلته، يمتلك قطعانا كثيرة.

تَحمِل معالم عدة اسمه، في المنطقة التي عاش فيها. أقام هنالك مع محيطه واشتهر بكرمه. يذكر سيد أحمد بن الامين، صاحب كتاب الوسيط الذائع الصيت، أنه الأشهر في هذا المجال من بين ساكنة البلد.

فقد أعطى قطيع غنم كامل مع الأدوات اللازمة، أي وسائل جذب الماء من البئر وحتى الكلب والوعاء الذي يلغ فيه، لقريب معيل لأسرة كبيرة أتاه طالبا عنزيْن.

كان إخوة سيدنَ، أعمام الشانه، تجسيدا حيا للتقوى نفسه. سكن أحدهم، الشيخ، قرب مقبرة تندوجَ، متأهبا للموت. حفر هنالك قبره ورفض الارتحال عن المكان، مخافة أن يدفن في بقعة أخرى. لكن القدر قضى بغير مراده، فلم يضمه في آخر المطاف ذلك القبر الذي كان يُضْجِع فيه أبناءه الصغار لتلاوة القرآن. رحل على مضض عن جوار المقبرة التي انتظر الموت قربها بهدوء، طبقا لمشيئة الله الغالبة لمشيئة البشر. بتضافر ضغط ذويه مع جفاف رهيب، قبل الانتقال إلى مراعي أفضل، ليوافيه الأجل أبعد من المكان الذي انتظره فيه.

هنالك حكايات أخرى من وَلايته كفيلة باستفزاز البعض، طبعت حياته الصالحة بالكامل. سأحجم طواعية عن سردها هنا. تقول قبيلة إداشغره الكبيرة فيما يتعلق به إن هنالك ثلاثة أشياخ في غرب البلاد لا غنى عنهم: الشيخ سيديَّ لإغاثة الفقراء، والشيخ ولد أحمد محمود، أي هو، لفض نزاعات التركة المعقدة، والشيخ ولد اخلاخِلْ، لعلاج أمراض الإبل.

عم آخر للشانه، محمد اليدالي، كان زوج عمة والدي، ميمون بنت باب. تميز

كشاعر مفلق، زيادة على معرفته وثقافته الواسعة ووفرة علمه بأمور الدين. كان وجها من وجوه بتلميت البارزة، يلعب دورا سياسيا محوريا، كلما شب نزاع ذو بال.

أما عمها الثالث، محمد سالم، فإنه معروف هو الآخر بصلاحه وعلمه. وقد ترك ذرية تستحق المديح.

هنالك ابنا عم للشانه يستحقان بسطا أطول لأخبارهما، لكن في غير هذا المحل. أولهما محمد ولد الشيخ الذي يعتبر ثاني المؤسسيْن الرئيسييْن للدولة الموريتانية، بعد المختار. فهو الذي أنشأ جيشنا الوطني وجمع في إحدى المرات بين وزارتي الخارجية والدفاع.

يمازحه المختار مرارا بقوله: محمد، متى يكون الانقلاب للاستيلاء على الدولة؟ فيرد عليه محمد: لا بد قبل ذلك من إنشاء الدولة. لقد مات وهو لا يملك إلا كرامته.

كان أخوه عبد الله خادما كبيرا للدولة وترك بصمته في كل موقع مر به. كان مثقفا ومطلعا على كل الأمور. وهو رجل حازم قادر على أخذ المبادرة، برهن على ذلك في عملية المحاريث الشهيرة في النعمَه التي كان حاكم دائرة فيها، وأمام ميفرما MIFERMA وعصاباتها.

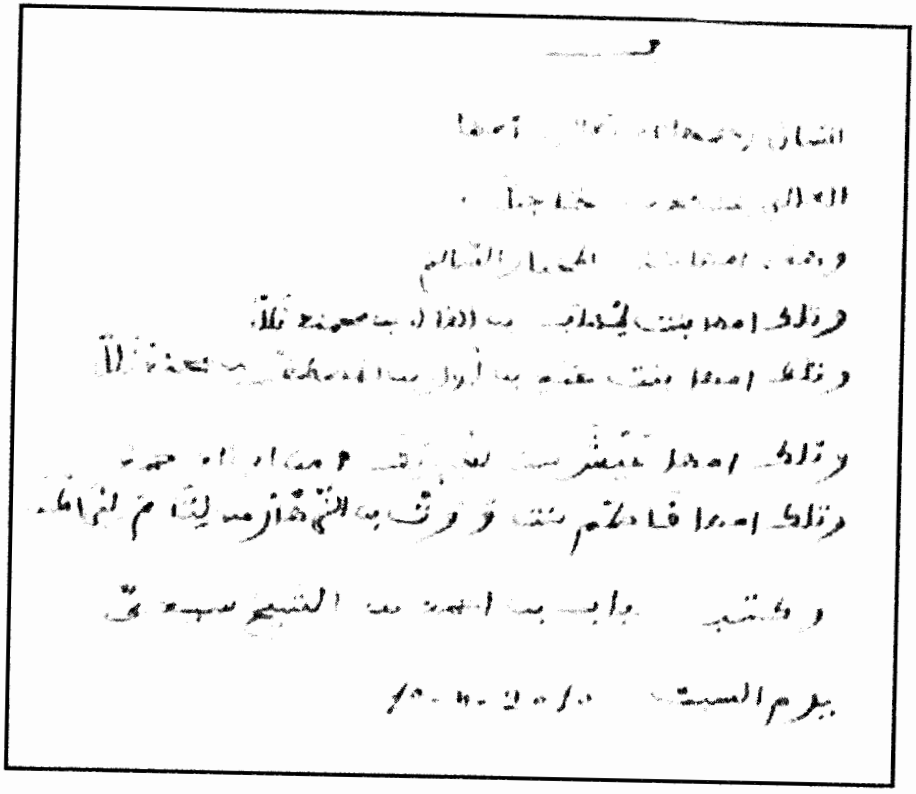

أمهات الشانه

المنطقة التي عشت فيها

يعتبر والد جدي في شعره أن أبا تلميت واسطة البلاد. قد يلام على هذا التقرير، لكن كل إنسان يحب موطنه ومنطقته ويعتبرهما شامَه، أي الأفضل من بين البلدان.

لم يكن التمدن ولا المدن الكبرى قد ظهرا بعدُ، ولم يتم تنظيم البلد وتوحيده على النحو الذي هو عليه اليوم. لذلك، لم يكن له مركز، بل على الأصح كان المركز في كل مكان.

في الجنوب، هنالك شمامَ

وهي عبارة عن واد واسع وخصب، يُرويه نهر السينغال وفيضاناته السنوية. وهي خزان مهم للذُّرة، جيد المردود أحيانا. يجلب أصحاب القوافل منها كميات كافية من الحبوب، تمكِّن من الاكتفاء الغذائي النسبي. تُكمِّل هذا الرافدَ ألبان ولحوم قطعان ماشيتنا. كما يعتبر الصيد البري والتقاط الثمار إضافة غذائية.

في الشمال، هنالك أوكار

ذلكم المجال الذي يحبه الشعراء والحيوان. منطقة رائعة ما تزال لحد الساعة قليلة السكان. أديمها نقي ويندر فيها الماء، لا دَنَس فيها يؤشر على قبضة من أي نوع للإنسان.

قبل قرنين، لم تكن هذه المنطقة تعتبر، كما هو الحال اليوم، بعيدة وغير مضيافة. هذه المفاهيم لم تعرف إلا منذ وقت قريب، وتحيل إيحاءاتها إلى المقارنة مع المراكز المدنية وأقطاب التنمية.

كان جد جدي، سيدنَ، يحب آوكار، مسقط رأسه الذي عاش فيه مع أسرته. وجد مرارا في هذا الفضاء مصدر إلهام وإبداع. وكما يبرهن عليه إنتاجه الشعري الغزير، فإنه يعرف كل نقطة فيه. تعطي القصيدة المثبة مطلعها أسفله فكرة عن التجانس بين هذا الشاعر ومحيطه، معبرة عن ذلك بصورة أخاذة مشحونة بالواقعية

والجمال.

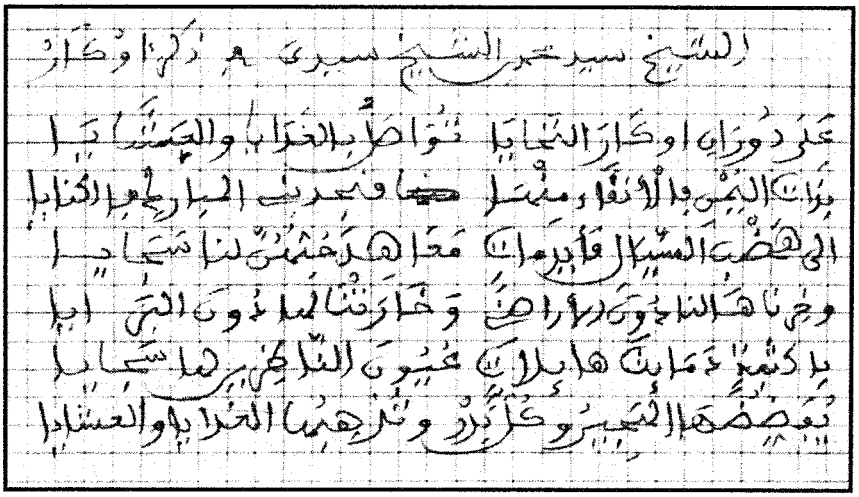

ففي أي وقت من اليوم أو الليلة، على حد قوله، تتجلى الطبيعة على صورة امرأة تظهر بوجه متجدد. يتبدل لونها تحت الشمس أو القمر وتكتسي طابعا جديدا بلبسها ثوبا أو ملحفة جديدة. تكون أحيانا مُذهَّبة وأخرى مُفضَّضة، لكنها جميلة على الدوام.

يظل أوكار مواتيا للتفكير والاستجمام. رأت الديانات السماوية الكبرى النور في مناطق مشابهة، منعزلة وصامتة، حاملة إلى الإنسان الرسالة الربانية التي أثرت في البشرية جمعاء. نحن هنا على نفس خط الطول الذي يقع عليه الحجاز، الموطن المبارك لرسولنا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. يتشابه النبات والجانب الطبيعي للأرض حد التماهي.

الجمل هنا في مملكته. يظل طيلة الفترة الباردة التي تدوم أربعة شهور طليقا، بدون شراب. عندما يصادف تربة متحركة غير ثابتة، يحس بالأمر ويبرك لتجاوزها، فيما يشبه السباحة. بهذه الطريقة، يباشر التربة بأعرض مساحة من جسده، لتفادي الغوص فيها. لا تترك طبيعة التربة والرياح المتكررة بصورة شبه دائمة وجودا لطرق أو ممرات ثابتة. لا بد إذا من اقتفاء آثار الإبل أو البعر الذي تخلفه وراءها للاهتداء في هذه الأرجاء.

عندما يتخلص الجمل من رعاته، يعيش وفق وتيرته الخاصة ولا يعود إلا في فترات

الحر الشديد، عند حلول شهري مايو ويونيو. يكون آنذاك بصحة جيدة، سمينا ونظيفا.

البحر

في اتجاه الغرب، يوجد البحر البعيد والغامض. لا يتم التطرق إليه عادة إلا في نطاق حديث يعزى للنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، يقضي بغفران ذنوب من يكرر التكبير قبالته أربعين مرة، أو الوصية بعلاج بعض الأمراض بأكل الحوت. يروح إليه عادة مسنون، أكثرهم نساء، يمكثون قربه شهرين أو ثلاثة. يمنحهم إيمْراگْنْ، وهم السكان المحليون ذوو الخبرة الأصيلة في الصيد، السمك ومشتقاته مجانا. عند هؤلاء، يتعاون الإنسان والدلفين دون أن نعرف أيهما أحوج للآخر.

يعود الخيار للزائر في إعطاء جزء مما لديه. ليس مجبرا، لكن لا يحظر عليه إتحاف الصياد ببعض الحبوب أو القماش. هذه المبادلات محبذة، لكنها متروكة على الدوام لتقدير الزائر.

وكما يقال، فإن المرضى العائدين منه يكونون إما أصحاء أو في وضع أفضل بعد هذا السفر الطويل والشاق على ظهور الجمال أو الحمير. يجلبون في الغالب زادا من السمك المجفف يتهافت عليه سكان الحي، بذريعة التداوي من هذا المرض أو ذاك.

لم تتجاوز علاقتنا بالبحر في تلك الحقبة هذا الحد، إذ لم يكن المحيط قد اكتسى الأهمية التي له اليوم بالنسبة للاقتصاد الوطني.

أثناء الجفاف الكبير في سبعينيات القرن المنصرم، نفقت غالبية قطعان الماشية وأصبح من اللازم اللجوء للبحر ومنتجاته. ساعتها، كان الأستاذ حمدِ ولد المحجوب الذي أصبح فيما بعد وزيرا، متدربا على المحاماة في مكتبي. لهذا الصديق والأخ علاقات قبلية في المنطقة البحرية الشمال غربية. لذا طلبت منه أن يشتري لي كميات كبيرة من السمك المجفف لإغاثة حينا، فجلب لي حمولة شاحنة منه، ما يزال بيض بعضه بداخله. لذا كان غذاء جيدا، لكنه غير معروف في بلدتي. زيادة على ذلك، كنت أدرك أن السكان الغيورين على كرامتهم لن يقبلوا إظهار فاقتهم ولن يتهافتوا عليه، نتيجة لذلك. كان لا بد، والحال هذه، من التفكير في حيلة

ما. اقتضي الأمر الإعلان على الملإ أن المرضى الراغبين في العلاج من أي مرض يمكنهم وحدهم أن يستفيدوا من هذا الغذاء.

وكم كانت المفاجأة سارة! عندما عدت للحي بعد أسبوعين، لم يعد هنالك أي أثر للسمك. فالحاجة، كما يقال، سيدة الاختراع. تزود السكان دون وازع تحتَ حجج مختلفة وبذريعة الاستشفاء من أمراض عدة، مع صيانة أعراضهم.

تم تنظيم دورة ثانية من التموين بالسمك، الطازج هذه المرة، بعدما لاحظت نجاح العملية الأولى. كان الشيخ سيد محمد ولد حمود المعروف بصلاحه وزهده والذي شاهد بالمناسبة السمك الطازج لأول مرة في حياته، أول الممونَّين. عندما رأي أعين أسماك المرجان والقرش مفتوحة بصورة واسعة، ظنها حية وأمر بربطها حتى الصباح. وشيئا فشيئا، دخل السمك في العادات.

في صغرنا، كانت علاقتنا بالبحر تقتصر على الرياح الباردة التي تطرد الحر الشديد وتغمرنا بالفرحة. يقول محمد ولد مولود إن المجال الجغرافي لثقافة الغرب الموريتاني يتماهى مع الحيز الذي يجوبه نسيم البحر.

من الممالح القريبة من المحيط يستجلب الملح، تلكم السلعة المطلوبة بإلحاح. تُسيَّر قوافل لاستجلابه. توفر كل أسرة مقتدرة جملا، وباقي الأمر على أصحاب القافلة. تُختار في العادة جمال صغيرة السن، لم يسبق إدخالها في الخدمة. تعود مطوعة ورزينة تحت ألواح الملح. بهذا يكون حملها على مسافات شاسعة بمثابة لجام ورحل ومروض، في آن واحد.

يغدو أصحاب القوافل بعد ذلك لمبادلة حمولاتهم بالذُّرة، تلكم السلعة الاستهلاكية التي لا غنى عنها. تتم المقايضة في المناطق الزراعية الجنوبية، على أساس التكافؤ بين أحجام البضاعتين "المقبوضتين يدا بيد".

أخي الأكبر حمدِ

تلقى حمدِ ولد مكناس تعليمه الابتدائي والثانوي في بتلميت. لم أتعرف عليه في تلك الحقبة لصغر سني. كان والده الشيخ المعروف بنبله وشجاعته، إضافة إلى كونه رئيس قبيلته، صديقا وحليفا سياسيا لعبد الله الذي عامل ابنه حمدِ كابن له. حدثني هذا الأخير أن عبد الله تكفل بكل احتياجاته في تلك الفترة. وقد حافظ على أفضل العلاقات معنا، وفاء لميراث أبيه.

لذا فإنه استقبلني كأخيه الأصغر عندما نزلت تائها بعض الشيء في فرنسا لإكمال ثانويتي العامة. لا نكاد نفترق في أيام العُطَل. في ذلك الوقت، كان على وشك إكمال دراساته العليا بعد أن عمل مدير ديوان في فترة القانون الإطار.

سكن في سنته الأخيرة الجناح السويسري من الحي الجامعي الواقع على شارع جوردانْ Jordan. ذلك الجناح من تصميم المهندس المعماري لَكورْبُزْيَي Le Corbusier ويمتاز بتوفره على حمامات فردية ومفاتيح للباب الرئيسي. إنها الحرية المطلقة أو لا تكون! ورثت هذه الغرفة، مع بعض لوازمها، لدى عودته إلى البلاد وبقيت فيها حتى إكمالي، بدوري، لدراستي.

باستحالة متابعة الشعب العلمية علي، رغم أنها كانت المفضلة أصلا عندي، وقع اختياري على القانون. ذلك أن الشُّعب الفنية تتطلب متابعة دائمة لا تتوقف، لم يكن بوسعي تحملها في تلك الأثناء، إذ كنت غير مركز إبان ذلك الاتصال الأول لي بباريس.

لهذا السبب فرض خيار القانون نفسه كحل كسول، بعيدا عن أي هواية. لم يكن تحضير شهادة الليصانص يتطلب أكثر من شهر تقريبا، لذا يمكن توظيف فائض الوقت في مسائل أخرى.

علي الاعتراف هنا أن القانون لم يمنحني إلا الرضا المادي، مقرونا بالكثير من الخيبة في المجالات الأخرى. على المستوى الخارجي، تفرضه الدول القوية على

الضعيفة دون أن تطبقه على نفسها. فهو لا يعدو كونه نظاما للهيمنة.

أما القانون الداخلي، فإنه في أكثر الأحيان مَطالبيٌّ، يتجاهل محاور كاملة من ظروف الحياة البشرية، كالفقر والكثير غيره. فما ذا لدى الفقير للمطالبة به أو الدفاع عنه، خارجا عن لقمة عيشه؟

عندما أعود إلى عين السلامة لقضاء العطلة، يلتحق بي حمدِ صحبة كوكبة من أصدقائه ويقضي معي أسابيع عدة. فكما هي عادته، كان دوما يحب أن تكون له رفقة. تبنى لنا خيام خارج الحي ويهدينا عبد الله لقاحا ونوقا للنحر. يُعرف حمدِ بحبه لرِسْل اللقاح. لم يكن الوحيد، بل كنا مثله تماما.

كنا معا وزيرين أعزبين، نروح نهاية كل يوم للبحث عن هذا السائل لدى أفراد من قبيلته منتجعين قرب انواكشوط، يُقدمون لنا شواء في أغلب الأحيان.

يكثر حمدِ الحديث عن طفولته قرب شبه جزيرة تيدره ويذكر لي بالمناسبة شواء خاصا جدا، من السمك المطهي في الرمل، على نار من خشب. لن أنسى الأمر ولم أزل أتعجب منه لحد الساعة.

لما أصبحت أمينا عاما للرئاسة، مكلفا بالصيد البحري، جاءني بوثيقة يعود تاريخها إلى الفترة الفرنسية، يُمنح بموجبها والدُه صلاحيات وحقوقا تتعلق بالبحر.

كان لهذا الأخ الفضل في اطلاعي حقيقة على عالَم البحر. بالرغم من ذلك، مازلت متوجسا منه. عندما يحدث أن أغوص في المحيط، تحدوني الرغبة في الخروج العاجل منه. قبل ذلك، أكون قد ربطت قدمي بحبل مثبت بعناية على اليابسة. هكذا كنت، كصحراوي، أبقى حذرا من البحر.

في الرئاسة، كان أحمد ولد ابا ولد امَّيْنْ، أطال الله عمره، أمينا عاما لقطاع الصيد البحري. لم يكتس هذا القطاع ساعتها الأهمية التي له اليوم، لكننا كنا منشغليْن كثيرا بمصير السكان.

لهذا السبب طلبت من أحمد أن يقوم بزيارة ميدانية لتحديد ما يمكن القيام به لتحسين ظروف الحياة. كانت تلك أول مهمة من هذا النوع. رجع يدق ناقوس الخطر

حول وضعية إيمراگن، أولئك المواطنين المنسيين الذين يعانون بصورة حادة من العطش والحاجة الملحة للمساعدات. كانت تصلهم من وقت لآخر براميل ماء من انواذيب التي تعاني هي الأخرى من العطش وتتزود من الماء من مرسيليا Marseille!

اقتنينا ووزعنا على هؤلاء السكان آلات صغيرة لتحلية ماء البحر، تكفي بالكاد لإطفاء ظمإهم.

كان أحمد أول إداري مدني مُكوَّن في فرنسا. في الوقت الذي تعرض فيه استقلال البلاد للطعن من البعض، رفض تلك الدعوة وترأس دائرة العصابة. أمر غريب: مرابط يقود ولاية أغلب سكانها ذوو أصول محاربة، الأمر الذي أكد وجود وسلطة الدولة الجديدة. لم يفُت الأمر على عبد الله الذي هنأه بالمناسبة في الرسالة التالية:

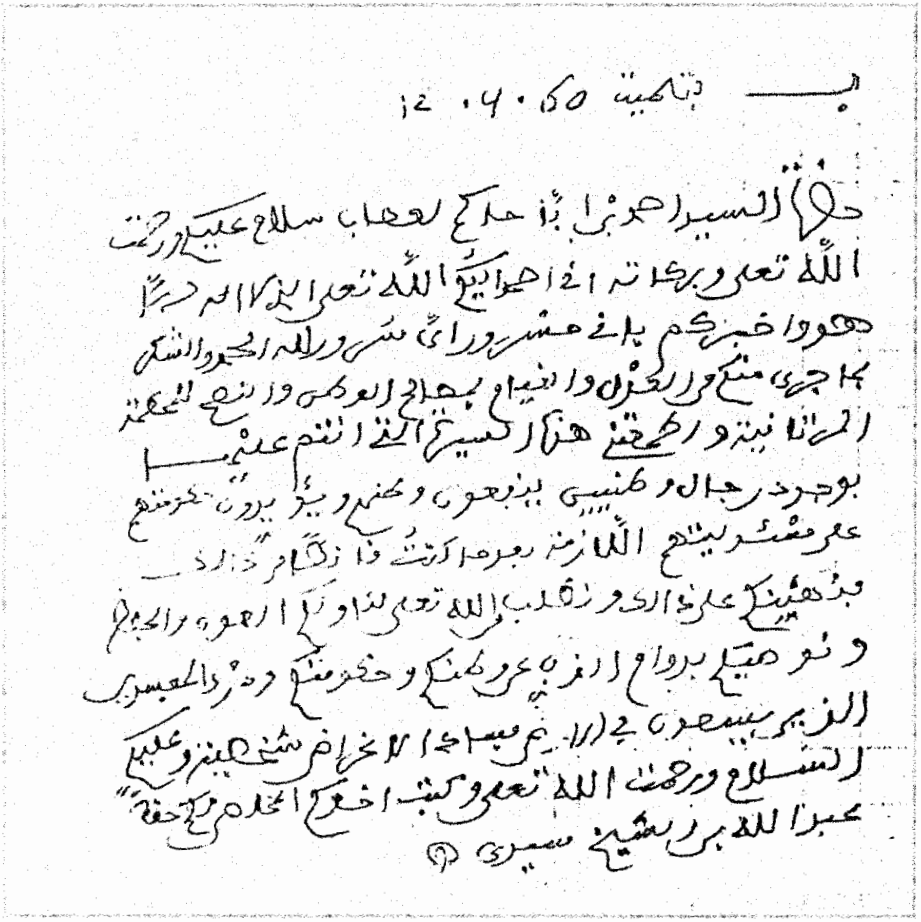

لم تكن البيئة وأهميتها بالنسبة لمستقبل البشرية عنوانا عريضا للحديث في كافة المحافل، كما هو الحال اليوم. ولم نكن في الحقيقة نلقي لها بالا، الأمر الذي لم يمنعني من التساؤل حول قضايا تدور بخَلَدي. على سبيل المثال، ماذا يمكن أن نستفيده من الطيور البحرية المهاجرة الموجودة في حديقة آرغين؟ إنها بالقطع جميلة جدا، ككل المخلوقات، لكنها رغم ذلك غير صالحة للأكل. من يفتقدون كل شيء لا يبحثون إلا عن البقاء. لا يمكن أن نلومهم، خاصة أن التفسير في هذا المجال ناقص بشكل صارخ. هل ستبقى البيئة شغل المتخمين شِبَعا لوحدهم، متجاهَلة من طرف الآخرين؟

من المعروف أن البدويين مفسدون ولا يفكرون إلا في حاجة الوقت، إذا طرقت الباب. يمرون على الدوام دون أن تكون لهم روابط ثابتة مع الوسط. سيرحلون إلى مكان آخر، عند الاقتضاء.

كدت أن أثير هذه التساؤلات مرة أمام العالم الكبير تيودور مونو Théodore Monod أثناء حفل منظم في باريس من طرف صديقي بشير بَن يَحْمَدْ. لحسن الحظ، كبتُّ نفسي في الوقت المناسب قبل أن أقترف خطيئة لا يمكن تلافيها وأن أبدو كمخلوق قادم من خارج الكوكب، بعيد تماما عن انشغالات وموضات الزمن الحاضر.

جاء بي حمدِ إلى الشامِ الذي لم يكن يعدو نقطة ماء مختبئة في طبيعة خلابة، على بعد أربعين كيلومترا من البحر. أصبح اليوم مدينة جميلة يُتوقع لها مستقبل زاهر.

عقدنا هنالك حفل قرانه على فاطمة وسترزق العائلة من هذا الزواج بذرية ناجحة. تحمل الناهَ، بنته الأسن، الاسم الذي سميتها به، وهو اسم والدتي. من يدري، ربما حالفها الحظ بسبب ذلك. ستواصل فيما بعد ملحمة أهل مكناس، وزيرة مرات عديدة وزعيمة حزب سياسي كبير. أتمنى لها كل الخير الذي قد يحلم لها به حمدِ.

في هذه الزيارة للشامِ، حصلت ولادات، خاصة لدى أسرة أهل اگْريْميشْ المرموقة. يحمل بعض المواليد الجدد اسمي، الأمر الذي أفتخر به.

سيقتحم الشامي حياتي ثانية، على المستوى المهني هذه المرة. فعندما كنت وزيرا للصحة والشغل والوظيفة العمومية، تم إشعاري بمرض غامض يجتاح منطقة الشامِ والنصرِ. كان ذلك أول وآخر إنذار أتلقاه. توجهت بسرعة إلى التعاون الفرنسي، ملتمسا الدعم لتلافي الوضع.

إثر ذلك حط لدينا الأستاذ الجليل بالتازار Baltazar وطاقمه، مصطحبين معهم ما يلزم من أدوية وسيارات. بعد أسبوعين في الميدان، حُددت طبيعة الوباء. يتعلق الأمر، كما أخبرني البروفسور، بطاعون رئوي ينتقل عن طريق القوارض، كالفئران. أضاف أنه كان موجودا بصورة دائمة، متنقلا من سانت الويس Saint Louis إلى المغرب، نزولا وصعودا، مردفا أنه متوطن، وهو لذلك غير فتاك. سألته عما ينبغي القيام به؟ أجابني ناصحا بتخزين سيلفواميدات Sulfamides وتوزيعها على السكان فور ملاحظة نفوق الفئران. وكعرفان بالجميل، الاستقبالات والأوسمة المعهودة.

تركت لي وزارة الصحة ذكريات جميلة في الغالب، لقطاع ودود حقا. مقارنة مع القطاعات الأخرى، كانت تتوفر على إمكانيات أوفر، في الوقت الذي ظلت مشاكل الصحة العمومية نادرة إلى حد كبير.

لما استلمت مقاليدها، كان مدير الصحة جنرالا فرنسيا يدعى اريو Riou، أحد الضباط المنهمكين في الخدمة، الصريحين والمتحررين عندما يتكلمون. قال لي واصفا الميدان، بخصوص أسلافي من الوزراء، أن شغلهم الشاغل كان ملء خزان البنزين في العطل الأسبوعية قبل الذهاب في رحلات صيد الحبارى. لم يكن كلامه إطلاقا بدافع الفظاظة أو الافتراء.

وقّعت في تلك الفترة أول اتفاق صحي مع الصين، تزامنا مع عودة صديقي عبد

الله ولد اباه، بعد إكمال دراسته لأمراض القلب في فرنسا.

قبِل تحت ضغطي أن يلتقي بالرئيس المختار، وهو ما لم يكن راغبا فيه، خشية وقوع خلاف معه. خلاف ناتج عن طريقته في الكلام، لأنه لا يستطيع الامتناع عن الحديث بالشكل الذي يروق له. أخبرني فور عودته أن المقابلة مرضية، إلا أن الرئيس أخبره وبنبرة الفاتحين بتحويله "تحويلا مرموقا"، إلى موقع جيد، كما قال له. يتعلق الأمر بمدينة النعمه.

"إن الرئيس يسخر مني، لأنه لا يوجد هنالك أي وسيلة للعمل الجاد"، على حد قوله. لم تكن الكماليات تشغل باله، بل كل ما يهمه هو إنجاز مهمته.

أجبته بأنه سيحصل على كل ما يلزم: الطاقم الذي يحدده وسيارة جديدة وما يكفي من الوقود لسنة. وهو الوعد الذي تم إنجازه.

۞ ۞ ۞

وفاة عبد الله

غادرته شهرا قبلها، عند الرابعة صباحا، إذ كان لزاما علي الالتحاق مبكرا بانواكشوط. كان ذلك قبل بناء طريق الأمل والممر ما يزال طويلا ووعرا للغاية، لا يمكن قطعه في أقل من ست ساعات. في كل مرة، ينصحني بعدم التوقف في الطريق، للضرورة، إلا عند صديقه محمد محمود ولد العتيق القاطن في كوخ على قارعتها، مردفا: "سيكون سعيدا إذا تصرفت كما ينبغي ولن يقرعك بالانتقادات إن أسأت التصرف".

ما تزال الكلمات الأخيرة التي وجهها لي عند مغادرتي في مثل ذلك الوقت الباكر ترن في أذني. "لتعلم يا أحمد أنك لن تجد في كل عودة مُسِنا جالسا لإدارة شؤونكم. ارع هذه الطفلة الصغيرة، اعتن بها وبعين السلامة".

أحسسته متعبا جدا، لكني لم أكن لأتصور أنه راغب في الحديث معي عن موته الذي يحس باقترابه وأن الأمر في الحقيقة وصية.

كنت في غرفتي في باريس عندما رن الهاتف. مكالمة من محمد ولد مولود تعلن الكارثة. حاول ملاطفتي، مبتدئا بكلام غامض، معلنا أنه لا يدري ما يقول، قبل أن يصل إلى النبإ الصاعق. بالرغم من وضعيتي، قمت بإرسال برقية إلى خالي محمد الذي يتابع دراساته في مدينة كانCaen، لإخباره برحيل والدنا العظيم. بعد ذلك بقليل اتصل الوزير الديينْ، مخبرا أنه أرسل تذاكر سفر، طالبا مني العودة للبلاد.

يحتل الديينْ مكانة خاصة في قلب عبد الله الذي ينزل عنده كل مرة يقيم فيها بانواكشوط. بتلك المناسبة، يترك له الديينْ منزله ويتحول هو وأسرته إلى مكان آخر. كان أيضا يفَسحه شخصيا في المدينة، خادما إياه كما لو كان سائقه. ومن نافلة القول أن الديينْ كان أقرب شخص بالنسبة له.

يُكِن عبد الله أيضا مودة خاصة لمحمد ولد مولود الذي وجد نفسه يتيما في ذلك اليوم، تماما مثلي. بتلك المناسبة، فقدنا معا القدرة على الكلام. كان الكلام على كل

حال غير مفيد وغير مجد في محنتنا المشتركة. ففي التنشئة التي تلقيناها، ينبغي أن تظل المسرات والآلام الكبرى صامتة، وهو التصرف الوحيد الذي قد يرقى إلى مستوى متطلبات الوضع. كل سلوك مغاير سيكون عقيما.

كان ذلك اليوم بمثابة اتصالي الأول، الذي كاد أن يكون جسديا، بالموت. بالطبع كنت أعرف أن الحَيْن لا بد منه في يوم أو في آخر، لكنها معرفة نظرية ورؤية تخيلية بعض الشيء. في هذه الأثناء، فإن الموت موجود هنا فعليا، قطعا هنا، ينتصب أمامي كما لو أراد أن يتحداني.

كنت حدَثا جدا لاستدعاء روافد ديننا الحنيف واستحضار أن "لله ما أخذ وله ما أعطى". كنت منهارا بصورة مطلقة.

في الوسط الذي عشت فيه، لا تكون القطيعة تامة مع المفقودين، إذ تستمر معهم روابط من نوع آخر، تحل محل القديمة. أيقتصر الأمر على نوع من العزاء يختلقه المرء ليتمكن من البقاء، رغم عجزه ووحشته؟ ربما.

تتكرر اللقاءات والحوار مع الميت في المرائي التي تكون أحيانا مذهلة الواقعية. يتمكن الفقيد من التدخل في قضايا جارية وإبداء رأي صائب فيها. حدثني محمد ولد سيديا الملقب أمْنادمْ، وهو رجل صدوق قاطن في الحي، أنه التقى أثناء تنقل له بعبد الله، مراقبا للحي وسائلا عن أخباره، زمنا طويلا بعد موته. أضغاث أحلام؟

كان رسولنا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يسأل حوله عن أحلام ومرائي أصحابه. فهي إذا بُعدٌ مهم من دواخلنا، من عالمنا الأكثر عمقا، وتجل لواقع ما، حتى إن أصر هذا الأخير على الإفلات. سيقول علماء النفس أنها تترجم بعدا مهما من ذاتنا.

إذا كان الهروب من الموت البدني مستحيلا، فهل من الممكن على الأقل الاحتيال على الصنف الآخر منه، أعني المعنوي؟ قد يترك الفقيد دروسا في الحياة تستحق الخلود بعده، يجسدها بطريقة أو بأخرى موروثه غير المادي. يُكْمل الفقيد فقط الزمن البشري الممنوح له ويروح للمُقام في زمن آخر، ذي طبيعة مختلفة.

ليس الخلود إلا للخالق الباقي وحده.

تعليق

هنالك ديوان حافل من مراثي وأمداح هذا الرجل العظيم، بالفصحى والحسانية، يجسد مكانته ودوره الرائدين، سيتم نشره لاحقا بحول الله وقوته. نقتصر منه هنا على نموذج عشوائي لكل من الغرضين، لإعطاء القارئ فكرة أولية عنه.

فمن مدائحه:

محمد فال ولد عينين

بَينَ الْجُفُونِ وبينَ النَّومِ قد عَرَضَا ... إلْمامُ طَيْفِ التي عُلِّقْتُها عَرَضَا

أَلَمَّ في لَيْلَةٍ ما إنْ تَمِيزُ بها ... لِناصِعِ اللَّوْنِ مِن دَيْجُورِها عَرَضَا

فَشَرَّدَ النَّوْمَ عن عَيْنِي اللَّمامَ وقد ... باتَ السُّهادُ لها مِن نَوْمِها عِوَضا

باتَتْ تَجُوبُ قِفارًا لا نِيَاطَ لها ... يُمْسِي الدَّلِيلُ بها مِن خَوْفِها حَرِضا

في لَيْلَةٍ كَرُوَيْزِ الهِنْدِ غاضِيَةً ... إنْ رامَ فيها السُّرَى ضِرْغامُها دَحَضا

وكانَ عَهدِي بها مِن نِسْوَةٍ قُطُفٍ ... عُجْبِى لها كيفَ يَرْمِيها فَضًا لِفَضا

باتَتْ تُرِينِي على قُرْبٍ مَحاسِنَها ... مِن كُلِّ ما قد بَدَا منها وما غَمُضا

باتَتْ تُرِينِيَ ساقًا مِثْلَ خِرْوَعَةٍ ... والكَشْحَ والكَفلَ الرَّضْرَاضَ والدَّ أضَا

والْمِعْصَمَ النَّاعِمَ الرَّيانَ دُمْلُجُه ... والفَرْعَ زِفَّ غُرابٍ حيثما نَهَضا

والثَّغْرَ نُورَ أقاحٍ غِبَّ سارِيَة ... والْحَلْيَ يُزْهِرُ في اللَّبَّاتِ جَمْرَ غَضا

تَمُدُّ جِيدَ خَذُولٍ حَولَ شادِنِها ... تَرْتادُ مِن بارِضِ الوَعْساءِ ما بَرَضا

كأَنَّما الوَجْهُ منها إذْ أضاءَ لنا ... وجْهُ الْخَلِيفَةِ عبدِ اللهِ حيثُ أضا

وجْهُ الْخَلِيفَةِ نَجْلِ الشَّيْخِ سَيِّدِنا ... أدْرَى الأنامَ بِما قد سُنَّ أو فُرِضا

وَجْـهٍ عليـه بَـراهِينُ الوَضـاءَةِ مِـنْ ... وُجـوهِ قَـوْمٍ بِبُرْهـانِ الوُضـوءِ وَضـا

إضاضُـنا في مُلِمَّـاتِ الْخُطُـوبِ إذَا ... دَهِمْـنَ وابْـنُ الألَـى كـانُوا لنـا أَضَضـا

وهْـوَ الْمَـلاذُ ومُشْـكِينا ومَلْجَؤُنـا ... فكُـلُّ ذِي غَـرَضٍ يَقْضِـي لـه الْغَرَضـا

وهْـو الفَتَـى ابـنُ جَلاهـا وابـنُ بَجْـدَتِها ... والفاضِلُ الْمَاجِدُ العَدْلُ الرِّضَى ابْنُ رِضَى

وهْـو الفَتَـى السَّـيِّدُ الْمَـأْلُوفُ جانِبُـه ... والواهِـبُ الأَلْـفَ لا يَبْغِـي بهـا عِوَضـا

نَشَـأتَ لا جُبَّـأً أَكْهَى ولا لَجِـزًا ... ولا مُرِبًّـا عـن الْحَوْجـا ولا رُبُضـا

ولا عَبُوسًـا ولا نِكْسًـا ولا بَرَمًـا ... ولا عَيِيـا إذَا جادَلْتَـه ارْتَحَضـا

ولا دَوًى مُعْرِضًـا عـن كُـلِّ عارِفَـةٍ ... كـلاًّ ولا مُولِيـا لِلْمُعْتَفِـي عَرَضـا

ولا نَـداكَ بِبـراض إذْ تَجُـودُ بـه ... إذَا الشَّـحِيحُ غَـدا في الْجُـودِ مُبْتَرِضـا

ولا نَؤُومًـا عـنِ العَلْيَـا يُعـازِلُ في ... مَمسـاه والصُّـبْحِ في مُكتَنِّهـا رُبُضـا

لكِـنْ نَشَـأتَ ثَقِيفًـا في رَوِيَّتِـه ... يُنَـتِّجِ الزُّبْـدَ مِـن مـاءٍ إذَا مُخِضـا

والْجِـدُّ منـه بِمـاءِ الْهَـزْلِ يَعْجِنُـه ... ونَمْلُـه قـد يَصِـيدُ الـوَحْشَ إذْ وَفَضـا

نَهَّـاضُ بَـزْلاءَ كـفُّ الْخَطْـبِ عُرْضَـتُه ... تَـراهُ للصَّـيْلَمِ الصَّـلْعاءِ مُعْتَرِضـا

لا خُلَّـبٌ بَرْقُـه في مُـزْنِ نائِلِـه ... بـل يَنْهَمِـي مُزْنُـه إنْ بَرْقُـه وَمَضـا

قُطُوفُـه لِجُنـاةِ القَطْـفِ دانِيَـةٌ ... يُلْقَـى جَناهـا بِغَيْـرِ الـنَّفْضِ مُنْتَفِضـا

قَضَـى الإلَـهُ إلَـهُ العَـرْشِ أَنَّكُـمُ ... خَيْـرُ الـوَرَى رَغْـمَ أَنْـفٍ مِـنهمُ ورِضـا

آتِـيكُمُ خَيْـرُ آتٍ في القُـرُونِ كمَـا ... ماضِـيكُمُ خَيْـرُ مـاضٍ في القُـرُونِ مَضَـى

وبالإمـارَةِ مِـن بَـيْنِ الـوَرَى لَكُـمُ ... قَضَـى كمـا أَنَّكـمْ أَهْـلُ القَضـاءِ قَضَـى

إنَّ الإمـارَةَ فِـيكُمْ والقَضَـا لَكُـمُ ... ومـا السِّـيادَةُ إلا إمْـرَةٌ وقَضـا

إنَّـا أتَيْنَـاكُمُ مُسْتَنْهِضِـينَ لَكُـمْ ... إنَّ الكَـرِيمَ إذَا اسْتَنْهَضْـتَه نَهَضَـا
كُنَّـا لنَـا جِـذْمُ أمْـوالٍ نَسُـدُّ بِـه ... حَـقَّ النَّوائِـبِ مَنْـدُوبًا ومُفْتَرَضَـا
فَـاليَوْمَ أوْدَى بِـه صَـرْفُ الزَّمَـانِ فمَـا ... أبْقَـى لنَـا حَضَضًـا مِنـه ولا بَضَضَـا
وكَلَّفتْنَـا مُلُـوكُ الأرْضِ مَغْرَمَـهُ ... وجَرَّعَتْنَـا علـى اسْتِقَضَـائِه مَضَضَـا
ونَحْـنُ كُنَّـا إذَا مَـا مَسَّـنا جَـرَضٌ ... يَوْمًـا رَفَعْنَـا إلَـيْكمْ ذلـكَ الْجَرَضَـا
لِكَـيْ تُزِيلُـوهُ لَـيْسَ الْعَهْـدُ مُنْتَقِضًـا ... مِنَّـا ولا العَهْـدُ مِـنكمْ كَـانَ مُنتَقَضَـا
صلَّى الإلـهُ علـى الْمُخْتَـارِ مَـا نَفَضَـتْ ... عِطْـفَ الفَتَـى مِـنكمُ الأمْـدَاحُ فانتَفَضَـا

ومن مراثيه:

محمد سالم بن محمد عالي بن عبد الودود

أتَمِيـدُ هَـذِي الأرضُ أمْ تَتَمَـادَى ... للنّـاسِ مِـن بَعـدِ ابـنِ بـابَ مِهـادا
فقَـدُ الإمَـامِ الشّـيخِ عبـدِ اللهِ قَـد ... أذْكَـى القُلُـوبَ وفَطَّـرَ الأكبـادا
نَبَـأٌ ارْتِحَـالِ الشَّـيخِ إثْـرَ رِفاقِـه ... نَبَـأٌ يَهُـدُّ سَـماعُه الأفْـوادا
عَـمَّ الأنَـامَ فمَـا يَخُـصُّ قَبيلَـةً ... وطَـوَى الـبلادَ فمـا يَخُـصُّ بِـلادا
نَبَـأٌ تَـرَى الآمَـالَ قـد لَبِسَـتْ بِـه ... لـوي السَّـوادِ علـى ابـنِ بـابَ حِـدادا
ليسَـتْ بـأوّلِ مَـرَّةٍ نُلْفَـى بهـا ... صُـبُرًا نُغِـيظُ بصَـبْرِنا الحُسَّـادا
في مثـلِ هـذا الوقـتِ مذ حِجَـجٍ خَلَـتْ ... كُنَّـا علـى تَوْدِيـعِ بـابَ جِـلادا
فأتَـتَ جُمَـادَى كَـيْ تُعِيـدَ بنَفْسِـها ... ذِكـرَ إثْنَـيْنِ وأرْبَعِـينَ جُمَـادَى
مَـن للأرامِـلِ واليَتَـامَى بَعـدَه ... أمْ مَـن يعـد لِمـا يَلُـمُّ عَتَـادا
مَـن للهُـدَى مَـن لِلتِّلاوَةِ في الـدُّجَى ... مَـن يُـدْمِنِ الصَّـلَواتَ والأوْرادا
مَـن يَحْفَـظُ الإسْـلام مِـن أعْدائِـه ... مَـن يَصْـنَعُ التَّحْرِيـفَ والإلْحـادا

كـــمْ خـــائِفٍ آوَى وكـــمْ مِـــن عائِـــلٍ أغْنَـــى ولـــو كـــانَ اسْـــتَزادَ لَـــزادا

كـــمْ مِـــن فَقِيـــرٍ ذي عِيَـــالٍ جـــاءَه فأفـــادَه مـــالاً فعـــادَ فعـــادا

فـــاللهُ يُجْزِيـــه علـــى إحْســـانِه ويُثِيبُـــه التَّقْرِيـــبَ والإسْـــعادا

لـــو رُمْـــتُ حَصْـــرَ خِصـــالِه لـــمْ أحْصِـــها لـــو أنَّ جُـــودَ الشّـــيخِ كـــانَ مِـــدادا

لكنَّـــــه واللهِ خَيـــــرُ خَلِيفَـــــةٍ قـــد خَلَّـــفَ الأولادَ والأحْفـــادا

وللإخْـــوَةِ الشُّـــمِّ الكِـــرامِ وأُسْـــرَةٍ قـــد ســـامَتِ الآبـــاءَ والأجْـــدادا

آل بيـــت المكرمـــات بجمعهـــم يســـتكمل الأســـباب والأوتـــادا

مع محمد ولد مولود

مع محمد ولد مولود في باريس، غداة وفاة عبد الله

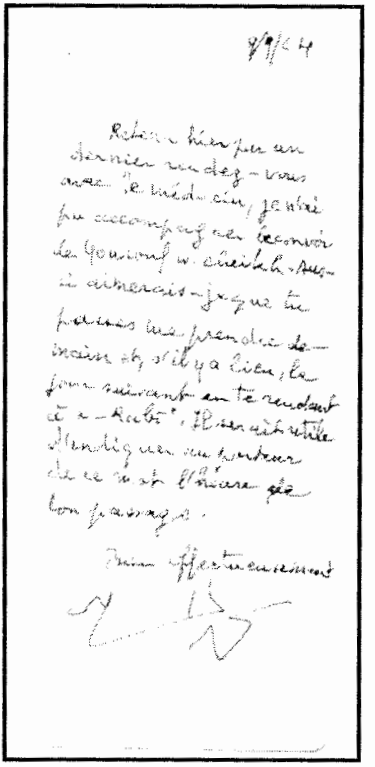

آخر رسالة يكتبها لي محمد ولد مولود

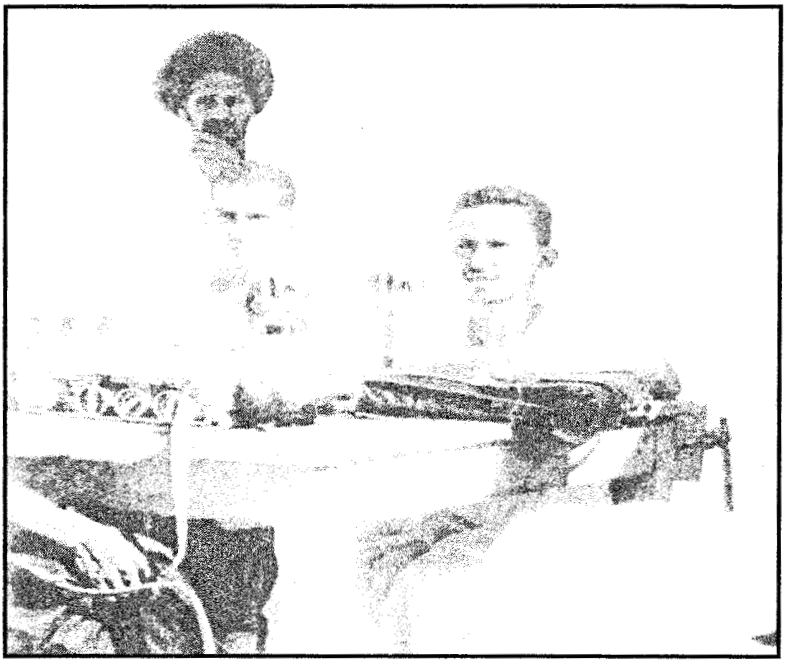

محمد ولد الشيخ ولد أحمد محمود وسيد أحمد لحبيب

من اليمين إلى اليسار: سيد محمد الديين وسيد المختار ولد يحيى انديايي

الرؤساء

من المعلوم أن الوظيفية الرئاسية صعبة وناكرة للجميل. وهي مع ذلك شرف لا يتناهى. إن لم تكن خطيرة كما هو الحال في بلادنا، فإنها تبقى على الدوام منهِكة ومرهِقة.

يقود الرئيس بلاده كما هو مفروض ويرمز لكل شيء فيها ويعتبر كبش فداء لشعبها. يُتهم بكل شيء وبأي شيء عندنا، وربما عند غيرنا من الشعوب.

كنت دائما أتسلى، عندما أمر أمام دار كبيرة أو عمارة قيد البناء، بالتساؤل: لمن تكون؟ مدركا تماما وبصورة مسبقة أن الرد سيكون: هذه ملك للرئيس أو لفلان من أسرته أو المقربين منه. على النقيض من ذلك، يندر أن يضاف له أي شيء إيجابي.

الرئيس هنا لكل ما تبقى، أي جميع ما لا يكون على ما يرام في البلاد وفي المنطقة. يمكن أن يتعلق الأمر، على سبيل المثال لا الحصر، بكثرة الناموس أو التسيير السيئ لمصالح الدولة، مرورا بالفشل الدراسي والجفاف، أو ببساطة بالجريمة بصورة أعم. على العموم، الرئيس في النهاية تجسيد لكل من الرجال والنساء والحيوان. يعتقد المواطن أن ارتفاع الأسعار لا يقع إلا بسببه.

صحيح أن الحصول على هذه السلطة الأسمى وشغلها لا يتسنى دون تبعات، خصوصا إذا زادت المدة على فترات معينة، إذ أن السلطة تقتضي الاتهام.

ومع ذلك، فإن متاعب المهنة لا تردع البعض عن الرغبة الشديدة فيها والقبول بالتضحية بكل شيء في سبيلها، بما في ذلك الحريات الصغيرة التي لا غنى لأي إنسان عنها.

يقول أحد المفكرين إن التمتع بأقل قدر من الحريات يكون من نصيب كبار الأثرياء الذين تُحرِّم عليهم ثرواتهم التحيزَ والكرهَ وفي المقام الأول، الغضبَ. كما يرى آخر أن من يعرف كيف يهزِم نفسَه بعد النصر يكون منتصرا مرتين.

يصف رئيس كبير بدوره هذه الوظيفة قائلا إنها سلسلة ثقيلة تكبل الخادم، وفي

نفس الوقت مكانة لا يوجد أسمى منها. هذه الوظيفة جديرة بالاحترام الذي يجدر استحقاقه هو الآخر، لكونه غير مجاني.

يضطر الرئيس أحيانا إلى تعدي رغباته، أثناء تأديته لمهمته المتمثلة في قيادة بلده نحو الرقي والسهر على وحدة شعبه، في جو يطبعه السلم.

كان المختار، رجل السلم والوسطية، يأمر بتَرْباگ شبان، إثر وقوع بعض الأحداث. تعني هذه العبارة المتداولة في الوسط الريفي ربط العجول والخرفان والجِدى بحبل مثبت، للحيلولة دون رضاعها أمهاتها، قبل حلبها.

علينا أن نقول ونكرر بأن معارضة أي رئيس، وبالخصوص معارضة سياسته، ليست جرما، بل إنها تصبح أحيانا واجبا مسدى للبلاد ولشعبها. ومع الأسف وحتى اللحظة، فإننا لا نرى بشكل واضح ما تعارضه المعارضة. هل كلّ حكم يستتب له الأمر، أو برامجَ ومسلكياتِ قادتنا؟

في الحالة الأولى، يكون موقفها كارثيا، ربما له مبرراته، إلا أن فهمه غير سهل بالمرة. في الحالة الثانية، تكمن الصعوبة في تحديد ما إذا كانت النزاهة أمام الشعب تقتضي أن يُعترف في العلن بالبرنامج والسلوك المنتقَدين، بدل التغاضي عن كل شيء.

مهما يكن من أمر ورغم صعوبات المنصب الرئاسي، فإن الكثيرين يرغبون في الوصول إليه وتذوُّق مشاغله.

أمام معارضة مسالمة، يجب على كل سلطة أن تخلق لها دورا محوريا. وبما أنها لا تملك من السلاح غير الكلام، فإنه ينبغي أن تُخصص لها هوامش من عدم المساءلة في كل مدينة أو قرية، لتمكينها من التعبير بحرية.

لما ذا لا ينظر إلى الرؤساء المتعاقبين إلا من زاوية المنجزات الملموسة، المرئية إن صح التعبير؟ ظل هذا التساؤل لغزا بالنسبة لي على الدوام. بالطبع، فإن المنجزات مهمة وحتى أساسية لتبرير مثل هذه النظرة، لكن الحال هو نفسه بالنسبة

للحصيلة غير الملموسة، المتوارية عن الأنظار، إن صح التعبير، كسعادة الشعب، وتوفير المساواة والعدالة للجميع.

ربما تحمل نظرة إلى الشارع دلالة أكثر من كل الخطابات والشعارات. كم من المارة يبتسمون؟

إن السلم، هو الآخر، مُعاش لكنه يبقى متواريا عن الأنظار، حتى وإن روّى قلوبنا وعقولنا. ما ذا سنستفيد من طرقنا الخالية من السيارات والركاب في حال فقدانه، أو مدارسنا بدون تلاميذ أو معلمين؟ تطول اللائحة وتتعلق بكل مكاسبنا، برقينا كله.

كيف نواجه الأمر؟ من الضروري حب الوطن وشعبه. معرفة تاريخه وجغرافيته هما أبسط المتطلبات. قدر من الثقافة كذلك، لكن دون إفراط، لأن الإفراط هنا أيضا، قد يميع ويقيد النشاط. من العدالة أن نترك للمثقفين هذه المَلَكة، كنت أود أن أقول السعادة، الكامنة في تصور برامج ونظريات لا نعرف بالضبط أين يتسنى تطبيقها وعلى أية شعوب؟ ومع ذلك، فإن الاستماع لمثل أحكام مواطنينا المتهورة هذه يتطلب إنصاتا متأنيا، خاصة قبل اتخاذ القرارات المفصلية.

وقَع الرؤساء الذين عرفتهم في بعض الأخطاء، لكنهم يستحقون أفضل من الصورة التي تركوها عن أنفسهم. وبالطبع، لكل منهم أسلوبه وأوساطه، إضافة إلى خزانه البشري الخاص به، إن أمكن القول.

لم يكن خزان المختار قبليا ولا جهويا على الإطلاق. لكنه لم يكن الأفضل، لأنه خزان الحزب الواحد، وهو ما يعني المهنيين المختصين في الفرقعات والتزلف.

لدى الآخرين، لم تكن العائلة والقبيلة أبدا بعيدتين. تشد هذه الدوائر الصغيرة الخيوط وتحبك المؤامرات وتصفية الحسابات. وفي المحصلة، ليس هنالك شيء مبتكر. الكل يتسابق للثراء غير المشروع والاستحواذ على ثروات البلد، واضعا يده على كل ما قدر عليه. بالنسبة له، وهنا بيت القصيد، فالنقود لا رائحة لها، خاصة

إذا كانت نقود الدولة، وبالتالي نقود المواطنين. المهم والملح هو الثراء قبل أن يتحول مجرى الأمور.

لاحظت عند كل الرؤساء الذين عملت بجانبهم طبعا كتوما، يستهدف الظهور بنوع من الغموض الذي لا ينقطع إلا لتبرير ما يقومون به أو الإجابة على انتقادات المعارضة. أتصور أنهم، خلف الستار، لا يختلفون عنكم ولا عني. لا بد أنهم يفكرون فيما قاموا به، بما سيقومون به، وبما لم يستطيعوا القيام به. ربما ببعض الندم أو الاعتزاز.

من الصعب رسم صورة افتراضية أو دقيقة لأي رئيس. الأسهل أن نبقى فيما نشاهد، إذ قد يكون أبلغ من الباقي. كانت غالبية الذين عرفتهم شبانا، وبالتالي دون تجاعيد الحكمة، لكنهم في الغالب متشابهون في بعض النقاط: لطيفون ومهذبون. على المستوى الأخلاقي، لا يوجد إلا ما يقوله عنهم المواطن العادي الذي يجرمهم بكل شيء ويقارن كلا منهم بحيوان أليف معين، يكون أحيانا مسالما، لا يضمر الشر لأي أحد. كما يمكنه الاقتصار على القضم في المراتع الإدارية، دون أن يترك فيها أي بوصة عشب، أو يوزع ركلات لكل من يستطيعون إزاحته وربطه بحبل. يمكن أيضا أن يلعب دور قائد القطيع ويكتفي باحتواء كل فرد منه.

إذا اكتفينا بما هو جسمي، وبمراقبة النظر لوحده على سبيل المثال، فإننا سنلاحظ أنه يكون تارة مطمئنا أو كيسا، نتيجة التربية والترويض. إلا أنه قد يغدو حربيا أو من فولاذ. أحيانا أخرى، تقذف العين حِمَما مشتعلة أو تنكمش بمكر في جفنها. كل هذا تمت مشاهدته.

إن وجه أي رئيس، تماما كما هو الحال بالنسبة لكل إنسان، عبارة عن برقع لا يسمح برؤية ما لا يرغب في إظهاره. لكنه قد يخذل ويكشف واقعا من الهشاشة أو قابلية الانهزام.

رئيسان: ديغول والمختار

لقد ترك كل منهما أثرا عميقا على تاريخ بلاده وربطتهما علاقات خاصة مع عبد الله.

كنت أستمع للإذاعة متنحيا جانبا عندما أعلن الراديو رجوع الجنرال إلى سدة الحكم في فرنسا. ركضت لإبلاغ الخبر لعبد الله وأنا ألتقط أنفاسي بالكاد. كان الاثنان صديقين. يصفه الرئيس الفرنسي في مراسلاته معه مرة بصديقي العزيز، وتارة برفيقي العزيز أو بالشيخ المعظم والصديق.

ديغول:

شاهدت الجنرال ديغول لأول مرة إبان زيارته لبوتلميت، سنة **1953**. لم أحتفظ بأي ذكريات من هذا الحدث لصغر سني. أخبرني الشيخ ولد أحمد عيْشَ أنه ناوله رسل ناقة بيضاء وأن اللبن تدفق من القدح أثناء حلبه لها، فأمره ديغول الذي كان يراقب المشهد بالتوقف عن العملية.

فما يزيد على ملء القدح حق للفصيل، وهو ما أوحي للشيخ بالنكتة التالية: *ديغول أكرم منا في حق الفصلان.*

كان الشيخ حكيمنا وفردا من أسرتنا. كان أيضا بالنسبة لنا مَعينا نستلهم منه الحِكَم والدروس من مختلف الأنواع. أرجو الله أن يسكنه الجنة.

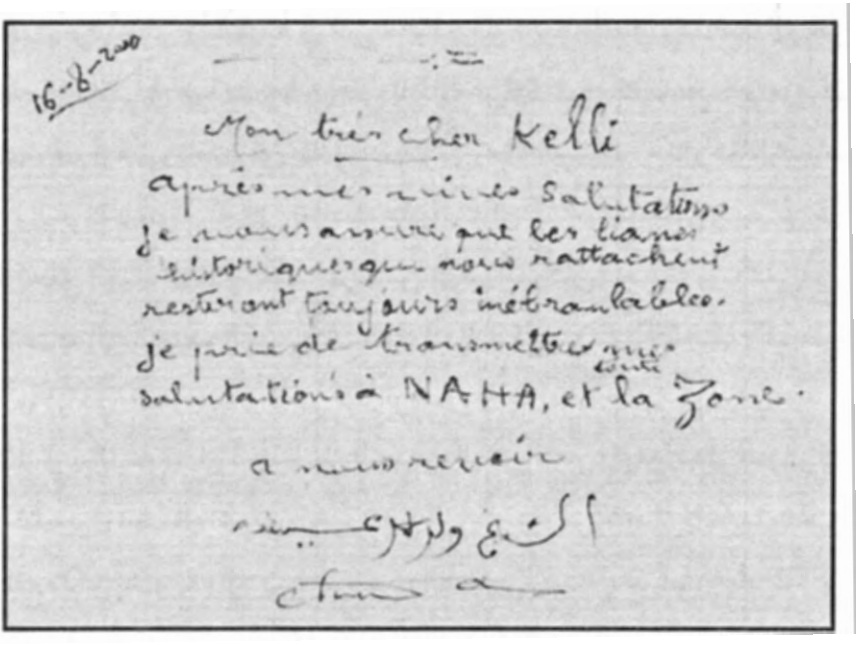

رسالة موجهة إلي من طرف الشيخ ولد أحمد عيشه

أرسل الجنرال تعازيه في موت استالين من بوتلميت. لم يكن آنذاك قد عاد للسلطة، لكنه ظل ندا للكبار. بمناسبة مروره، تم بناء خيمتنا على قنة الكثيب الغربي للقرية تمهيدا لحفل غداء أقامه عبد الله على شرفه.

نظر الرجل العظيم إلى الفضاء اللامتناهي حوله، إلى تلك المساحة الهائلة الفارغة، وأعلن بصوت عال: "إن الأمور العظام لا تنجز إلا في المساحات الكبيرة"! لو فكرنا قليلا في الأمر لوجدناه صحيحا. فقد عرف الأنبياء وُحدة وهدوء البراري قبل أن يعلنوا الرسالات السماوية للبشر، وبهذه الطريقة وصلت الديانات ألكبرى للعالم.

بالنسبة لديغول، لا بد أن الأمر مقتصر على أفكار أقرب للأرض، أفكار إنسانية بحتة. هل كان في ذلك الوقت يفكر في قنبلته الذرية التي شغف بها؟

علمت مرة أخرى وأنا تلميذ في ثانوية افيديرب Faidherbe بسانت الويس، أنه سيجري توقفا في انواكشوط، وهي إذ ذاك عبارة عن مكان مغمور موسوم بالعاصمة. لم أرغب تحت أي طائل أن يفوتني هذا المشهد، مدفوعا بالحماس الشبابي والحركة المتواصلة التي تعودت عليها. تم نصب خيمتنا المستجلبة من عين السلامة لحفل الغداء المقدم، هذه المرة، من طرف المختار.

بالإضافة إلى الضيف الكبير، كان حول المائدة كل من سيد المختار ولد يحيى انديايي، مؤديا دور المترجم، والأمير عبد الرحمن وعبد الله. احتلت كي يراني عبد الله الذي أشار لي بالدخول. لم أحتفظ من الحديث الدائر إلا برد ديغول على سؤال قلِق من عبد الله حول احتمال نشوب الحرب بين الروس والأمريكان. أجابه بما مقتضاه أنها لن تقع، لكن نشوبها وارد بين الروس والصينيين. لماذا، تساءل عبد الله؟ لأن الصين تفتقر للمجال الحيوي ولا يمكنها التمدد إلا عبر مونغوليا، أجاب الجنرال. المجال الترابي، ودائما المجال الترابي. إنه الهوس أو لا يكون.

أتيحت لي فرصة لقاء الجنرال للمرة الثالثة خلال غداء في قصر الأليزي l'Élisée. بوصفي أمينا شابا لرئاسة الجمهورية، كنت ضمن وفد المختار، صحبة سفيرنا أحمد ولد الشيخ ولد جدُّ.

تم إعداد قصاصات استخباراتية من طرف التشريفات الفرنسية حول أعضاء الوفد أياما قبل الزيارة. لم أتوقف أثناء المائدة عن الإنصات للحديث ورمْق مضيفنا بصورة مركزة. طرح على وزير الدولة موريس شمان Maurice Schuman السؤال التالي: أين كنت يوم تحرير باريس؟ ليجيب هذا الأخير: كنت أقود القطاع كذا، الذي لا أتذكر اسمه. لماذا؟ سأله الجنرال. لأني مولود في ذلك المكان، أجاب الوزير. أضاف الجنرال: أرجو أن تكون هنالك لوحة تذكارية، دون إبداء أي تهكم.

فور الانتهاء من الغداء، انسحب إلى غرفة ملاصقة ليتم إدخال الضيوف عليه تباعا، لتبادل المجاملات معهم. اصطحبني افوكار Foccart، وكما يمكن لكل أحد

أن يتصور، كنت في وضعية غير مريحة لا أتمنى لأي أن يعيشها. كان عمري بالكاد عشرين سنة، مرهَبا ومضطرا للنظر نحو السماء لرؤية وجه مخاطبي الذي لم تكن له ملامح بشرية.

بدأ العملاق الحديث كما لو أنه يخاطب نفسه:

هل الأمور على ما يرام في موريتانيا؟

نعم، حضرة الجنرال، أجبته بصوت خافت.

لكن هنالك مشاكل؟ كما أضاف.

نعم حضرة الجنرال.

لكنها مشاكل تنمية؟

نفس الجواب: نعم حضرة الجنرال.

أخيرا: توفي جدك منذ سنتين؟

نعم أخرى، حضرة الجنرال.

لكني بعثت ببرقية؟

نعم حضرة الجنرال، نهائية هذه المرة.

كان المختار الموجود في غرفة قريبة منا يراقب المشهد ويضحك داخليا، مما فاقم معاناتي. سارعت للاختفاء عن هذا التمثال الهائل.

فور عودتنا لمنزل سفيرنا، ها هو أحمدُ ولد عبدلّ يفِد علينا لتحية المختار. في ذلك الوقت، كان ما يزال طالبا لكنه لم يكن، حتى في تلك الحقبة، ليعزف عن الاقتراب من السلطة.

ولمعرفتي بصديقي، شرعت في سرد حفل الغداء عليه، بمبالغات متكررة، كفيلة بإثارة غبطته. كان المختار يخفف من مبالغاتي، لكنه كان سعيدا في ذلك اليوم، بصورة لا تخطئها العين.

بالمناسبة، يكون كذلك كلما سافر خارج البلاد. يحب الانغماس في النشاط

الخارجي ويقول بأنه يغبط السفراء. صحيح أن العمل في الخارج قد يكون أقل جحودا من العمل في الداخل الذي يواجه المرء فيه الواقع وما لا يسمح بالتأجيل.

على الدوام، كانت لقاءاتي مع رجل الدولة العظيم هذا سطحية، إلا أنه ترك لدي انطباعا بأني أعرفه بصفة أكثر عمقا. ذلك أني دأبت طيلة سنوات دراستي العليا للقانون العام على الالتقاء بفكره الدستوري وفلسفته في الحكم، كما عبر عنهما منذ خطاب بايَّه Bayeux الشهير.

ابتكر بتخليه عن النظام البرلماني الذي يسميه نظام الجمعيات، واستعاد سلطة الدولة عبر إعطاء الأولوية لسلطة تنفيذية مستقرة، مغايرة لنظام الجمهورية الرابعة العاجز ومنح نظامه هذا أدوات دستورية غير مسبوقة. فعلى سبيل المثال، استحدث انتخاب رئيس الجمهورية بالتصويت المباشر عن طريق الاقتراع العام والمادة 16من الدستور الجديد لمواجهة الأزمات، أي عندما تكون مؤسسات الدولة مهددة أو تواجه الأمة المخاطر.

المختار

مقارنة مع كافة رؤساء بلادنا، كان المختار، ويمكننا اليوم أن نقول ذلك، رئيسا مثاليا. عند وصوله للسلطة، كان مُعدا تقريبا للأمر، حيث لم تكن ثقافته وتربيته الحسنة بالضامرتين. ستنفعانه في الظرف الموريتاني لتلك الفترة، أي موريتانيا تقليدية، محافظة وريفية.

يترك الوسط العائلي آثاره على الدوام، لأنه بمثابة المدرسة الأولى لكل فرد. لذا كان للمختار حواجز لا يتخاطاها في مزاولة وظائفه. لا يعني الأمر أن السلطة ينبغي أن تظل بأيدي نخبة معينة، بل ببساطة أنه ينبغي استحقاقها. عند ذلك، ربما يضحى الدفاع عنها مشروعا.

تتجلى مميزات المختار التي يعترف بها الآن جميع معاصريه في سلوكه اليومي.

الغرض من هذه السطور ليس تحليل نشاطه العمومي، بل فقط إعادة الصورة التي بقيت لي منه.

أسرة المختار أسرة محترمة على جميع الصُّعُد، مارست وأحبت المسؤولية على الدوام. يقول على سبيل المزاح، متحدثا عن نفسه، بأن للسلطة طعما مصغرا، تصغير التحبب (الحكم بَطْعَيْمْتُ)، ويمارسها بقدر من المتعة يحاول إخفاءه.

ليست هذه الشهادة معزوفة تتغنى بأمجاده بعد موته ولا هي متابعة انتقامية من شخصه. في نظري، كان للرجل خصال متعددة، لكن تواضعه ظل مثاليا. هل ذلك التواضع مفتعل أو حقيقي؟ بمقتضاه، كان يقول أن ذكاءه متوسط، إلا أن ما يقوله الرؤساء لا ينبغي تصديقه حرفيا. بيد أن هذا الإعلان يجعله رئيسا بصورة مضاعفة في أعين العاملين معه.

تنير تلك الطريقة كلا من منهجيته في العمل وتفكيره ونشاطه. كان محترما ومقدرا. لا يثير أي نوع من الخوف لدى من يقتربون منه، الأمر الذي تغير فيما بعد، مع بعض خلفه.

تعرفت على المختار مبكرا جدا، عندما كان يأتي بعد عودته من فرنسا لتحية عبد الله. كنت صغيرا وكنا نستقبله كابن. زيادة على الروابط العائلية، فقد التقاه عبد الله في ظروف خاصة لم يتوقف عن ذكره بعدها بالجميل.

يحكي هذه الواقعة مع المختار الموظف الشاب ساعتئذ في بير أم أگْـرينْ. كان عبد الله عائدا عبر الطريق الموسوم "بالإمبراطوري". توقف في عودته من الحج ونزل عند المختار.

يُعْرف الموريتانيون بتدينهم ويحجون كلما سنحت لهم فرصة لذلك، لأن الحج من أركان الإسلام الخمسة.

قبل ظهور الوسائل العصرية، كان هذا السفر يتم مشيا على الأقدام أو على ظهور الحمير أو الإبل، ويستغرق فترات طويلة، تصل أحيانا عدة سنوات. كان

العائدون منه سالمين قليلين جدا.

لا يخشى الحاج الذي يتحدى الصعوبات بمختلف أنواعها الموت، بل يتمناه سرا أحيانا أثناء سفره، مفضلا وقوعه في مكة أو المدينة المنورة. التعلق بهذه الأخيرة، مدينة الرسول، خاص وكذلك بالحجاز بصورة أعم، لكونه مسقط رأس نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. سعداء هم الأموات المدفونون هنالك! لا يزال حج الولي عبد الله ولد سيد محمود في الظروف القديمة عالقا بأذهان الكل. فُتحت لعبد الله الكعبة للصلاة بداخلها، تلبية لطلبه. امتياز ما فوقه امتياز!

امتياز آخر ليس أقل شأنا هو ما حصلت عليه عندما قدمت من الطائف صحبة الرئيس عبدُ اضيوفْ، لتفتح لنا الروضة الشريفة.

بمناسبة حجه، استطاع عبد الله المهوس بالماء أن يحقق أحد أحلامه عبر المشاركة في تمويل عينيْ زبيدة والزرقاء، في مكة المكرمة والمدينة المنورة، كما تشهد له الوثيقتان التاليتان:

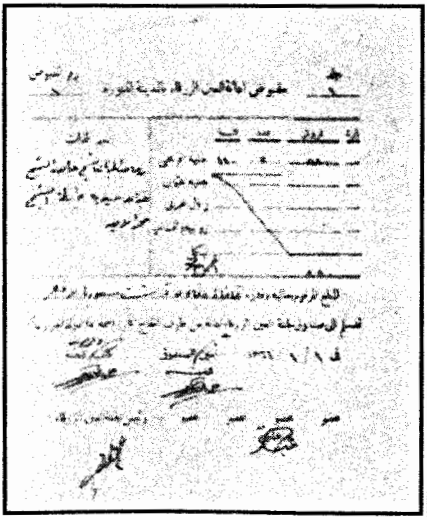

الأمر مستحيل التصور اليوم: موريتاني يمول الماء في المملكة العربية السعودية! لكنه وقع قبل ظهور البترول وفي فترة كانت فيها وسائل المملكة متواضعة. كان أفراد من العائلة المالكة آنذاك ينظمون حركة الحجاج، مسلحين بأحزمتهم وسيوفهم. سيطول الحديث لو أردنا سرد وقائع هذا الحج الذي يؤرخ به في بتلميت.

اجتاحني بدوري الحبور بتأدية هذه الفريضة الدينية. ففي هذا البلد المبارك، أتيحت لي فرصة نادرة ثانية، عندما ولجت إلى داخل الكعبة المشرفة، صحبة أخي إبراهيم. كان ذلك بفضل الملك خالد الذي ظل يراقب المشهد. وجدنا الملكين الحسن الثاني، ملك المغرب، والحسين، ملك الأردن، يؤديان الصلاة. عند الخروج، تصافح ملك المغرب مع الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد. طافت تلك الصورة أرجاء العالم. من الواضح أن التفكير مليا في هذا الحدث والتحضير له تما بعناية، لكنه، ومع كامل الأسف، لم يؤت أكله.

في حديثه عن عودته عبر الطريق "الإمبراطورية"، يذكر جدي أنه توقف عند المختار الذي كان في تلك الأثناء موظفا شابا في بير أم أگرين. كان الوقت باردا كما قال لي.

اقترب منه المختار باستحياء، كما هي عادته، قائلا: "يوجد رِسْل إبل وطعام معد سلفا". أمر عبد الله بتقديم الطعام لرفاقه واكتفى باللبن، طالبا أن يغطى بقطيفة منزلية مبسوطة على الأرض.

بعد عودة الرئيس العجوز مريضا ومنهكا من المهجر، ذكَّرته بهذه الحقبة. كان برفقتي المرحوم محمد سيديا ولد اباه وعبد الله ولد أهلُ. عند سماع نقلي لكلمات عبد الله، تمتم الرئيس المسن بكلمات غير مسموعة وغمرت عينيه الدموع. أوقفت اللقاء على عجل وبادرت بالخروج بأسرع ما يمكن.

يقول عبد الله إنه لم ينس أبدا طعم لبن تيرسْ ذلك، حيث يَفترض أن السنة كانت جيدة. تحدث أحيانا مسائل خارقة في عالم الإبل إذا كانت المراعي جيدة في

هذه المنطقة من البلاد. يروي العالم الجليل سيد محمد ولد داداه أنه شاهد ما يشبه المعجزة، لما كان تلميذا في محظرة أهل محمد سالم. فقد ذاق لبن ناقة لا يتجاوز عمرها سنة.

ذاكرة ذوقية للبن المشروب عند المختار. عندما استدعت السياسة نفسها بعد ذلك بزمن بعيد بمناسبة انتهاء الوجود الفرنسي، لم يكُف هذا اللبن عن الرنين في الذاكرة والضغط بكل ثقله، كما يقول لي عبد الله.

لم يشُب علاقة الرجلين إلا غيمة واحدة: ترشح المختار لمجلس الاتحاد الفرنسي ضد سليمان. ليس لهذا السبب في حد ذاته، بل لعدم استشارة المختار له مسبقا. لو حدث ذلك لكان بالإمكان تفادي صدام لا طائل من ورائه بين الأشقاء. بهذه المناسبة، رمى عبد الله بكل ثقله لإنجاح أخيه وبعث برسائل شكر لكل من ساندوا سليمان، كلامين غي وانديا وارْ سارْ، على سبيل المثال لا الحصر.

لا يعرف السبب الذي لم يرسل باب بموجبه أيا من أبنائه إلى المدرسة. لم يقتفه عبد الله في ذلك، إذ لكل فترة متطلباتها ورجالها. كان تمدرس أخيه الأصغر سليمان مهما جدا بالنسبة له. رغب في تسجيله في مدرسة تكوين المعلمين بالجزائر، الأمر الذي تأسف الفرنسيون لعدم حدوثه. لذلك أرسله إلى دكار. وفي مراسلة مؤرخة بالعشرين من نوفمبر 1946، أخبره الوالي العام أن سليمان التحق للتو بالسنة الخامسة وأنه من المؤكد أنه سيصبح تلميذا متميزا.

ظل سليمان على الدوام زعيما وممثلا خارجيا لنا، مبسوط الوجه والكف على الدوام، في مجاليْ السياسة والشؤون العائلية. يستحق ذكرا أطول، ربما يتم الاضطلاع به يوما من الأيام. فقد استطاع بنشاطه وكرمه ومكانته أن يملأ الفراغ الكبير الذي خلفه غياب أخيه الأكبر، تغمدهما الله برحمته الواسعة.

في الوقت الذي كنت فيه تلميذا وطالبا، اتخذني الرجلان، عبد الله والمختار، رسولا بينهما، مرات في أمور خاصة وحساسة جدا، كما تشي به الرسالة التالية التي

ربما تكون من رسائل المختار القليلة المكتوبة بالعربية.

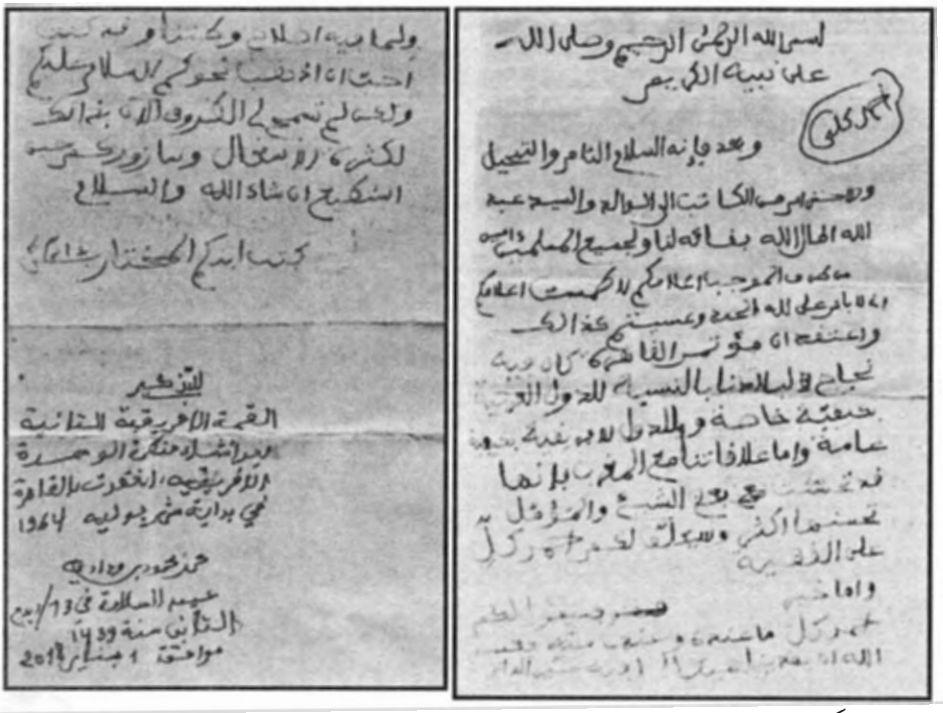

فَجْرَ استقلال المستعمرات، كان جدي يفكر في كل من محمد ولد مولود والمختار لقيادة البلد، بميول واضح للأول.

يقول عن الاثنين إنهما يطمئنان الوسط التقليدي، بفضل منبعهما العائلي، في الوقت الذي يشكل تكوينهما ضمانا بالنسبة للشباب، أي للمستقبل. لكن المختار نفسه كان يعتقد بأن عبد الله هو الوحيد القادر على قيادة البلد إلى مستقبله. ذلك ما قاله أثناء تدريبه على المحاماة في دكار لمحمذ ولد باباه، وما نقله لي عنه بدوره صديقي مرات عدة.

كان الدكتور توري ماماذُ ومحمد ولد مولود أول الجامعيين الموريتانيين.

في رأي عبد الله، كان لمحمد كل المواصفات التي تمكنه من قيادة البلاد إلى مستقبلها. فاتح الوالي الفرنسي في الموضوع فأعطاه موافقته المبدئية.

وكم كانت مفاجأته أياما بعد هذا اللقاء باستقبال مبعوث فرنسي يحمل ملف اعتراض على محمد. هكذا تم التوافق على المختار.

إلا أن عبد الله لم ينقطع عن التفكير في سبب استعمال الفرنسيين لحق النقض ضد محمد. هل يعود الأمر لقربه من القومية العربية، في خضم الثورة الجزائرية؟ ذلك ما لم يكن مستبعدا. كان عبد الناصر وصوت العرب يستميلان بقوة شباب البلاد، تماما كما كان تيار القومية العربية الذي يناضل لنهضة الدول العربية ووحدة العالم العربي وتحرير فلسطين. ذلكم الحلم الذي لم يتحقق لحد الساعة. إلا أنه بوسع كل هذه المثبطات مجتمعة أن تجعل المتهم بها في نظر السلطات الفرنسية يترنح. ربما للمختار نفس الميول التي لمحمد، لكن بدون سِماتها الخارجية، إذ ظل يحتفظ بها لنفسه، مخبأة بداخله. مجرد فرق في الأسلوب.

من المؤكد أنه في ذلك الوقت يفكر في إنجاز استقلال البلد وتحقيق وحدته حول دولة عصرية معترف بها. ذلكم المشروع الطموح الذي لم يكن ليتحقق بدون جرعة من الغموض والشجاعة، يحوزها المختار بالتأكيد. هل كان مكيافيليا؟ من السهل أن نلاحظ أنه يكنس دائما محيطه، لينتهي بطريقته اللطيفة بإزاحة كل من يستطيعون تضبيبه أو مزاحمته أسبقيته. مرة بعد مرة، يجتاز العراقيل الواحدة تلو الأخرى، مع تفادي الصدام عندما يكون ذلك ممكنا. هل له أيضا ضغائن؟

لم يترتب على اختيار المختار من قبل فرنسا أي وفاء من طرفه أو اصطفاف آلي مع مواقفها. ألا يقال بأن الخدمات الجليلة لا يمكن تسديدها إلا بالجحود؟

عندما أصبح رئيسا، كانت له مشاعر معقدة تجاه فرنسا. مشاعر مكبوتة من الجذب والرفض في آن واحد. وعلى كل حال، لا يمكن لأي كان أن ينفي عفته الطبيعية ووطنيته الحقة.

كان يحب البلاد وأطباقها وكل منتجاتها. في الحياة الخاصة، يصبح عاديا جدا، يكاد يميل للمزاح. لما كنت في ثانوية افيديرب Faidherbe في سانت الويس، كان

يستضيفني في فندق لا رَزِدَانْصْ La Résidence أيام الأحد، رفقة محمد ولد أهلُ ويطلب على الدوام آيسْ اكْريمْ للحلوى. ولتسليتنا، كان يحاكي قسمات وتقطيب وجوه بعض الأصدقاء جراء احتساء هذه الحلوى المثلَّجة.

بعد وصوله لسدة الحكم، كان يأكل بطيب نفس كل ما يقدمه له أصدقاؤه في حفلات العشاء ويعطي الانطباع بالمناسبة بأنه سعيد للابتعاد عن رتابة النظام الغذائي المنزلي. يحب الأرز باللحم ويأكل منه الكثير.

صحته جيدة، على الأقل حسبما تمكن رؤيته. لم أره مريضا في يوم من الأيام. يمكننا فقط أن نلاحظ لبسه على الدوام لثياب غليظة تغطي أعضاءه العلوية. هل يعاني على مستوى صدره؟ كيف لنا أن نعرف؟ كان على جانب من الصبر يمكِّنه من تحمل كل شيء دون أن يحدث به أيا كان. من وقت لآخر وعلى مستوى العين، كان جفنه ينقلب، تاركا بقعة حمراء قانية بلون الدم. الحدث هائل ومحرج للمشاهد، لكنه فيما يبدو لم يكن يؤرقه كثيرا، لأنه يستمر في العمل، غير أنه يقلص مقابلاته.

للتسلية، كان يعطي لقبا لكل واحد من معاونيه، لا يستثني من ذلك أحدا. كان حمدِ ولد مكناس، مفوض الشباب والرياضة، يدعى رئيس اتْرَيْكَه، أي الأطفال، لأن حمد يسميهم بذلك. احتفظ بهذا اللقب حتى في وزارة الخارجية. تطول اللائحة. المستشار الفني بالرئاسة، آبَلْ كامْبُورْسِي Abel Campourci، يدعى سيبور، وسال عبد العزيز فقط بآز. بدوري، حُكم علي باطْفَيْلْ، أي الولد. صحيح أن الرأي العام كان يصفني "بالوزير الرضيع".

هكذا تم الأمر. وجدت الرئيس في أحد الصباحات بمزاج جيد، مبتسما حد أذنيْه. قال لي إنه التقى صديقا من عهد المدرسة، يدعى العلوي، متسائلا بقلق عن طريقة يعثر بها على استراتيجية ناجعة لتفادي هذا "الطفيل" الذي يقضي لياليه باحثا عمن تلزم إحالته للتقاعد. كنت وزيرا للصحة والشغل والوظيفة العمومية في تلك الفترة التي تزامنت مع أولى الإحالات على المعاش. لم يكن لي دور في الأمر. بهذا

التعبير، أراد العلوي فقط أن يسلي صديقه المختار، الذي اقترح علي أن أختار بين هذا اللقب وحرف الكاف: **K**.

في تلك الأيام، ينبغي التذكير بأنه كان يطغى على الساحة الدولية الكافان: كندي واكروتشوف. لا أعرف هل ألهم اسماهما الرئيس أو أنه كان فكر فقط في كنيتي: كلى. أجبت بأن اللقبين متعاوضان بالنسبة لي وأني أترك له الخيار.

كان المختار مصادقا لكل معاونيه وإنسانيا معهم، لكنه ظل أيضا محافظا على قسط من الغموض. يشرفنا بهذه البراهين المُنِمَّة عن الألفة، إلا أنها كانت تتركنا عراة، لا نمثل إلا أنفسنا.

قد يصبح المختار مزعجا في مجال العمل الإداري اليومي، لاهتمامه المفرط بتفاصيل لا قيمة لها، تتعلق غالبيتها بوضع علامات الترقيم، وبالخصوص الفواصل التي يعشقها صديقي وأخي سال عبد العزيز، في مكانها المناسب. كان للمختار موقف لا يتزعزع من الكتابة الإملائية لبعض الكلمات، يبقى أصم بخصوصها عن اعتراضاتي.

كلما ورد اسم دولة أو بالأساس أسماء رؤساء دول في ثنايا الحديث أو الكتابات، ينصب المختار أذنيه على غرار الحيوانات الكاسرة. يكون علينا، على سبيل المثال، أن نوضح أن رئيس الدولة الفلاني رئيس دولته، كنت أريد أن أكتب ليس إلا رئيس دولته، وليس رئيس موريتانيا. يفرض هذا التوضيح بالخصوص إذا تعلق الأمر بالدول المجاورة. يريد دون شك من خلال هذا التصرف الإيحاء بأن بلدنا له رئيسه. هل الأمر ضروري؟

يكون مزاجيا عندما يتعلق الأمر بالسيادة الوطنية. يمكنه، على هذا الصعيد، أن يصبح عنيدا إلى أقصى الحدود. عندما يتخذ قرارًا سياسيًّا، كان يكرر: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: 159].

وبدون أن يعلن الأمر، فإنه كان في ثورة دائمة ضد فرنسا وقادتها، كما لو أن

وصايتها لم تنته بعد. يقوده الأمر لمواقف يصعب تبريرها، كالاقتداء الأعمى بسيكو توري، حتى في طريقة لباسه. وبالنسبة للخارج، فقد اتخذ مواقف شجاعة ومشرفة، كما هو الحال في مجال الدفاع عن استقلال الجزائر.

أتيحت لي الفرصة لقضاء أيام مع سيكو توري الذي بهرني كرمه وبساطته. لفتت انتباهي عنده شياه ضأن بيض جميلة، مربوطة غير بعيد من مكتبه المملوء بالكتب المدرسية المسطرة بلغات غينيا، لكن بأحرف لطينية.

للمختار أيضا طرقه المنهجية الخاصة به. يحتفظ دائما في جيب بذلته بقصاصة ورق يسجل فيها القضايا العالقة التي تشغل باله.

لا يستقر ما لم تستكمل كافة عناصر هذه اللائحة. في هذه الحالة، يقارن نفسه بحمار يتخبط ويتمرغ في الأرض للتخلص من الذباب القابع في جوف أذنه. محليا، تسمى هذه الحشرات بتِنْكَيرورَه.

يحضرني المشهد التالي حول شخصية المختار. كان ذلك قبل مجيئي للعمل معه. كنت تلميذا في السنة الأخيرة من ثانوية هانرى الرابع Henri IV بباريس. وجدت نفسي في أحد الصباحات في سيارة المختار التي تسير بسرعة نحو فندق ماتينيوه Matignon، مقر مكتب رئيس الوزراء الفرنسي، دون أن أعرف كيف حصل ذلك. كان من المقرر توقيع مراسيم تحويل الصلاحيات بين فرنسا وموريتانيا الناشئة. سيقول لي لاحقا عبد الرحمن ولد مولود أنه هو من دبر عملية الاختطاف هذه. عندما قصصت المشهد واستغرابي له على عبد الله، أجابني بأنه قد يعود لسعي المختار لإرضائه.

اندلع أثناء الحفل جدل في صفوف الوفد الموريتاني، بين المختار وشيخنا ولد محمد لغظف، الوجيه المعروف في البلاد ورجل السياسة على المستوى الوطني، بمحضر رئيس الوزراء الفرنسي ميشل دبري Michel Debré. أصر شيخنا على تناول الكلام، مهما يكن الثمن، وهو ما لم يسمح به المختار الذي أكد بأنه الوحيد

المخول بالحديث باسم السلطة التنفيذية الجديدة في موريتانيا. سيكون لذلك المشهد ما بعده. فالكل يعرف ما حملته الأيام لاحقا بين الرجلين.

في السياسة، يحدث أن تنقطع الروابط، لكنه من الممكن أن تنعقد مجددا. وستظل السلطة تضغط على الدوام بسحر وجاذبية على الرجال، يفوقان روابط الصداقة.

لقد رحل عنا المختار ومات كما عاش، متواضعا وبسيطا.

طُرح نعشه العائد من فرنسا على الأرض مباشرة، في انتظار الصلاة عليه. كانت على التربة فضلات حيوانات. كان المشهد مؤثرا للغاية. رفع الجثمان وتبعه موكب لتشييعه إلى مثواه الأخير بين ذويه. في الطريق المؤدي للقبر، كانت هنالك مفرزات من رجال الدرك الوطني. كان ذلك تكريم رجل الدولة، أما الموكب فإنه بكل بساطة تكريم للرجل.

علي أن أقول بأني لم ألمس أبدا طعم السلطة "الصغير" الذي يتحدث عنه المختار، طيلة الفترة التي أمضيتها بقربه. كان بمثابة الثمرة المحرمة. أحتفظ لنفسي بنصيحة قدمها لي عند ابتداء تعاوننا: لا تكتب أبدا إلا ما يمكنك أن تريه للكل. حنكة محام؟

شاهدت كذلك تعيين وزراء وفهمت أن بمقدور هذه الترقيات أن تُحوِّل حياة البعض، لكنها ليست بالضرورة تتويجا لأي استحقاق. مع أنها أحيانا تسمح بلقاءات سعيدة، على غرار لقائي مع سال عبد العزيز.

فقد غمرني بكرمه وعنايته منذ مروري الأول بالرئاسة كمستشار. أحتفظ في حقه بمشاعر جياشة معترفة بالجميل.

عندما أصبحت أول أمين عام للرئاسة، كان لي معاونون رائعون وأصدقاء، مثل المجتبى ولد محمد فال الملقب الحاج واعبيدي ولد الغرابي وأحمد ولد ابا وحمود ولد عبد الودود، وكثيرين غيرهم، كمحمد عالي شريف الذي خلفني في الرئاسة. فهو

رجل كفاءة وثقافة يتمتع بنزاهة لا تتزعزع. وهو حقا عنصر يمكن الاعتماد عليه في العمل الإداري اليومي.

كان صديقي حمود فضوليا شيئا ما، مقتدرا على توضيح بعض الملفات، خاصة ملف سوماب وسومبSOMAP et SOMIP. اقترحته على أساس هذه الميزة، فتم قبوله فورا. له قلم سيال ووفرة في الكتابة. وبما أن المختار يقرأ كل شيء ويصر على ذلك، كنت أجد صعوبة فائقة في لجمه.

كان لصديقي المحب للكتب مكتبة رائقة. لا أنسى ضحكاته الساخرة والذكية التي يرد بها عندما لا يرغب في الإجابة.

في فترة الأنظمة العسكرية المضطربة، يقول عندما يرِد أثناء الحديث رحيل أحدهم عن الحكم، بأن صعوبة الخروج من السلطة تضاهي صعوبة الولوج إليها. تلكم الحقيقة الحكيمة المجربة.

لكل شيء نهاية. لما أدركت أن وجودي في الأمانة العامة للرئاسة لم يعد مفيدا وأنه لم يعد من الممكن تلافي الكوارث التي تلوح في الأفق، اتخذت قرارا شخصيا بالذهاب إلى مكان آخر. غير أن كل ما يربطني بشخص المختار لم يكن معرضا للزوال. ما الحيلة، ما دمت مصرا على عدم القطيعة معه؟

لمعرفتي بشغفه بالشهادات، أعلمته بنيتي الذهاب لتحضير دبلوم الدراسات العليا فور افتتاح السنة الدراسية الجامعية في باريس. لذا بقيت بقربه عدة شهور، لتمكينه من اتخاذ التدابير الضرورية. هكذا استعدت حريتي، بعيدا عن المراعي الإدارية لتلك الفترة.

يؤكد المختار في الرسالة المرفقة أن ذهابي نابع من قرار شخصي لا يعود لغير إرادتي. إبان تحريرها، كنت قد أصبحت محاميا، لذا فإني لم أشارك قيد أنملة في شأنها. وقد سمحت لي الشهادة المحصلة بالانعتاق والتسجيل في سلك الدكتوراه. لذا فإنها رمت عصفورين بحجر واحد.

بهذه الطريقة، وأكررها هنا، احتفظت باحترام الرجل وابتعدت فقط بعض الشيء عن نظام تسيير كنت على قناعة بأنه على حافة الهاوية. إذا لم تكن الكارثة قد وقعت بأسرع مما تصورت، فلأن الكثير من المشاكل، ولحسن الحظ، يسوَّى دون تدخل من أحد.

من حق القارئ أن يتساءل: لما ذا مغادرة من ينصت دون أن يسمع والتعاون لاحقا مع آخرين؟ في الحقيقة، ليست الأوضاع متشابهة.

الالتحاق بالمختار أمر طبيعي. فهو قريب وشخص معروف لدي، زيادة على حماس المشاركة في مشروع وطني. ربما أيضا، للشعور بتحقيق الذات. أما البقية فإنها مختلفة، تطغى فيها التموقعات السياسية البحتة.

تحضرني بالنسبة للمختار بعض الذكريات المتعلقة بتسييره للشأن العام والتي يمكن أن تعتبر، في نظرنا اليوم، مبالغا فيها بعض الشيء.

طلبني باكرا في أحد الأيام فور وصوله مكتبه. وجدت التعب باديا عليه، ويظهر أنه لم ينم إلا لماما. قال إن أهل الدار يلحون للحصول على سيارة إضافية وأنهم يهددون بأخذها مباشرة من المرآب الإداري. أمرني بالاتصال بالدرك لمنع دخوله لأي كان، لعناده وإصراره على عدم الاستفادة الشخصية أو إفادة ذويه من المال العام. لم أفعل شيئا من ذلك، بل رحت إلى النُّزُل لتهدئة الخواطر واقترحت سيارتي الخاصة. لم يتطرق الحديث للأمر منذ ذلك الصباح.

في مناسبة أخرى، قدمت والدته خديجة من بوتلميت لتلقي بعض العلاج. نزلت عند بنتها أمامة وزوجها أحمدُ، ابن خال الرئيس. كان المختار يزورها أحيانا، مفضلا على الدوام أن يتم الأمر أثناء الليل. ولما حانت عودتها، اتصل أحمدُ طالبا وسيلة نقل تقلها. عندما أُبلغ بالأمر وبعد وقت قصير من التفكير، سأله المختار عن الطريقة التي جاءت بها. رد أحمدُ أنها جاءت في سيارة لاندروفير Land Rover متهالكة تستخدم للنقل العام، يقودها الناقل المحلي المعروف ولد لانطورَ. "ما عليها إلا أن

تعود بنفس الوسيلة"، أجاب الرئيس. هكذا هو المختار، بقضه وقضيضه.

في إحدى المرات، هاتفني وزير مغتم، ما يزال على قيد الحياة، طالبا على جناح السرعة تذاكر لنقل زوجته إلى دكار. أردف بأنه مغمي عليها بصورة عميقة. عندما أخبرت المختار الذي كان منهمكا في أحد الملفات، رفع رأسه وركز نظره علي قائلا: " وسائل الدولة ليست ملكا لي. من ناحية أخرى، يوجد هنا أطباء أكفاء". لم يكن الأمر من باب العزوف عن إسعاف شخص مهدد بالموت.

وهو خارج هذا النطاق شخص يفيض إنسانية وعطفا على كل من يحتاجون ذلك. ليست تلك الذكرى الوحيدة التي بقيت لي من الأجواء الجيدة، الرتيبة والمملة التي كانت سائدة في الرئاسة.

لمعرفتي برئيسي، كنت أمتنع عن اعتماد أي نفقة دون إبلاغه مسبقا.

جاءني مرة عبد الله ولد مولود، مدير الترجمة والوثائق، طالبا شراء أريكة لمستشار فني يعمل معه، ينام ابنه مباشرة على الأرضية. تغافلت عن الأمر، لكن عبد الله أعاد الكرة، محاصرا مكتبي، وما زال يذكرني اليوم بالأمر. هكذا تمت إثارة قضية الأريكة أمام الرئيس الذي قال بأن الخطب سهل، تكفي فيه العودة للاتفاقية الموقعة مع تونس. ما كان علي إلا أن أفكر في الأمر. من خلالها عرفنا أن هذا التجهيز ضمن التزاماتنا، فتم شراء الأريكة.

لم تكن هناك أي إجراءات أمنية خاصة في الرئاسة. صحيح أن حرب الصحراء لم تكن قد مرت من هنالك. لا هي ولا الإرهاب. كان دركيان بلا سلاح وبثياب غير منضبطة يسهران علينا. وهما على حميمية مجافية للحذر مع كل الزوار القادمين، كما هو الحال عادة في الأسواق.

لما أصبحت وزيرا مع رؤساء آخرين، شاهدت كيف تغير الوضع في هذا المجال، هو الآخر. أحيانا يتصور المرء أنه داخل قاعدة عسكرية محاصرة. عسكرة الأنظمة المتعاقبة والتهديدات الإرهابية تبرر في الحقيقة الأمر، ولو جزئيا. لكن من

المحتمل أيضا أن تكون هنالك رغبة في الاستعراض لإظهار عظمة هؤلاء القادة، سبيلا لإبهار المواطن وتذكيره بقوتهم، فيما يشبه التهديد. وحتى في السلالم، يوجد رجال مسلحون ويمكن للزائر أن يتعرض لطلق ناري عند أي خطوة يخطوها.

كان إبحاري في الإدارة سريعا. فقد "ارتديت السترة" أياما بعد رجوعي من فرنسا، في البداية كمستشار بالرئاسة. لم يدم الأمر أكثر من شهر أو اثنين. كان الرئيس يأخذ عطَله على الدوام في شهر أغسطس. رافقته في سيارته إلى المطار واقترحت عليه حمل حقيبته الصغيرة. رفض متحججا بأنها تحوي المبلغ الضروري لعطلته، والمقترض، كما قال، من موريسْ كوبانيي Maurice Compagnet. كان لديه اللطف ليقول لي بأني سأدخل الحكومة فور رجوعه، وهو ما حصل بالفعل.

دخلها أصدقائي بعد ذلك. في انتظار أن يحين الوقت، ظلوا يزاولون أعمالهم في قطاعاتهم المهنية المختلفة.

كان باباه مديرا لثانوية انواكشوط. دأبت على زيارته كل يوم. فهو أخ وصديق غال بالنسبة لي، أعتبر نفسي فردا من أفراد أسرته. يسكن منزلا صغيرا داخل حرم المؤسسة ويعيش متقشفا، إذ ينتمي لأولئك الذين يحتقرون كل ما يشبه السباق للرفاهية أو الثراء. احتقار مبالغ فيه، حسب البعض. أعتقد جازما أن هذا السلوك هو المفتاح الذي يفسر الاحترام والتعلق اللذان يكنهما له المختار، الذي دأب على تلقيبه بالعميد.

كان هذا المدير المتضلع ثقافة وحسن تربية يزاول على الدوام مهمته بشرف ووطنية. لاحظت محدودية وسائل أسرته التي لم تكن شجاعة زوجته احبيبَ وكرمها يستطيعان حجبها عن الأنظار. فاتحت المختار في الموضوع، فتم منح مجانية الغاز المنزلي لرؤساء المؤسسات المدرسية في جلسة مجلس الوزراء الموالية. أخبرت باباه بالأمر لكن استقامته وحذره جعلاه يطلب نصا مكتوبا، أي قرارا موقعا من طرفي، قبل أن يطبق الأمر لصالحه.

لـم تكـن الرشـوة موجـودة في تلـك الفـترة ولـم تكـن الثـروة الأولـى للـبلاد حديـدا أو سـمكا، بـل الاحـترام والنزاهـة الأخلاقيـة التـي يتمتـع بهـا قادتهـا. كانـت هـذه الأخـلاق علـى المحـك في قضـية الشـركتين المختلطتـين سـوماب وسـوميب SOMAP et SOMIP، وفي قضـية غلفـى Guelfi. كـان هـذا الأخيـر مواطنـا فرنسيا يعمل في مجال الصيد البحري ويستخدم طرقه المشبوهة لتنمية أعماله.

انفجرت الفضيحة في الوقـت الـذي قـدمت فيـه كـأمين عـام للرئاسـة. كـان هـذا المنصب قد استحدث للتو وأدرج الصيد البحري ضـمن صـلاحياته. كـان لا بـد مـن العثور على مدير لهاتين الشركتين على جناح السرعة. سيكون حمود الـذي تحـدثت عنه آنفا ذلك المـدير. في واقـع الأمـر، تـم العثـور علـى كـل الوثـائق وتقييـم الأضـرار البالغة المترتبة على العملية.

كان الرئيس مغضبا، فقرر متابعة المسئولين عن الأمر قضائيا دون استشارة أحد. لـم يكـن مـن المجـدي إقناعـه بانتظـار توصـيات الخبيـر المحاسـبي المكتتـب لهـذا الغرض.

لـم تظهـر الرشـوة بعـدُ وكنـا نفتقـر للتجربـة لمواجهـة حِيَـل وسـط الأعمـال الخارجي. وكما كتبه لاحقا صديقي أحمدُ ولد عبدلَّ، فإن الرشـوة الحقيقيـة سـتبرز مع حرب الصحراء وصفقات شراء السلاح المكثفة. فيما بعد، سيفاقم ميـدان البنـاء والصيد البحري أضرارها البالغة. في ذلك الوقـت، يبـدو أنهـا أتـت مـن البحـر. البحـر ودائما البحر.

قبل أن تصبح الدولـة في حالـة احتضـار تامـة ويتبـدي ضـعفها للعيـان، بقـي هـذا الانحراف تحت السيطرة. كـان الأمـر ممكنـا لأن القائـد يتمتـع بالطاقـة والإرادة. في مواجهة الجائحة، كان وحيدا وهذا غير كاف.

لم يكن الحزب الواحد، بالرغم من شعاراته الجوفاء ومسيراته الصاخبة، ليقـدم له أي دعـم. سيتولد عنه فقط الارتباك واضمحلال مؤسسات دولتنا الفتية. لم يخـرج

أي شيء من اجتماعاته التي لا تنتهي، ماعدا الانزلاق نحو الإدارة الرخوة والمرتبكة. صحيح أنه حال دون طغيان القبلية والجهوية في المرحلة التي مرت بها البلاد، لكن ذلك لا يبرر الدمار المترتب عليه. ربما كان من الأفضل الإعلان بادئ ذي بدء أنه ذو طابع مؤقت وأنه يشكل مرحلة انتقال نحو نظام يتعايش فيه حزب مسيطر مع أحزاب ثانوية. في الوضع الذي كان فيه، كان فقط بمثابة مسيرة قسرية نحو قتل الدولة.

النتيجة الكارثية: الفكر الأحادي، الذي ظل متوسطا للغاية. كانت الدعاية المضللة تحجب حقيقة البلد ولا تذيع إلا ما يُرغب في سماعه. ومع ذلك، كانت الانتقادات الصارخة تأتي من كل حدب وصوب.

يُدلَى بضرورة الحزب الواحد للمحافظة على الوحدة الوطنية، ضمن المسوغات المعطاة لاستمرار الروتين. يتناسى أصحاب هذا الطرح أن هذه الوحدة سبقت الحزب الواحد وحتى الدولة، حسب المفهوم العصري للكلمة. لذا فهي ليست وليدة ولم تبرز فجأة من الرمال، بل صهرها الإسلام منذ قرون، وصهرتها كذلك التبادلات التجارية والثقافية. فقد ظل الفرد المنزوي تحت خيمته في الصحراء أو كوخه يعيش موريتانيته بطريقته الخاصة. وظلت هذه الأخيرة ملكا مشتركا تتنسمه المناطق والأعراق والقبائل. صحيح أنه لم تكن هنالك دولة بالمفهوم القانوني للكلمة، لكن كانت هنالك دولة ملموسة وواقعية وحوزة جغرافية يهتم كل فرد ينتمي إليها بما يجري داخلها. بمقدور السكان أن يتنازعوا، وحتى أن يتحاربوا أحيانا، لكن الجراح يتم تضميدها بسرعة وتستعيد الحياة المشتركة مجراها الطبيعي في كل منعرج. لم تكن الهوية الموريتانية في يوم من الأيام عرقية ولا قبلية ولا جهوية.

استمر العيش المشترك في غياب سلطة مركزية ناظمة، تكافح الفوضى السائدة. ومع الأسف، تواصل غياب العدالة الاجتماعية والممارسة الوحشية بالنسبة لقطاعات واسعة من مجتمعنا. في بعض الأحيان، كانت شخصيات متواضعة مُنَصَّبة للقضاء تقوِّم هذه الخرقات والجرائم بإصدار أحكام قد تصل عقوبة الإعدام. وذلك

في غياب سلطات مركزية أو معاونين عدليين، وفي خضم فوضى مطلقة.

في بعض الدول الأخرى، تبنى الوحدة على أساس روابط ملموسة، كطرق المواصلات، خاصة البحار والجسور والطرق المعبدة. هنا، يُبقينا الإسلام وثقافته معا. لم تكن وحدتنا إذا بهذا القدر من العجائبية.

طيلة النشاطات الآفلة للحزب الواحد، كان عرضة لواقعين متنافرين: ظل المختار رجلا شجاعا، رغم تلاشي قدراته، لكن في بلد أصبح شيئا فشيئا مهزوزا. استوطن التسليم بالقدر بشكل أو بآخر ونضب الإلهام.

هل كان بمقدور المختار أو في نيته الخروج من المأزق؟ هل أصبح مجرد مراقب مستسلم وغير مبال؟ هل كان يتعرض لهذا وذاك دون أن تكون له القدرة على إعادة الوضع إلى مجراه؟ كان ينصت، لكنه لم يعد يسمع. لم تعد الأصوات الخافتة المخالفة للمعاونين كافية لوحدها.

ليس بالمستطاع إعادة كتابة التاريخ، لكنه كان بمقدور هذا الأخير أن يأخذ منحنى آخر لو دُق أي ناقوس يوثق به للإشعار بالخطر.

لم تكن وسائل الإعلام في ذلك الوقت معروفة. بوسعنا أن نحكم عليها كما نشاء، لكنها على الأقل تدَّعي القدرة على إملاء السلوك الحسن والتنديد بكل شيء. بالطبع، وخلافا لما هو شائع، فإن حريتها، كما هو الحال بالنسبة للعدالة والمجتمع المدني، ليست ضمانا لموضوعيتها. ومع ذلك، فإن عملها، وأحيانا تجاوزاتها، قد تحُدُّ من الشطط والنهب الصارخ.

في هذه الظروف، لم يعد القائد يحكم على غير الخواء وقدر من الفوضى.

بالرغم من ذلك وفي هذه الظروف السحيقة، لم يعتبر من لم يُثْرِ في ذلك الوقت متأخرا عقليا.

شجع الحزب الواحد كذلك السباق المحموم نحو الترقيات السياسية والإدارية غير المستحقة. لكن علينا ألا نضخم الأمر، فقد استمر الأمر بعده طويلا. وستصبح

الوظائف العمومية بوابة الثراء غير المشروع وسرقات المال العام. وستصل العدوى إلى مستوى قمة هرم الدولة.

فقد قال رئيس لأحد أصدقائي معروف بنزاهته: "لقد عينتك لجعلك ترتاح ماديا وإعطائك الوسائل التي تستطيع بها تنفيذ سياستنا في بلدتك". ليرد عليه صديقي: "السيد الرئيس، لا أستطيع الكذب عليك. فلا أمي ولا أخواتي يتبعنني في السياسة، لكن بوسعي أن أشير بالشخص الفلاني الذي يمكنكم الاعتماد عليه"، إلى غير ذلك مما جرى بينهما.

تمت إقالة هذا الصديق النزيه بفترة وجيزة بعد هذا اللقاء. هكذا بقي رجال شرف يقاومون الموضة الجارفة.

ظل مسئولون كثيرون ساهموا في بناء الدولة الجديدة يتهربون من الثراء غير المشروع وحتى من أي نوع من الثراء. يزيد تجاهلهم لوضعهم من عظمتهم. ينبغي لمؤرخينا أن يهتموا بهذه النزعة وأن ينصفوها. لا بد أن يقوم التاريخ بذلك في يوم من الأيام، لأنه معروف بالثرثرة. في الوقت الراهن، فإنه يخلُد فقط إلى الراحة، لكنه سيستيقظ لا محالة في وقت ما لتناول هذا الموضوع وغيره.

فلنفكر مليا وبدون عُقَد في الإدارة الفرنسية التي لم تكن مرتشية فغدت محترمة، إذ تتلازم الصفتان. هل نحن عاجزون عن القيام بنفس الشيء؟

إذا بقينا غير مبالين دون القيام بأي شيء، سيكون سقوطنا حتميا.

رسالة المختار إلى مدير اليونسكو، طالبا منه أن يمنحني وظيفة في منظمته

Nouakchott, le 29 SEP 1977

N° 0 330

Monsieur le Directeur Général,

Depuis l'adhésion de notre pays à l'UNESCO, notre Gouvernement a toujours souhaité apporter sa contribution la plus large à la grande oeuvre de promotion humaine que s'assigne notre Organisation. Cependant, par manque de cadres compétents, nous n'avons pu mettre à la disposition de l'UNESCO que très peu de nos compatriotes.

Aujourd'hui, un seul cadre mauritanien travaille au sein de l'Institution.

Il m'est donc particulièrement agréable de vous proposer la candidature de Maître AHMED KHLLY à un poste de responsabilité au niveau du Siège.

Ce haut cadre dont vous voudrez bien trouver ci-joint le curriculum vitae a notamment été Haut Commissaire à la Fonction Publique puis Ministre de la Santé, du Travail et des Affaires Sociales, et enfin Secrétaire Général de la Présidence de la République, poste qu'il occupait avant de se retirer

Monsieur Amadou Mahtar M'BOW,
Directeur Général de l'UNESCO
Place de Fontenoy
PARIS 7ème -

2.

dans le privé pour des raisons strictement personnelles, très exactement pour préparer un diplôme d'Etudes Supérieures en droit, à la suite de quoi il a choisi d'exercer la profession d'avocat.

Je souligne que pendant tout le temps qu'il a été mon collaborateur, je n'ai eu qu'à me féliciter de sa compétence et de son dévouement.

C'est donc tout naturellement que notre Gouvernement a estimé devoir présenter la candidature de ce jeune cadre qui, nous en sommes convaincus, ne ménagera aucun effort pour mériter la confiance qu'il vous plaira de placer en lui.

Veuillez agréer, Monsieur le Directeur Général, l'assurance de ma très haute considération./.-

MOKTAR OULD DADDAH

في الأسفل: شهادة التسجيل في سلك الدكتوراه، دجمبر 1969

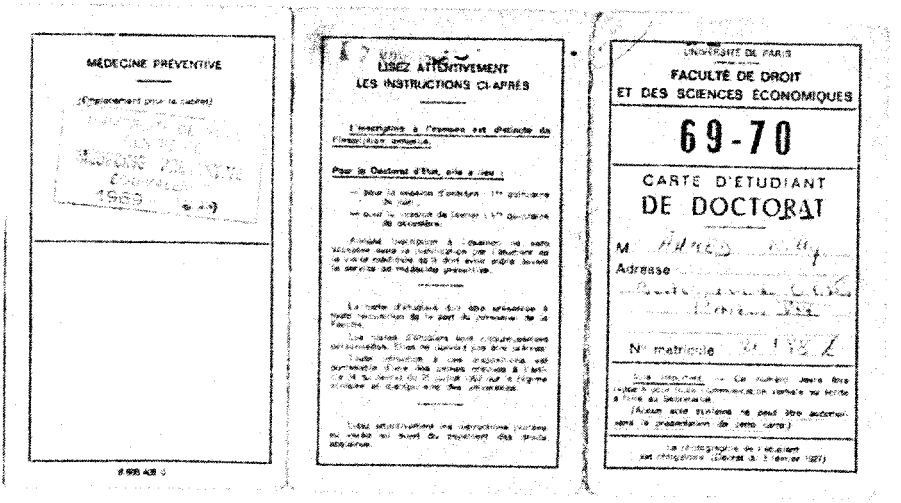

MÉDECINE PRÉVENTIVE

LISEZ ATTENTIVEMENT LES INSTRUCTIONS CI-APRÈS

UNIVERSITÉ DE PARIS

FACULTÉ DE DROIT ET DES SCIENCES ÉCONOMIQUES

69-70

CARTE D'ETUDIANT DE DOCTORAT

M Ahmed

Adresse

N° matricule

اتفاق تحويل الصلاحيات بين موريتانيا وفرنسا

تقديم سفير فرنسا أوراق اعتماده في موريتانيا. في اليمين:
مدير الديوان، عبد العزيز ولد أحمد

مع المختار ووانْ بيرانْ وسيدنَ ولد الشيخ الطالب بويَ

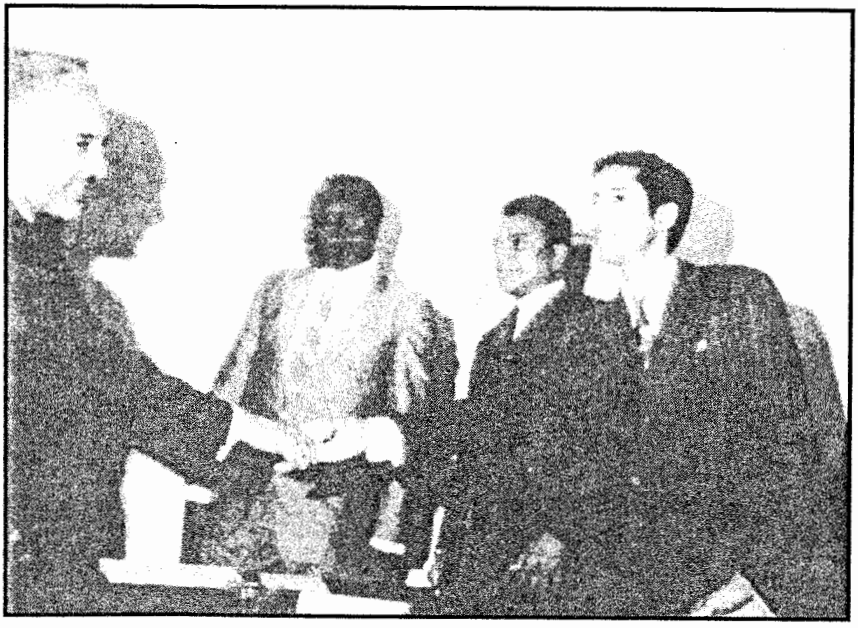

الرئيس المختار لدى افتتاح السنة القضائية

جولة في الترارزة مع المختار

مولاي الحسن ولد مولاي الحسن والمعلوم ولد برهام، أثناء زيارة الترارزة

مع الإمام الكبير بداه ولد البوصيري، أثناء زيارة الترارزة

سفيرنا في واشنطن والأمم المتحدة، سليمان ولد الشيخ سيديه،
أثناء استقباله من طرف الرئيس كندي

وزير الدفاع الأمريكي ماكنامرا، أثناء استقباله في انواكشوط
من طرف سليمان ولد الشيخ سيديه

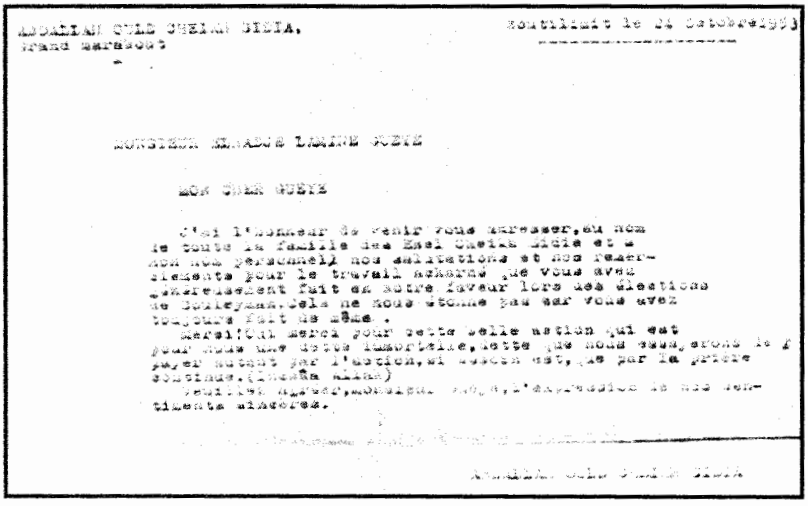

رسالتا شكر من عبد الله إلى الامين غي وانديا وار سار،
على مساندتهما لسليمان في ترشحه لمجلس الوحدة الفرنسية سنة 1953

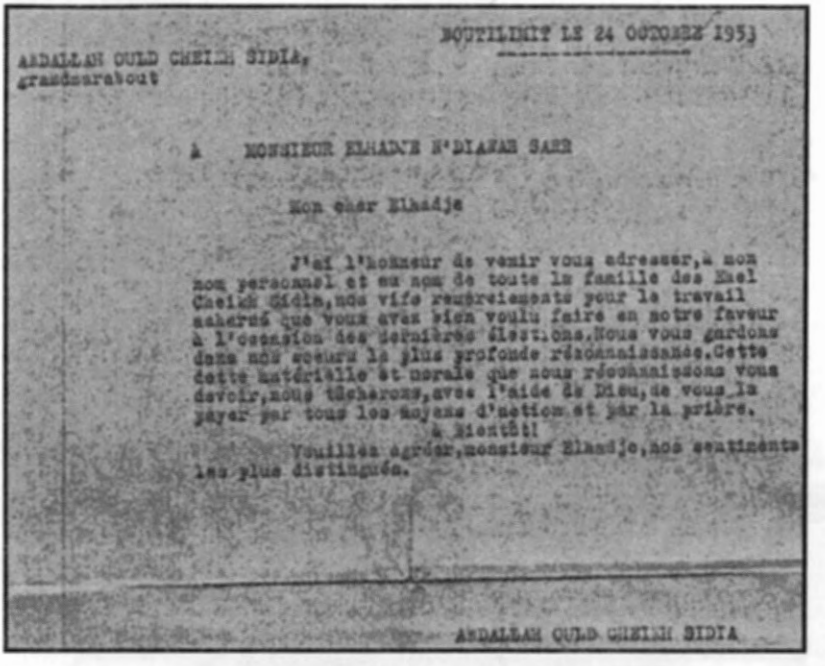

ABDALLAH OULD CHEIKH SIDIA,
Grand-marabout

NOUTTLIMIT LE 24 OCTOBRE 1953

A MONSIEUR ELHADJ N'DIAYAR SARR

Mon cher Elhadje

J'ai l'honneur de venir vous adresser, à mon nom personnel et au nom de toute la famille des Ehel Cheikh Sidia, nos vifs remerciements pour le travail méritoire que vous avez bien voulu faire en notre faveur à l'occasion des dernières élections. Nous vous gardons dans nos coeurs la plus profonde reconnaissance. Cette dette matérielle et morale que nous reconnaissons vous devoir, nous tâcherons, avec l'aide de Dieu, de vous la payer par tous les moyens d'action et par la prière.

A bientôt!

Veuillez agréer, monsieur Elhadje, nos sentiments les plus distingués.

ABDALLAH OULD CHEIKH SIDIA

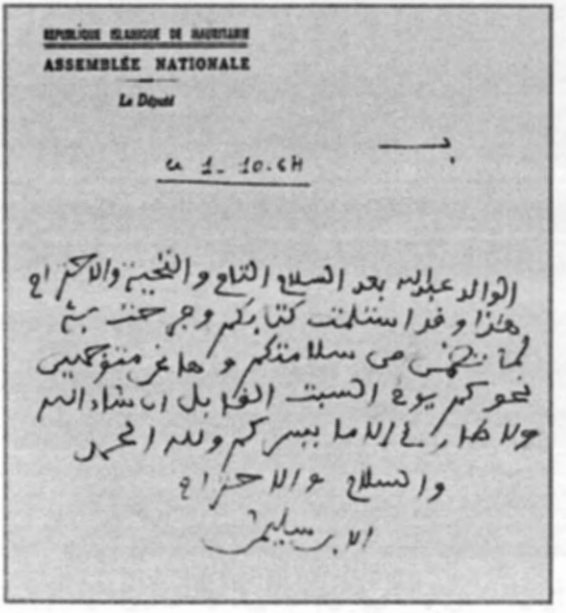

REPUBLIQUE ISLAMIQUE DE MAURITANIE
ASSEMBLÉE NATIONALE
Le Député

le 1. 10. 64

الوالد عبدالله بعد السلام التام والتحية والاحترام
هذا وقد استلمت كتابكم وجد حفت بنا
لما نحمد من سلامتكم وهاءنا متوكلين
نحوكم يوم السبت القابل ان شاء الله
ولا طار الا ما يسركم ولله الحمد
والسلام والاحترام
الابن سليمن

رسالة من سليمان، وهو إذ ذاك نائب برلماني، إلى أخيه عبد الله، سنة 1964

ذكريات سفير

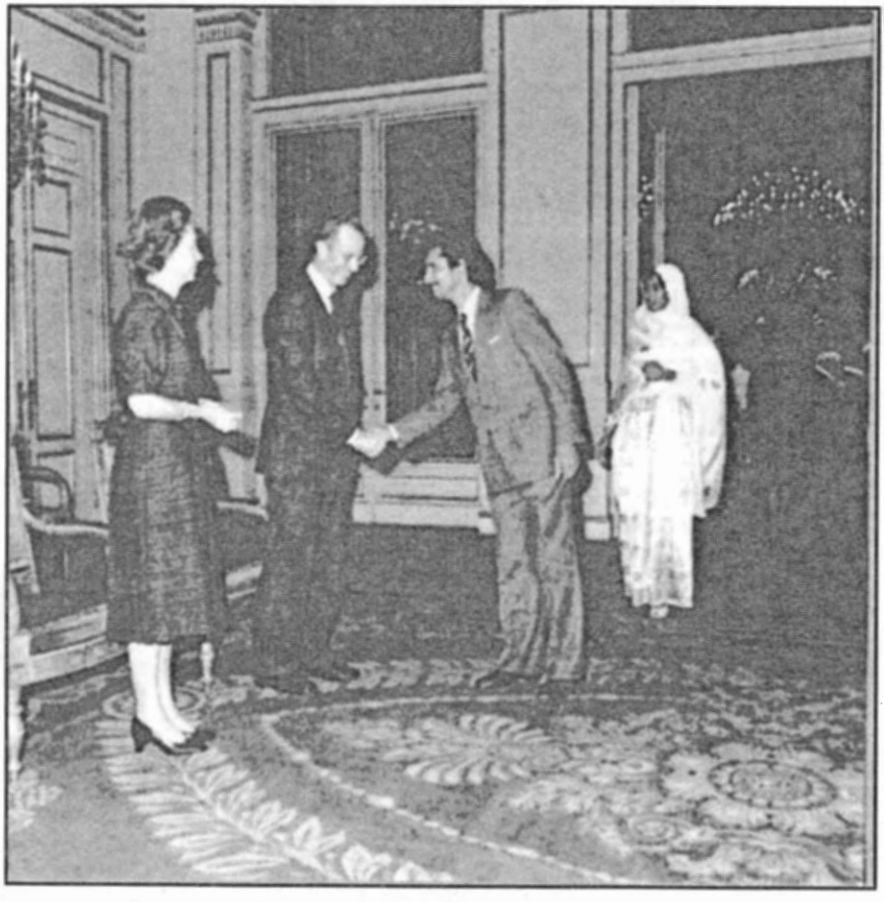

الملك البلجيكي بودوينه والملكة افابيولا، ابروكسل سنة1984

تقديم أوراق اعتمادي لرئيس المجموعة الأوروبية، مصحوبا بالسيد سيدنا عالى ولد حنن.

في الأسفل: تقديم أوراق اعتمادي سفيرا لموريتانيا لملكة هولاندا، بياتريس، رفقة السيد بلال ولد ورزگ، آمستردام، **1983**

الدوق الكبير والدوقة الكبيرة للكسنبورغ، الصديقان الشخصيان

زيارة خاصة لدوق الكسنبورغ والأمير غيوم لموريتانيا

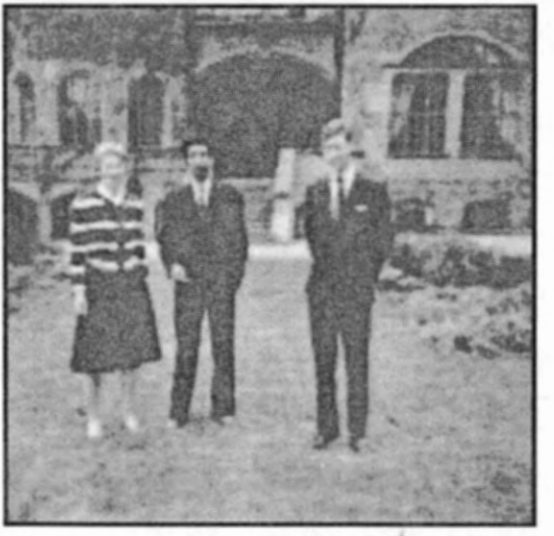

زيارة خاصة أديتها للدوق.

الصورة مع الدوقة الكبيرة والأمير غيوم

مع بعض الرؤساء

مع الرئيس محمد خو

ن ولد هيداله في بروكسل:

مع الرئيس محمد خون ولد هيداله

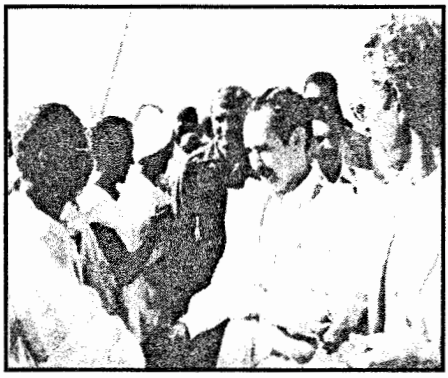

زيارة أداها لي الرئيس معاوية ولد سيد أحمد الطايع

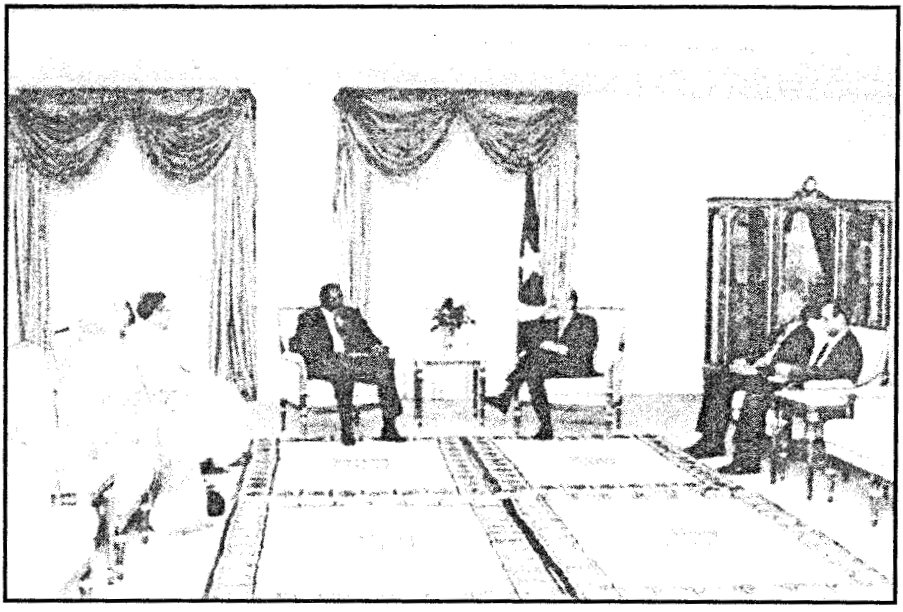

مع الرئيس سيدي ولد الشيخ عبد الله

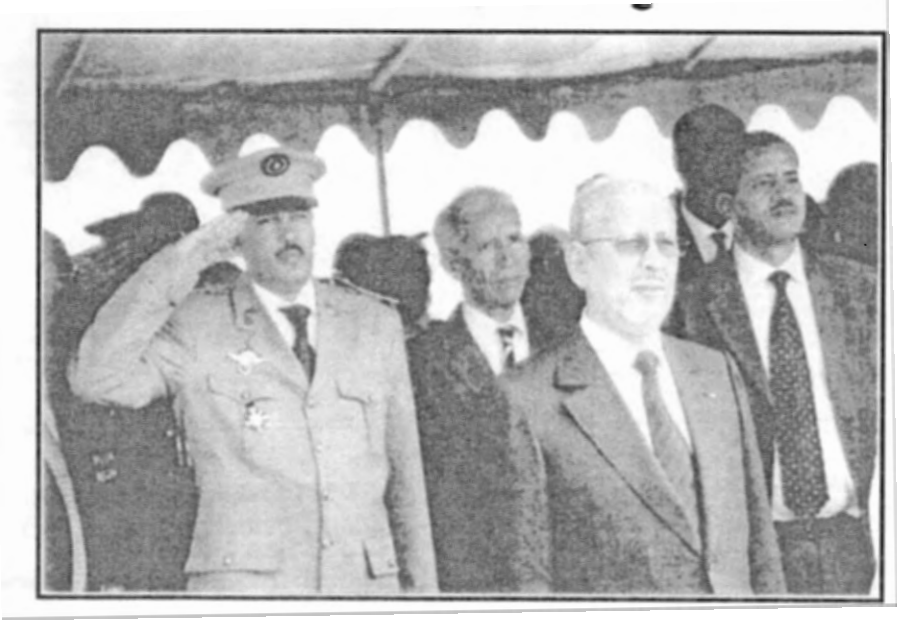

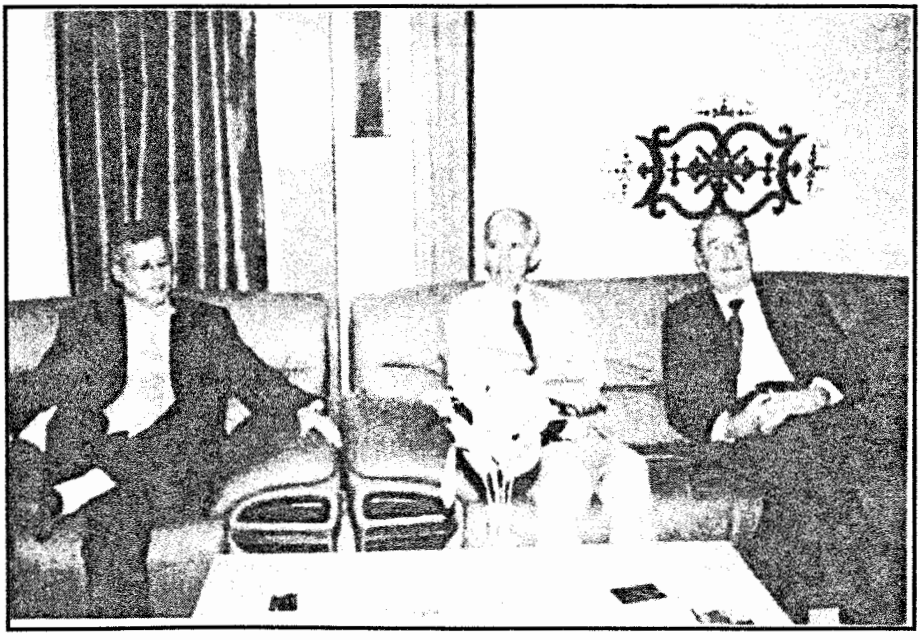

الرئيس شيراك وفرانسوا ابينو في زيارة خاصة لموريتانيا

أقوال رئيس

تم تسجيل المقتطفات التالية بصورة متسرعة، دون عناية أو احتياط للصياغة المكتوبة، كما لن يخفى ذلك على القارئ. إلا أنها تمثل شهادة صادقة على فترة من تاريخنا السياسي تندر حولها المصادر. لذا فإن إطلاع مواطنينا عليها، حسب وجهة نظري، قد يكون مفيدا. كنت أحتاط بعد الخروج من كل اجتماع لإعداد محضر مقتضب عنه وترتيبه تسلسليا، ملتزما بأن يعكس أقرب صيغة ممكنة لأقوال الرئيس.

ينبغي التذكير بأن هذه المقتطفات نقحت من كل ما يمكن اعتباره حساسا أو جارحا بالنسبة لمسئولينا.

ومع ذلك، فإنها تعكس الصورة التي يتمثلها هؤلاء الرؤساء عن أنفسهم وعما يقومون به. وهي حقيقية، أؤكد ذلك مجددا.

السياق الذي سجلت فيه هو الفترة التي أمضيتها وزيرا للتخطيط، ثم للمياه والطاقة تحت رئاسة معاوية ولد سيد أحمد الطايع.

14 ديسمبر 1996

استعرض الرئيس زيارته داخل البلاد، قائلا بأن فرحة السكان كانت حقيقية وغير مفتعلة. وأردف بأن مشروع دومسات DOMSAT مهم لأنه سيربط البلد بالعالم الخارجي ويربط السكان بعضهم ببعض والمواطنين ببلداتهم، وسيقلص النفقات التي يتطلبها التنقل. لكن من الضروري أن يعزف السكان عن الاستجداء ومد اليد ويغتنموا فرصة هذه الاستثمارات للاستفادة منها. فبدون العمل، كما قال، ستظل الاستثمارات والبنى التحتية بدون جدوى. لا لغز في هذا المجال. لا بد من العمل والعمل ثم العمل لتغيير ظروف العيش وتغيير أي شيء على وجه المعمورة. كل شعب مطالب بالإنتاج ومحاربة التكبر. يكفي أن ننظر لما يقوم به الآخرون في دكار، باريس، الدار البيضاء أو الجزائر العاصمة.

ليعود الحديث عن القضايا المعهودة كالطيور الفتاكة بالحبوب والحالات الوبائية ومكافحة الحرائق، الخ.

18 ديسمبر 1996

حول البطالة، ذكر الرئيس بأنه لا يمكن الحديث عنها إلا في بلد تم تعميره. عندنا، ما زال ينبغي بناء كل شيء، لكن الناس لا يعرفون كيف يعملون. لذا فإنه عليكم أن تستمروا في الحديث إليهم عن العمل عبر الإذاعة والجرائد. لا نطلب المستحيل، لكن فقط أن يقوم كل فرد بما يستطيع القيام به. لا نطالب بتصنيع سيارات، بل نكتفي بإصلاحها. يتعلق الأمر بممارسة الصيد البحري أو الزراعة، الخ. وعليه، فإنه يتعين على المسئولين أن يوجهوا المواطنين نحو هذه النشاطات. لحد الساعة، لم نعمل إلا في مجالي التنمية الحيوانية والزراعة المطرية. والباقي غير معروف لدينا.

من ناحية أخرى، لا بد على الفور من سن قواعد ومسلكيات للحكامة الرشيدة. ولا بد من الشفافية في إدارة المشاريع. فالبلد لا يمكنه أن يظل على الدوام مستجديا الآخرين، مادا يده لدول كفرنسا، دون أن يحسن تسيير ما يُمنح له. من الآن فصاعدا، يلزم ألا يُختار أو يُحتفظ بأي مسئول لإدارة المشاريع إلا إذا كان من الأكفاء. هذا سهل الآن، لأنه يوجد في البلد كثير من الكفاءات. لا يمكن أن نساعد من لا يريد العمل.

وحول ترشح لموريتانيا وردا على سؤال من الرئيس، أجاب وزير الخارجية بأنا قد اتصلنا بالدول التالية التي أعطت موافقتها: فرنسا والصين وروسيا وألمانيا.

وكما هو الحال في كل الجلسات، سأل الرئيس عن مكافحة الطيور الفتاكة بالحبوب وعن الأوبئة وتقدم أعمال التشييد.

25 ديسمبر 1996

ركز الرئيس على توقيع اتفاقيات إبان الزيارة التي قام بها لأحدى دول الجوار وعلى أنه على القطاعات الوزارية المعنية أن تنفذها، مضيفا أنه لا توجد عقود تعاون

دائمة وأن الاتفاقيات لا تطبق على الدوام. وطلب من الوزراء دراسة إمكانية إنجاز شيء في هذا المجال مع الدول المجاورة. فإذا طبقنا الاتفاقيات الموقعة للتو، فإن ذلك سيكسبنا تجربة وسيكون مثالا يحتذى لكل إفريقيا. إن الدولة المشار إليها دولة صغيرة وضعيفة، لكن تسييرها جيد. فقر الناس لا يرى من خلال سلوكهم أو في الشارع، وبناياتها نظيفة.

زرنا مصنعا لإنتاج الأدوية، يصنع منها ما مجموعه 57 صنفا، لم يتجاوز الاستثمار فيه خمسين مليون أوقية. الأمر غير متصور في بلادنا لارتفاع الكلفة. وهذه الدولة تصدر الأدوية. لا بد من دراسة هذه الوقائع للوصول لضوابط جديدة وتخفيض أسعار البناء والأسواق المرتفعة عندنا بشكل مفرط. لما ذا؟ تساءل الرئيس. وتابع قائلا بأن الدولة المَزورة بحاجة للماء المعدني وأنها تصرف عليه عشرة ملايين دولار سنويا، وأنها بحاجة لحديد الخرسان وللحوم والمنتجات الزراعية، مضيفا أن لديها تسييرا أفضل مما عليه الحال في أوروبا وأن الإنسان وحده، من بين كل الكائنات الحية، لا غنى له عن العمل، كي يعيش.

على الوزراء أن يسهروا على الحضور في المكاتب وألا يمركزوا المسؤوليات، زيادة على ضرورة تقييم ما تقوم به الإدارات. فالعالم اليوم موحد، عكس ما كنا عليه من عزلة عنه وعن بعضنا البعض، يعيش كل منا حسب وتيرته الخاصة. لم يعد هذا الوضع ممكنا وعلينا أن نفهم ذلك.

31 ديسمبر 1996

ذكر الرئيس بأن مشروع التجمع ذي المزايا الاقتصادية GIE مهم، لأن الفاعلين الاقتصاديين إذا لم يندمجوا، فلن يكون بمقدورهم التحديث أو الوقوف في وجه المنافسة. ومثل لذلك بشركات تصنيع الطائرات.

ستكون السنة الحالية صعبة في بعض جهات البلد، على حد تعبيره، في الوقت الذي يقترب فيه شهر رمضان. لذا لا بد من إيصال البضائع إلى وجهتها قبل حلول

رمضان، كما لا بد من مراقبة وضع السكان. ولا بد أن يفهم هؤلاء أننا نهتم بأحوالهم. في مجال الصحة، يبدو أن الوضع جيد، لكن ينبغي أن نظل يقظين.

وفي موضوع أمَگّارْ تيندوف، قال الوزراء المعنيون بالملف أن وفدنا قد غادر الزويرات للمرور عبر بير أم اگرين. صاح الرئيس: "اطريگْ لَخْبُزْ". تتكرر هذه العبارة مرات على لسانه، إذ ربما تعود على استعمالها عند ما كان مشرفا على العمليات في هيئة أركان جيشنا الوطني. وللتبسيط، فإنها تعني الطريق الملتوي، ذي التعاريج. وهو مناقض للمبدإ الهندسي المدرَّس في الثانوية والقاضي بأن أقصر طريق بين نقطتين هو الخط المستقيم. في الحالة الراهنة، قد لا يكون على صواب.

8 يناير 1997

أبدى الرئيس انشغاله بتنامي حوادث السير في انواكشوط، مشيرا إلى أن هذه الظاهرة أخذت أبعادا كبيرة، لأنه في ظرف أسبوع واحد وقع سبعون حادثا في العاصمة. وتساءل عن أسباب هذه الظاهرة، مضيفا أن البداوة ربما لم تزُل بعدُ عن السائقين. وطالب بالصرامة مع هؤلاء وانتزاع رخص سياقتهم في كل مرة. عندها تدخل وزير التجهيز والنقل قائلا بأنهم في الغالب شبان يحملون رخصا مزورة، ومرات لا تكون بحوزتهم أية رخصة على الإطلاق.

أضاف الرئيس بأنه من الواضح أن علينا أن نعمل كثيرا، لكوننا نستجلب كل شيء: الغاز المنزلي والوقود، الخ.

ليس بمقدور الدولة أن تدعم كل شيء. فهي على سبيل المثال لا تربح شيئا من تصدير الحديد. لذا لا بد للمسئولين من التضحية وتفسير جميع جوانب الأمر والاطلاع على ما يجري حولنا والتفكير فيه، وفي العالم. علينا أن نُصدِّر، مهما كلفنا الأمر. وهذا في المتناول بالنسبة للمنتجات الزراعية ومنتجات الصيد البحري، الخ. لا شيء ينفع إلا العمل الإنتاجي. لا بد كذلك من السهر على تقليص التخلف في إداراتنا.

12 فبراير 1997

قدم الرئيس تقريرا عن الزيارة التي قام بها المسئول الفلاني طالبا دعمنا في النزاع الدائر بين بلاده مع أريتريا، مضيفا أننا منحناه له. وذكر في موضوع آخر أن بعض المسئولين يأتون متأخرين. في هذه الحالة، سيكون من الطبيعي أن يقوم التابعون لهم بنفس الشيء، لأن المثال السيئ الذي يعطيه لهم رؤساؤهم يجعلهم يعتقدون أنه لا يوجد شيء مهم ينبغي القيام به. هذه المسلكيات تعكس طبيعتنا العميقة. فنحن نبدأ على الدوام بالمثابرة، قبل أن نقلص المجهود. لا بد من مواصلة المجهود، وإلا سيظل شعبنا في ذيل الأمم. في الحقيقة، لسنا فقط في منافسة مع جيراننا، بل مع العالم أجمع، مع اليابان وألمانيا، لأن العالم أصبح قرية واحدة مفتوحة، لا يوجد فيها سوقان، أحدهما لمن لا يقومون بأي شيء والآخر لمن يعملون. وحدها الشعوب التي تعمل تتمتع بالاحترام، والأخرى لا تحصل عليه. كل شيء قابل للتعلم. يمكن تعليم الأطفال كيف يعملون، تماما كما يمكن تعليمهم الكسل. الأمر يتوقف على الوالدين وعلى المثال الذي يعطيانه لهم.

19 فبراير 1997

أكد الرئيس على ضرورة الإسراع في تدشين مشروع الفحم الصخري (Tourbe) في أقرب وقت ممكن، قائلا بأننا سنموله بوسائلنا الخاصة، إذا لم يموله الشركاء الأجانب. نحن نُجَدِّف، لكننا لا نتحرك، على حد قوله، والآخرون لن يأتوا للقيام بالأمور نيابة عنا. لا بد للمسئولين من تفادي الاكتفاء بتصريف الأمور الجارية، إذ لا يجدي توقيع المراسلات لوحده. نحن بحاجة أيضا إلى تفكيركم حول المستقبل. لا ينبغي أن نخادع الشعب، فالمسؤولية تكمن في تحسين ظروف حياة الناس. الشهادات نقطة بداية، لكنها لا تكفي. مرة أخرى، لستم هنا لتسيير الأمور الجارية. لا بد أيضا من تطوير مستمر للخبرات. كل منا يعتقد أنه يعرف كل شيء ولا يبذل أي مجهود لتحسين قدراته. ومع ذلك، فكل مجال من مجالات المعرفة وكل

مهنة تشهد تطورا سريعا، مما سيقضي بتجاوز الغير لنا إذا لم نتدارك الأمر. لذا، يتعين على كل واحد منا أن يحسن خبرته في مجاله وفي مهنته.

ثم قال، موجها كلامه للمسئول عن محاربة الأمية، بأنه لا ينبغي ترك الناس يلتقطون أنفاسهم، لأن الأمر قضية مصيرية وليست انتخابية أو سياسية. فشعبنا قليل العدد، مما يسهل تعبئته. وفي هذا المجال، فإن الزمن عامل مهم جدا، لكننا نردد دائما: "هذا ماهُ أكبر من گدُّ"، أي هذا ليس بهذه الدرجة من الأهمية، ولنترك الزمن يقوم بعمله. فإذا قضينا على الأمية، فإنها لن تعود، وهذا ما يحتاجه شعبنا لكسب احترام الآخرين. لا بد من التفكير بالمستقبل في هذا المجال، وفي كثير غيره من المجالات الأخرى.

25 فبراير 1997

قدم الرئيس تقريرا عن الزيارة التي أداها أحد رؤساء دول الجوار، قائلا بأن المباحثات دارت حول ما يجري في شمال هذا البلد وحول عودة اللاجئين المقيمين على أرضنا. تكلمنا عن منظمة استثمار نهر السنغال وعن "الأودية الأحفورية"، ذلكم المشروع السنغالي الذي يبدو أنه برنامج واسع ومتقدم إلى حد كبير. ليس من المقبول القيام بأي شيء من شأنه أن يغير منسوب أو مستوى فيضانات النهر، تماما كالملاحة عبره. لم يكن لدى مخاطَبي معلومات وافية حول الموضوع. بعدها سأل الرئيس عن الوضع الصحي في شرق البلاد، ليجيبه الوزير المعني بأن ثلاث حالات من التهاب السحايا قد ظهرت وأن جميع المصابين بها تم شفاؤهم.

21 مارس 1997

أخبر الرئيس المجلس بزيارة مبعوثيْن خاصين، أولهما إفواري جاء لتحضير اجتماع خبراء الآنادANAD، والثاني عراقي يريد منا أن نتكلم عن العقوبات المفروضة على بلاده. فالشعب العراقي، كما ذكر الرئيس، يعيش حالة سيئة.

ثم أعطى تعليماته بأن يمتنع الوزراء من طلب أي شيء بصفة مباشرة من أي

دولة أجنبية، مضيفا أنه لا بد من المرور عن طريق رئيس الوزراء أو وزير الشؤون الخارجية، لأن الأمر قضية سيادة. لا ينبغي طلب العون من دولة بصورة عمياء، حتى ولو كانت مستعدة لتنفيذ طلبنا.

26 مارس 1997

ردا على سؤال حول حسن أداء صناديق الادخار، أجاب الرئيس بأن التجربة بدأت في كندا وأنه في محيطنا القريب، تم تطبيقها منذ عشرين سنة في بوركنا فاسو. هذه التجربة لا بد أن تنجح، إذ لا يتم البحث في هذا المجال عن المكاسب أو الربح. ثم إن الأسهم متساوية. والتجربة موجهة للفقراء، لا لغيرهم.

الهدف الأساسي منها هو إرساء روح التعاضد والتعاون. فالمؤسسة موجهة لمن لا يستطيعون الولوج للمصارف. يمكن أن يكون عائق الفئة المستهدفة عبارة عن تمويل زهيد، ألف أو خمسة آلاف أوقية. في هذه الحال، يمكن للصناديق أن تتدخل وتبقى الدولة بمنأى عن الأمر. الغرض في النهاية من هذه الصناديق هو محاربة الفقر والبطالة. من الممكن ألا تنجح، لكنها تجسد مبادرة ملموسة تهدف إلى تقديم دعم مناسب للضعفاء اقتصاديا. يمكن الحصول على تفسيرات إضافية في الأسبوع المقبل، عند تدشين أولى هذه الصناديق. هنا، لا يمكن أن يتعلق الأمر بمزايدات. فالمنتسبون البالغ عددهم خمسمائة والمسجلون في عرفات يجهل أغلبهم البنوك ومعاملاتها. وختم قائلا بأنه لا ينبغي إغفال الجانب التربوي في مجال التعاون والتآزر.

على برامج التلفزيون أن تستمر وتنجح كما نجحت البرامج الرمضانية. ينبغي تثقيف الناس حول الحياة في المدن وتعليمهم كُنْهَ الدولة، عبر البرامج التلفزيونية. لا يستساغ الملل من التكرار، لأن الأمر بمثابة مدرسة.

2 ابريل 1997

أطلع الرئيس المجلس على أن وزير التعاون الكندي الذي قام بزيارة لبلادنا

أعلن استعداد بلاده للمشاركة في التنقيب عن المعادن وفي تمويل مشاريع صناديق الادخار، سعيا إلى مكافحة الفقر. وأكد هذا الوزير، على حد تعبير الرئيس، بأن بلادنا تتمتع بصورة جيدة في كندا. لكي لا تتأخر هذه المشاريع، فإن الوزراء مطالبون، على سبيل المثال، بالإلحاح على وزير المالية أو الاتصال برئيس الوزراء، لتسريع إجراءات الجمركة وغيرها.

تجب محاربة الطيور الفتاكة بالحبوب وعلى سفيرنا الاتصال بالسلطات السنغالية للسماح للطائرة العسكرية الموريتانية بمحاربتها على ضفتي النهر.

ثم سأل عن النقطة التي وصلتها محاربة الأمية، مطالبا بتقديم إيجاز له عن الموضوع.

16 ابريل 1997

أخبر الرئيس المجلس بزيارة أداها مبعوث خاص للرئيس البنيني كريكو طالبا دعم بلادنا لترشح الرئيس السابق زينزو للفرانكفونية، مضيفا أن الأمر يتعلق بشخصية مهمة.

وردا على معلومة تقدم بها وزير الصحة حول ظهور حالات من الكوليرا في كِيفَه، مع التأكيد على " أن كل شيء على ما يرام الآن"، أعلن الرئيس أن الخطب سهل، إذ يكفي غسل اليدين قبل الأكل. يجب تجنيد الإذاعة والتلفزيون. إن الأيدي والأظافر هي الأعضاء الأكثر خطورة في الجسم البشري.

23 ابريل 1997

حض الرئيس على أهمية الزمن أثناء العمل، قائلا بأن رئيس الوزراء الياباني عندما يستقبل وزراءه لا يمنحهم إلا دقائق معدودة، لا أكثر. لا يعود الأمر لقلة الاعتبار، بل لأهمية الوقت. البعد الزمني مهم في كل شيء. على مستوى إجراءات الصفقات العمومية، على سبيل المثال، لم تستطع موريتانيا استيعاب التمويلات المقدمة لها، في الآجال المحددة. وإذا استطعنا ابتكار طرق لتفادي الاختلاس في هذا

المجال، فسيكون ذلك مفيدا للغاية.

14 مايو 1997

في موضوع السيارات، قال الرئيس إن الكثير من المسئولين يسيِّرون ما بحوزتهم منها بشكل سيء وأن من بينهم حتى من يبيعه. وزير المالية وحده هو المخول ببيع السيارات وفق الضوابط القانونية، ولا مكان للأوهام في قضايا الدولة.

لا بدمن تعويد الناس على ذلك وإلا فإن المواطنين سيعتقدون في النهاية أن الأمر بسيط. من يعتقد ذلك مخطئ وإذا لم نأخذ هذا البعد بعين الاعتبار، فإننا سنحطم الدولة والمجتمع. فلننظر ما يجري حولنا، في بعض الدول. في الدول المتقدمة، لا يوجد مكان لمثل هذه التصرفات ومتى قيم بها، فإن ذلك يشكل بصورة تلقائية خرقا للقانون. من جهة أخرى، فالمهم هو العمل، لا الكلام، كما تقضي به الشريعة الإسلامية، إذ يمكن للمرء أن يصلي أمام الناس ويتصرف بصورة غير لائقة في مجالات أخرى. الكثير من اللصوص يصلون لكن ذلك لا يزيل عنهم الاتصاف باللصوصية. يكمن دور الوزراء والمسئولين السامين في توجيه الناس بإعطائهم القدوة الحسنة.

دولتنا غنية ويمكننا أن نخرج من وضعيتنا، لكن فقط إذا وضعنا نصب أعيننا المصلحة العامة. إن القضايا الشخصية غير مهمة والدولة للجميع. إذا كانت الدولة جيدة، فسيكون الجميع كذلك. وإذا قام الوزير بالتوجيه والمراقبة، فإن الأمور ستسير على ما يرام.

29 مايو 1997

ركز الرئيس على أن إدارتنا الداخلية، رغم محدودية إمكاناتها، تتمتع بميزات جيدة وأنها، مقارنة مع مثيلاتها في إفريقيا، تعتبر من أفضلها.

11 يونيو 1997

كانت زيارة الرئيس الفلاني زيارة عمل وصداقة. وله رغبة حقيقية في تعميق

علاقاتنا السياسية والاقتصادية. لاحظ إبان مروره بانواذيبو تقدما ملحوظا للشركة الوطنية للمعادن (اسنيم) وتفاجأ بذلك، خاصة أن الأطر الموريتانيين هم وحدهم المسيرين لها. كما أعجب بشركات السمك ومعداتها. وفيما يتعلق بنائب الرئيس الجزائري، فإنه أطلعنا على وضع مسلسل السلام في الشرق الأوسط وتحدث كذلك عن مشروع المؤتمر الاقتصادي الذي تعارضه سوريا، بالإضافة إلى الاتفاق الإسرائيلي التركي وتوغلات الجيش التركي في الأراضي العراقية. بدوره، طالب المبعوث الليبي الخاص بعقد مؤتمر عربي للنظر في مستقبل الأمة العربية على أعتاب القرن الواحد والعشرين. يطلب الرئيس القذافي موافقتنا بهذا الصدد ويتعهد بعدم إثارة أية مشكلة راهنة؟ وقد أعطيناه موافقتنا، لأن هذا النهج لا يمكن إلا أن يلقى قبولنا.

عاد الرئيس، كما هو معتاد، للقضايا الداخلية، قائلا بأنه لابد من القضاء على الطيور الفتاكة بالحبوب، وإلا فلن تكون هنالك زراعة.

14 يونيو 1997

لا ينبغي للوزراء أن يقدموا نصوصا غير مستوفية للمجلس، بل عليهم أن يأخذوا الوقت لدراسة كل شيء، بدل تكريس وقتهم لأشياء أخرى، كالسيارات أو الشاي. لا مستقبل للذين لا يقومون بذلك، لأنه لن يبقى إلا المسئولون الذين يعملون. يفضل الناس عندنا الكلام في المكاتب واغتياب هذا أو ذاك. لا بد من إعطاء عناية أكثر للملفات والاهتمام أكثر بالمهدَّدين بالأمية والعطش والظروف الطبيعية القاسية للبلاد.

إن السيد بيكر Baker، وزير الخارجية الأمريكية السابق، يدعو لاجتماع في لندن وسيقابل كل طرف على انفراد، محاولا تسوية قضية الصحراء. ربما تكون لديه مقترحات.

بالنسبة للحملة الزراعية، وحسب المعلومات التي بحوزتي، فإن الطيور تتسبب

في خسائر فادحة، حتى أن هنالك مزارعين لا يريدون الاشتراك في الحملة، لهذا السبب.

لا بد من القضاء على هذا الكابوس مهما يكن الثمن، ولن تنقذنا من هذه الطيور التمويلات الصغيرة المقدمة من طرف منظمة الغذاء العالمية وغيرها.

18 يونيو 1997

بالنسبة لديباجة مشاريع القوانين، لا ينبغي التطرق لرغبات الشركاء الخارجيين، لأن القانون تجسيد حصري للسيادة الوطنية.

أضاف بأن الأمين العام للرئاسة قاد وفدنا إلى اجتماع لندون وقال بأنه لا جديد في الموضوع. يحاول بيكر Baker تطبيق مخطط الأمم المتحدة. البعض متفائل ويعتقد أن باستطاعته إحداث تقدم في هذا الملف.

وأردف بأنه يتعين على كل وزير متابعة ما يجري في العالم مما يتعلق بقطاعه، وإلا فإننا سنظل معزولين كما كنا في السابق.

21 يونيو 1997

بخصوص مشروع القانون المتعلق بالاتفاقية التأسيسية لجيماك GEMAC (اكجوجت) قال الرئيس بأن ما يهمه هو الذين سيحصلون على وظائف، قبل الانعكاسات المالية. لذا فإنه من المهم أن نؤمن أربعمائة وظيفة من هذه الاتفاقية.

فنحن لا نُعرف لحد الساعة في العالم إلا عبر صور نمطية: غير ديمقراطيين، مستعبِدون، الخ. عبر هذا المشروع، يمكننا أن نعرِّف على أنفسنا بطريقة مغايرة. ومع ذلك، فإن هذا المشكل يثير تساؤلات حول مستقبل بحيرة المياه العذبة الجوفية في بنشابْ.

لا بد أن يتعلم الناس كيف يعملون ويتعايشون معا في هذا البلد. وسيسمح المشروع بالحديث عن بلادنا بطريقة أكثر إيجابية.

لقد راسل وزراء دولا دون مشاورة مسبقة. وزار كذلك وزراء دولا دون دعوات

رسمية. وزير الخارجية وحده يمثل البلاد في الخارج. وبالطبع، فإن هنالك دولا لا يمكن قبول عونها من طرفنا. لذا فإنه يتعين على الوزراء الامتناع عن مثل هذا السلوك والالتزام بالتشاور مسبقا مع وزارة الخارجية. إضافة إلى ذلك، يتعين على من يروحون إلى الخارج أن يقدموا تقريرا يروون فيه ما جرى خلال الاجتماعات، بما في ذلك موقف موريتانيا وذكر الداعمين له. لا بد من توزيع هذا التقرير على المسئولين المعنيين، بما فيهم المدراء والولاة. لا نعلم هل يقوم الذين يروحون إلى الخارج بمهامهم ولا من يلتقون من المشاركين.

وأضاف بأن التلفزيون ينظم طاولات مستديرة حول قضايا ربما تكون مفيدة ويصلني الخبر بأن أخصائيين في بعض المجالات يترددون في المشاركة فيها. لا بد أن يرى المواطنون ويسمعوا ما يحدث في جميع المجالات المثارة التي تهمهم.

لما ذا لا يسجل المسئولون على اللوائح الانتخابية، في الوقت الذي يقوم فيه المواطن العادي بذلك؟

سيصل سكان انواكشوط أعتاب المليون نسمة، علما بأن الحياة المشتركة تتطلب قواعد ملزمة للكل. في هذه الحالة، ينبغي للمسئول أن يعطي المثال الحسن. سيفضي الأمر إلى تغيير العقليات. فتظاهرة اليوم الفائت الرياضية (اسغير وباب ولد سيدِ) كانت مفيدة.

لا ينبغي أن نشتكي دوما من عدم حب واحترام الآخرين لنا. مهما يكن من أمر، فإن المصالح هي المهمة بالنسبة للدول. لهذا السبب، فإن الدول لا تحب بعضها البعض.

لا بد أن يوجه المسئولون المواطنين نحو ما يتعلق بمشروع تسيير الثروات الطبيعية في المناطق المطرية وينبغي للمجموعات أن تختار بنفسها ما تراه مفيدا لها.

9 يوليو 1997

يعتبر العالم اليوم غابة بدون قواعد تنظيمية. إنها الفوضى التامة. وحدها الدول

المنتجة تحظى بالاحترام، والأخرى غير مفيدة. الشعوب المتعلمة، كما هو الحال في اليابان، تقود العالم حاليا. السبب الرئيسي للحروب هو الفقر والتخلف في مجال المعرفة. علينا المطالبة بالتكافل بين مواطنينا ومطالبتهم بمساندة الفقراء ودعوة السكان إلى ذلك.

لقد أرسينا الديمقراطية في ظروف جيدة لكن إذا لم نعمل، فإن الآخرين سيدوسوننا بأقدامهم، لأن الدول تدوس على الضعيفة منها.

ثم أثار نقطتين:

التسيير: طالب بالتشدد والاعتناء بكل ما يمس المال العام والتجهيزات والشركات والبلديات والمدارس والمستشفيات، الخ، لأن ذلك ضروري لاستحقاق ثقة مواطنينا، وكذلك لتحسين ظروف معاشهم. على الوزراء المسئولين عن حياة الناس البقاء على اتصال بهم. لا بد في هذا الصدد من تحديد المهام على الدوام لشرح ما يقام به في أي مجال للمواطنين. ولا ينبغي اقتصار الحوار على المنتخبين والمسئولين، بل لا بد من القيام به مباشرة مع السكان.

وركز على أننا اليوم في منافسة مع الآخرين، لأن العالم مترابط. الأمر صحيح حتى مع جيراننا. فكل منتج، سواء كان كتبا أو حبوبا أو قماشا، يتم تسويقه من طرف منتجه في العالم أجمع. لذا يتعين أن نجيد المنافسة.

إذا ظلت نسبة خمسين في المائة من سكاننا جاهلة، فلن يحترمنا أحد وسنظل فقراء على الدوام.

16 يوليو 1997

لقد دعتنا غامبيا لتخليد ذكرى صعود رئيسها إلى سدة الحكم وأكد مبعوثها الخاص رغبته في تعميق تعاوننا.

23 يوليو 1997

ينبغي منح المزيد من القيمة للمستشارين والمدراء المركزيين، وإلا فلن يكون

هنالك تقدم. في بلد طبيعي، تشكل هذه الوظائف قمة الهرم الإداري. لذا فإنه لا بد من إشراك المشرفين عليها أكثر وعلى الوزراء أن يتسلحوا بآرائهم. وبالرجوع إلى العلاوات المقترحة لأعضاء لجنة المسابقات، أكد الرئيس على أنه لا سبيل لمنح علاوات أي لجنة بطريقة غير مدروسة.

30 يوليو 1997

في موضوع بيع الشركة الموريتانية للسياحة (س م هـ SMH) لاسنيم، لاحظ الرئيس وجود المرسوم في مقدمة الملف، ليعلق بعبارته المفضلة: اطريگ لَخْبُزْ، مضيفا أنه علينا تغيير العقلية وأن ذلك هو سر نجاح كوريا الجنوبية. لم تعد المنافسة داخلية فقط، بل أضحت مع الآخرين، لأن العالم أصبح بمثابة قرية واحدة. لقد فهم الأوروبيون ضرر الفرقة وأن البقاء يمر عبر الوحدة. فالدول المعزولة تنتهي بالتقاتل والخراب.

27 أغسطس 1997

تطرق الرئيس لموضوع الإنتاج قائلا إنه يتعين إرسال بعثة استطلاعية لتسويق مياهنا المعدنية في الرأس الأخضر وغامبيا لأن هاتين الدولتين تحتاجان الماء وأن مياهنا من أجود مثيلاتها في العالم، لكونها طبيعية تماما. على سفرائنا البحث عن الأسواق والالتقاء بالمهتمين ودعوتهم لربط علاقات وإجراء تبادلات مربحة. ذلك دورهم كما هو دور الوزراء. فما ننتجه صالح لكل مكان: الماء والسمك والملاحف.

وفي معرض الأمطار داخل البلاد، أعطى وزير الداخلية لائحة السدود الممتلئة لحد الساعة. فصحح الرئيس أسماء بعض المواضع التي تم تهجيها بطريقة خاطئة وطلب إذاعة اللائحة في الراديو والتلفزيون لإخبار الناس بوضع مرابعهم، تمهيدا لعودة المزارعين إلى داخل البلد. "فلا بد أن تنشر وسائل الإعلام الأنباء المتعلقة بالأمطار وبالأماكن الصالحة للزراعة". وأضاف بأن الكِبْر يمنع الناس من العيش

بشكل طبيعي، لأنه يحول دون العمل. من جهة أخرى، على وسائل الإعلام أن تتحدث عن وزن النساء ونسبة أميتهن. في السابق، كان كل شعب يبقى في وطنه ولا يسافر لمشاهدة الآخرين. لم يعد الأمر على هذه الحال. فاليابانيون والصينيون موجودون اليوم هنا. نعتقد أننا مركز الأرض، لكن لا بد من فعل ما يقوم به الآخرون والعودة للمعرفة والتعلم والكتب والقراءة والعمل. يعتقد البعض أننا متقدمون، لكن الأمر، إن صح، يملي علينا واجبات وقواعد سلوك. واختتم قائلا بأن أكل اللحوم في كل يوم مضر بالصحة.

3 سبتمبر 1997

طالب بالكف عن إيراد تسميات كالمسجد المغربي أو السعودي في النصوص الرسمية، كالدباجات والقوانين والمراسيم والمقررات، وبتعويضها بأسماء أحيائها.

طلب توضيحات من الوزراء لفهم ما يجري في الجزائر وتجاوز إلى وزير الزراعة للمطالبة ببذر كل المناطق التي تغمرها السيول والسهر على المراعي ومكافحة الطيور الفتاكة بالحبوب.

وأضاف بأن الأسبوع المنصرم شهد زيارة الرئيس شيراك Chirac ومبعوثيْن، أحدهما صحراوي والآخر نيجيري. بالنسبة لقضية الصحراء، هنالك تقدم، لأن هنالك اجتماعا مقررا في بوستون. أما المبعوث النيجيري فإنه يسعى لمعرفة ما وصلنا إليه في موضوع الجمعيات البرلمانية والأحزاب السياسية والدستور. وأردف بأن زيارة شيراك Chirac كانت ناجحة جدا، إذ برهنت بلادنا خلالها على أنه بوسعها استضافة أكبر شخصيات العالم. ففرنسا تلعب دورا عالميا مهما في الأمم المتحدة وأوروبا وإفريقيا. جاء شيراك لزيارة بلدنا فقط والعودة إلى فرنسا. وتتلو هذه الزيارة تلك التي أداها لنا الملك اخوان كارلوس Juan Carlos. كان التنظيم والتعبئة في منتهى الكمال. فقد تجول في البلاد، مصحوبا بوزير خارجيته. كان وفده معتبرا، خاصة أن هذا الوزير ينتمي لحكومة اشتراكية. في هذه الأثناء، كانت موريتانيا شيئا ما

بمثابة عاصمة للعالم، بسبب موقف فرنسا من القضية الإسرائيلية الفلسطينية. فقد اتصل شيراك من هنا بكل الأطراف، بما فيها وزيرة الخارجية الأمريكية، سعيا لتفادي الحرب. في نفس السياق، أعلن موقفه من القضية الجزائرية وتعليقه على موت كل من الأم تيريزا Mère Therésa والأميرة دايانا Diana.

17 سبتمبر 1997

استفسر الرئيس عن صحة صو آبو دمبا الذي تعرض لحادث سير نقل جراءه إلى فرنسا وطلب من الوزراء ألا يخرجوا وحدهم وأن يحدوا من سرعة سياراتهم، لأن صو كان بمفرده وبقي عالقا في سيارته لوقت طويل، دون أن يلاحظه أحد.

على وسائل الإعلام المشاركة في الحملة الصحية حول تزويد المواطنين بالماء، خاصة في فترة الخريف.

1 اكتو بر 1997

ينتهز الأجانب كل فرص التشغيل ويبقى الموريتانيون دون الحصول على طائل. في هذا المجال، كما في غيره، لا يمكن تحقيق أي شيء دون مشاركة المسئولين. لا يمكن التلاعب بمسؤولية قيادة الشعوب والدول. تجري الأمور في أمريكا والصين والهند على ما يرام لأن فيها أناسا يسهرون على ما هو مهم (تنظيف الطرق وإصلاح السيارات). يقبل الناس عندنا تقلد المسؤولية، لكنهم لا يهتمون بها. عدم الاكتراث بمشاكل الشعب والدولة خطير، لأننا المسئولون عن ذلك. لما ذا يشغل الأجانب نسبة خمسة وتسعين في المائة من الوظائف في مجال الصيد البحري؟ الموريتانيون لديهم الأسبقية في الوظائف وعلى المسئولين السهر على ذلك. كلما كان بمقدور الوزراء التنقل إلى الداخل لإعلام وتأطير السكان والاطلاع على أحوالهم، فعليهم أن يقوموا بذلك.

لما ذا تترك المطاعم كافة، صغيرها وكبيرها، بأيدي الأجانب؟ لا يتعلق الأمر بطرد هؤلاء بطريقة فجة، لأن عمل المطاعم ضروري في كل الأحوال، لكن....

15 اكتوبر 1997

هنالك الكثير من السيولة في البلد. يكفي إلقاء نظرة على الشوارع والناس المقيمين حولها، لكن هؤلاء لا يعرفون فيما يصرفون أموالهم، ما عدا اقتناء الدار والسيارة. يتحتم توجيههم نحو استثمارات أخرى، لأن كل ما سواها متروك. ومع ذلك، فإن فرص الاستثمار لا حد لها، لكن المواطنين يفتقرون إلى التأطير والتوجيه. على سبيل المثال، يمكن للوزراء وأعوانهم أن يخبروا الكل شهريا بفرص الاستثمار المتوفرة في قطاعاتهم، إذ لا يعرف الممولون بالضرورة أين يستثمرون.

29 اكتوبر 1997

لا بد من زيادة الفصول المخصصة لمحاربة الأمية. على الوزراء البقاء على اتصال مع السكان ليشرحوا لهم السياسة العامة للبلد وجوانبها الجهوية. هنالك شعوب لا تحتاج لهذا الحوار، لكن ذلك لا ينطبق علينا. فلا بد من فتح أعين مواطنينا على ما يجري هنا، وسيبقى حتما شيء من هذا التكرار. إن الأمية متلازمة مع الفقر والفاقة. في مجال محوها، لم تصل موريتانيا في يوم من الأيام إلى النقطة التي نحن فيها حاليا، لكن علينا ألا ننسى أن سنة واحدة من الجفاف قد تحطم كل شيء وتقضي على مكاسب ورفاه الناس. على الذين يفهمون الأمر أن يشرحوه للآخرين.

أين وصلت محاربة الطيور في كرماسين؟

13 نوفمبر 1997

كان الاجتماع مخصصا للميزانية. قال الرئيس بأن الميزانية الموجهة للاستثمار ضخمة بالفعل. وهذا نادر عند الدول التي تمكن مقارنة بلدنا بها. فالمجهود مهم وبدأ يؤتي أكله، لأن السكان شرعوا في الرجوع إلى داخل البلاد.

۞ ۞ ۞

ملحق
يتضمن نماذج مما علق به
بعض المثقفين على هذا الكتاب

تعليق الدكتور محمد المختار ولد أباه

أحمد كلي، مسار متميز

لقد أُتيح لي أن أقرأ الجزء الأول من مؤلف يتناول مسار أخي الأصغر وصديقي أحمد كلي، مما أثار في نفسي مزيجا من المتعة والحنين.

لاحظت منذ الصفحات الأولى من هذا المؤلف عملا متميزا في لغة ناصعة وأسلوب جذاب.

لقد قدم الأستاذ أحمد كلي في هذا الكتاب طرفا من تاريخ أسرة آلِ الشيخ سيدي العلمي والروحي تلك الأسرة التي أظل إشعاعها قادة الفكر في هذه الربوع عدة عقود...

لقد سبق أن أعطى العلامة هارون في دراساته ومصنفاته أمثلة وافية من هذا التاريخ المجيد.

أما الأستاذ أحمد كلي فقد اكتفى بأدب واستحياء بدعوتنا إلى تلك الخيمة الفسيحة حيث جدته المنيفة الشانه راعية البيت تدير شؤونه بوافر الكرم وحسن الاستقبال.

وفِي رحاب هذا البيت عاش الجد الأكبر للعلامة هارون وللأستاذ أحمد كلي الشاعر الكبير الشيخ سيدي محمد "بده" ابن الشيخ سيدي والذي كان أعلى قمة في الأدب الشنقيطي على مدى عصوره.

و لم يفت شعراء بلاد شنقيط المرموقون يتبارون في مدح هذه الأسرة المجيدة من عهد الشيخ سيديا الكبير إلى اليوم. ولقد مكنت لأحمد كلي تقاليد أسرته العلمية أن يجمع بين علو الشأن في المعارف الدينية وناصية العلوم الحديثة في عصره.

و يجب أن نتذكر أن الأستاذ أحمد كلي هو الحفيد المحبب للشيخ عبد الله بن الشيخ سيديا؛ هذا الرجل العظيم الذي ظل محياه المشرق مطلا على مجريات حياة

موريتانيا السياسية والثقافية لنصف قرن من تاريخها.

لقد حالفني الحظ أن عملت بجانبه لتأسيس معهد أبي تلميت للدراسات الإسلامية بصفتي أول مدير دروس له، حيث كان هو المدير المؤسس.

ولقد اعتاد أن يظهر لي كثيرا من المودة والعطف ويذكرني بالعلاقات الخاصة والمتأصلة التي تجمع بين عائلتينا.

ولقد كنت شاهدا وفاعلا في إنشاء تلك المعلمة الفريدة التي من المؤسف أن نتناسى اليوم جسامة الإسهام الذي قدمته علميا وثقافيا لهذه البلاد.

لقد تقلب الأستاذ أحمد كلي خلال مساره المتميز في دوائر الإدارة العليا فكان " الغلام الوزير" قبل أن يتقلد منصب الأمين العام لرئاسة الجمهورية ثم يغادرها استباقا لهبوب العاصفة.

هذا وإني لأشاطره تنويهه الكبير بالمرحوم الرئيس المختار ولد داداه لما كان يتحلى به من صرامة وتواضع وتسامح وأحتفظ له بصداقة راسخة رغم ما شاب حياتنا السياسية من تذبذب اضطراب. و

و أهنئ الأستاذ أحمد كلي على هذا العرض الشيق عن مساره الحافل بالعطاء، فقد أسهم بسخاء في بناء دولة كافحت بُعيد استقلالها لاسترجاع هويتها الثقافية وإرث علمائها الأجلاء.

إن الأستاذ أحمد كلي، بتجربته الفريدة والغنية وانتمائه لأسرة آلِ الشيخ سيدي الجليلة، سيظل مدعوا لمواصلة دوره الريادي في عملية استكمال بِنَاء الدولة الحديثة، تلك العملية المستمرة والمشوقة.

محمد المختار ولد اباه

انواكشوط 15 يوليو 2020.

(ترجمة جامعة شنقيط العصرية)

تعليق محمذن ولد باباه

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه أجمعين؛

إلى أخي العزيز أحمد كلي

تحية طيبة وبعد،

لقد تلقيت كتابكم "مسارا من المسارات" وطالعته باهتمام كبير. ولا يسعني إلا أن أعرب لكم عن مدى إعجابي بما تضمنه من معلومات مفيدة ومواقف مسئولة.

مما لفت انتباهي بصفة خاصة في هذا الكتاب، علاوة على أسلوبه الجزيل ولغته الرصينة، الفصل الخاص بالمحيط الاجتماعي.

هذا الفصل من الكتاب مثل توثيقًا خاليا من التلميع المتكلف والتحريف المغرض للحياة الاجتماعية للوسط الذي ترعرعت فيه.

فالحياة في هذا الحي كما صورتها بصفة موضوعية وواقعية تمثل عرضا أمينا وواقعيا متكامل الأركان لحضارتنا البدوية بكل بساطتها الفطرية وعمقها الاجتماعي وسموها الأخلاقي وتراحمها الفئوي وتكامل الأدوار المنوطة بكل فئة، كل ذلك في جو من المساواة الفعلية والتراحم الاجتماعي...

مجتمع يرحم فيه الكبير الصغير، ويوقر فيه الصغير الكبير، بدون تكلف.

في هذا المجتمع تقوم المرأة بدورها كصانعة للأجيال، واعتنائها بحق الجار المصون وعابر السبيل المكرم وأصحاب الحاجة- وما أكثرهم - تقضى لهم حاجتهم مع إكرام ضيافتهم ولو طالت إقامتهم

أما حلقات التعلم والبحث العلمي فهي منتظمة ليلا نهارا لتوضيح كل ما أشكل في جميع الفنون....

وينتظم هذا المجتمع بجميع أطيافه حول شخصية محورية تسهر بصفة يقظة على أمنه الاجتماعي والأخلاقي والاقتصادي، ألا وهو الشيخ عبد الله، "رحمه الله"

الذي كان يحرص على اقتفاء نهج آبائه بكل أمانة في كل ما سنوه من نشر للعلم وإنفاق وإرساء دعائم السلم في كل محيطهم الاجتماعي.

لقد قام الشيخ عبد الله بأدوار سياسية هامة منها مساعيه في إصلاح ذات البين بين المجموعات القبلية ودوره في تمرير عملية الاستقلال بسلام والتدرج فيها من الاستقلال الداخلي إلى الاستقلال التام.

وعلى الصعيد الثقافي والاجتماعي شكل تأسيس معهد بوتلميت الإسلامي وهو يمثل المحظرة التقليدية ببرامجها ومعلميها، ويمثل أيضا المؤسسة العصرية، بنظامها الإداري وبرامجها العصرية شكل نقلة نوعية في التعليم الأصلي.

أما الفصل الثاني من الكتاب فهو عبارة عن تجربتك الخاصة في فترة التمدرس والعمل في الدولة في مستويات مختلفة من المسؤولية، شاطرتك جل مراحلها، ولقد تميز ما كتبته عنها بالأمانة في المضمون والصدق في تقصي الحقائق، مع جزالة الأسلوب.

ومما لا شك فيه أن هذا الكتاب يمثل إضافة نوعية للمكتبة الوطنية لتعرضه بصفة علمية لحقبة هامة من تاريخ بلادنا الحديث.

والسلام،

أخوك محمذن ولد باباه

تعليق الوزير والمحامي محمد ولد امين

يعرف صديق عزيز شغفي بذكريات أهل موريتانيا وتقديري لكل من قرر تدوين تجربته لنا.. فأهداني مشكورا نسخة من مذكرات الشيخ أحمد ولد الشيخ سيديا المشهور بكنيته أحمد كلي.

وقد عنون الأستاذ أحمد كلي مذكراته "بمسار ما" وأميل الى الاعتقاد ان القارئ المتفحص لا يحتاج لكبير جهد لاكتشاف الترابط بين العنوان واسم الكاتب.

فالكاتب هو أول حفيد "كلي" للشيخ سيديا الثاني، وتعني كلي أنه حفيد من جهة الأب والأم لنفس الشخص... وهو ليس أي شخص.

جد الكاتب هو المنظر الفعلي والشرعي لما سيعرف لاحقا بموريتانيا وقد ترجم له كثيرون وبلغات عديدة. ولن أثقل على القارئ بإعادة الكتابة عن هذه الشخصية العظيمة والمشهورة.. ليس بموريتانيا فحسب، بل في العالم الإسلامي قاطبة.

في اللغة الفرنساوية التي اختارها الكاتب لتسطير مذكراته تستبطن مفردة Certain شحنة فحوى مليئة بالدلالات السياسية.. ولعلي لا أبالغ إذا قلت جازما أنها من العبارت "الديغولية" شديدة الانتشار، حيث اختارها الجنرال ليستهل بها مذكراته حين قال: Une certaine idée

ويعنون صاحبنا كتابه البهيج والقيم: Un certain parcours.

لا غرابة إذن إذا كان المؤلف صاحب مسار ما... !

ولا عجب إذا تأثر بفكرة ما للكاتب والسياسي العظيم شارل ديغول، بل العكس سيكون غريبا.

ولعل كثيرا من الناس في هذه الربوع لا يعلمون أن شارل ديغول كان يكن تقديرا خاصا للشيخ عبد الله - الجد الذي تربى في كنفه صاحبنا.

ولا يعرفون الدور السياسي الكبير الذي قام به الشيخ عبد الله خلال عقود من السياسة الموريتانية والإفريقية.

لقد انعكس ذلك التقدير في الزيارة التي خص بها القائد الفرنسي حاضرة بوتلميت وتمويله لمعهد الدراسات الاسلامية الذي شيده الشيخ عبد الله هناك.. وكان أول نواة تعليمية حداثية بالعربية في كل موريتانيا.

يصف الكاتب الظروف المعنوية الفخيمة التي تربى فيها والعسر المادي البديهي لتربية ارستوقراطية ضارية بمعايير ذلك الزمن الذي تنتزع فيه المكانة الاجتماعية بحجم التضحية وقهر النفس وترويضها... ويصف تلك الفترة الباكرة بكثير من الشوق والمحبة.

في كل دول العالم، حين نتحدث عن تربية ارستقراطية فإن الذهن ينصرف إلى القصور والجنان والخيول المطهمة... لكن في موريتانيا ليس الأمر كذلك، حيث يكون الاختلاف المادي عن عامة الناس عملا حقيرا يتنافي مع نبل التربية التي تفترض تقاسم الشظف مع أكبر قدر ممكن من الناس... !

نال أحمد كلي تعليمه الديني والمدرسي بشكل طبيعي.. وهو من الجيل المحظوظ الذي سيتخرج من الجامعات الفرنسية ليجد أمامه دولة أحوج ما تكون لمن يشغل مناصبها الشاغرة.. وسيتقلد مسؤوليات جسيمة وسيصف بكثير من الحصافة والنزاهة صيغ الحكم ومناقصه في دولة ما بعد الاستقلال.

لن أدخل كثيرا في تفاصيل هذا الكتاب كي لا أحرق عليكم متعة القراءة.. لكنني أجده مؤلفا جميلا لرجل حاذق وصاحب تجربة ثرية.

فقد كان وزيرا وهو بعد في ميعة الشباب.. ونقيبا لسلك المحامين.. وسفيرا... وسياسيا. دافع عن وجهة نظره في أكثر من موقع كمعارض.. أو كمشارك في أنظمة سياسية.

إنه رجل مكتمل قام بواجباته نحو عائلته وقريته ونحو بلاده.. وقرر أن يضع

تجربته أمام الأجيال الجديدة لمعرفة حجم المعاناة الموريتانية.

أنصحكم بقراءة هذا الكتاب الجميل لكاتبه الفهيم وصاحب التجارب الفاخرة الأستاذ أحمد كلي ولد الشيخ سيديا.

محمد ولد امين

تعليق موسى افال

رسالة تهنئة موجهة إلى أحمد كلي بمناسبة صدور كتابه « Un Certain Parcours » ، مسار مًّا.

عزيزي أحمد،

أشكرك على نسخة كتابك « Un certain parcours » (مسار مًّا) الذي حرصت على أن ترسله إلي.

ومع أن قربي منك سمح لي بالأسبقية في مجال معرفة بعض الأحداث المذكورة في الكتاب، فقد كنت أتوقع لأول وهلة، أني بصدد قراءة سيرة متميزة، تتحدث عن طفولة هنيئة، ومسار دراسي ابتدائي وجامعي نخبوي، ومرحلة وظيفية عمومية مبكرة، ثم متقطعة، ونمط حياة متواضع ومتحكم فيه، بطريقة نالت إعجاب كثيرين أنا من بينهم، لم نستطع أن نسير على نهجها.

عند قراءة هذا الجزء الأول اكتشفت في هذا الرجل الكريم الأريحي شخصا آخر، حيث يقال دائما إن الليونة تخفي تحتها الصلابة، فخلف هذه المظاهر المتواضعة عن قصد يختبئ إتقان للغة الفرنسية قل نظيره اليوم، وثقافة عميقة ومتنوعة، وقدرة تفكيرية تقدم قراءة تحليلية معمقة للحدث التاريخي الذي طبع حياة أمتنا الفتية.

هذا الجزء الأول يدعو إلى الإعجاب أولا بأناقة لغته، وأسلوبه السلس النادر، مع لغة واستشهادات لمفكرين قدماء ومحدثين تثري النص، وتزيد من قيمته، وتوضح أفكار الكاتب. وجمل مصوغة بطريقة تعكس موهبة أدبية رفيعة.

حيث يسمح حديثه عن الطفولة لنا باكتشاف الحياة اليومية للسكان في موقع أسطوري بالنسبة لنا نحن أبناء القرية الآخرين، والنفاذ إلى مجال حميمي لأسرة روحية ذات مكانة كبيرة لم يكن النفاذ إليه متاحا من قبل. ويفترض أن الحياء دفعه

إلى إخفاء جوانب التميز لديه، فلم يتكلم هنا إلا عن الجوانب العادية والمشتركة بين الجميع.

وخارجا عن المساحة الضخمة لخيمة الزعيم (عبد الله)، فإن نمط الحياة اليومي يبقى مطبوعا بالتواضع والاحترام الدائم، وأحيانا بالتقدير للناس البسطاء. وربما كان هذا أحد أسرار العظمة. عظمة موروثة بلا شك ولكن بعد نظر عبد الله أكسبها الديمومة. أليس هو من أنشأ معهد بوتلميت الذي كون قسما كبيرا من نخبة البلد؟ أليس هو أول موجه بإنشاء مدرسة خاصة بالبنات في موريتانيا؟ أليس هو الأول إذا لم يكن الوحيد الذي شارك في تمويل مشروع تزويد مكة المكرمة بالماء؟

كما تمثل الشهادات التي أدلى بها عن الرؤساء الذين حكموا هذا البلد محطات مهمة من هذا الكتاب. طبعا لم يتم قول كل شيء، فالثقافة والطبع يحولان دون ذلك، ولكن ما قيل هنا قيل بكل صدقية وحيادية وموضوعية: تقشف المختار الذي أصبح أسطوريا، تماما مثل ابتعاده من

المادة، وفهمه للدولة ووطنيته الناصعة، وذكاؤه الفطري مكنوا من منح البلد إشعاعا دوليا لا مثيل له، ومكنوا من قيادته بطريقة جعلته اليوم ينال تقدير الجميع. والشهادات التي قدمت حوله ما تزال حتى الآن غير كافية بالنظر إلى ما قام به من إنجازات. ولا شك أن الأمة ستعبر له في المستقبل من خلال تظاهرات أخرى عن اعترافها له بالجميل.

والأحاديث التي تستعيد مداخلات الرئيس معاوية في مجلس الوزراء تعطينا معلومات عما له من حسن بصيرة في الأفكار المقدمة حول الحث على العمل، وضرورة جعل البلد بلدا صناعيا، وأهمية التعليم، والنفاذ إلى الحداثة والعولمة، وحسن سير الإدارة... إلخ. ولو أن كل هذه الأفكار طبقت بحزم لكان البلد قد قطع أشواطا مذهلة، لكن لعل الفرق كان عميقا على ما يبدو بين العزيمة والممارسة الفعلية للسلطة، خاصة في فترة الاضطرابات، كتلك التي حدثت خلال عقدي حكمه:

المآسي العرقية، والولوج إلى النظام الديمقراطي الجديد الذي لم يكن قد تم التحكم فيه بعد.

وبالنسبة للرؤساء الآخرين، لا يمثل الصمت بخصوصهم مدعاة للتعليق، خاصة إذا كان هذا الصمت كما أفترض مقصودا.

ملاحظاتي الأخيرة تتمحور حول بعض الأفكار والتحليلات التي أجد بأنها جديرة بالاستعراض:

الفكرة الأولى تدور حول التطورات المتعلقة بالوظيفة الرئاسية، ولؤمها، والقيود التي تفرض، ولكن أيضا، وهذه مفارقة، جاذبيتها بالنسبة للبعض.

السؤال المطروح هو معرفة لماذا تقيم حصيلة الرؤساء أكثر من زاوية الإنجازات المادية بدلا من الإنجازات غير المادية؟ هذا من وجهة نظري دقيق، فقد كنت دائما أؤمن بأن أفضل ما يمكن أن يقدمه رئيس لشعبه هو جودة مستواه التعليمي. وللمفارقة، بمقارنة التعليم الذي حصلنا عليه في تلك الحقبة بالنظام الذي يتجه أبناؤنا وأحفادنا للدراسة فيه، لا يمكننا إلا أن ندين التدهور العميق الملاحظ في مستوى التعليم، الذي، كنتيجة، يسهم في إصدار تقييم لا يخدم حصيلة الأحكام المتعاقبة.

الملاحظة الثانية تتعلق بمساوئ الحزب الواحد، نقد بارع وتلقائي لواقع يقود إلى "تفكير أحادي غاية في الرداءة"، لا يذيع إلا "ما نحب أن نسمع"، ويشبه "السير الإجباري باتجاه قتل الدولة". "

والكارثة هي أن الجيل الجديد من أحزاب الدولة يعيد إنتاج نفس مساوئ الحزب الواحد، وبطريقة تكاد تكون متطابقة.

وأختم هذه التعليقات بالتحليل الدقيق والبارع لمتلازمة نهاية الحكم أو نهاية المرحلة بصورة أعم، فنهاية الحكم يمكن - وليس على الدوام - أن تتفق مع نهاية مرحلة. ففي فترة نهاية الحكم وحتى أظل متقيدا بسياق الكتاب، "يصبح البلد أكثر

هشاشة، وينضب الإلهام، وتسود الجبرية". "ويصبح الزعيم مجرد متفرج بسيط غير قادر على فعل أي شيء. يصغي ولكنه لا يسمع شيئا، يمارس حكمه على الفراغ والفوضى".

أما نهاية المرحلة فتخضع لميكانيزمات أكثر تعقيدا وأكثر عمقا: "نمط حكم عفا عليه الزمن"، "وأجيال جديدة تحاصر الأجيال القديمة كي تحل محلها"، والمطالبة بنظام جديد ينسجم مع متطلبات انعتاق القوى الجديدة التي تسعى إلى فرض ذاتها، ريثما يظهر مرشحون جدد لحمل المشعل.

اجتمعت هاتان الظاهرتان معا في 1978، والتحليل الذي أعطي لهما في هذا الكتاب هو الأكثر براعة من كل ما أتيح لي أن أقرأه.

مرة أخرى تهانئي،

وفي انتظار الجزء الثاني بتلهف،

مع تحياتي الأخوية والعاطفية.

انواكشوط، الأحد 5 يوليو 2020

موسى افال

ترجمة

الحسين ولد محنض

تعليق ببها ولد أحمد يوره

قرأت تعليق موسى علي كتاب أحمد كلي ولم يكن من ديدني التعليق على ما يكتب أو يقال، أحري إن كان من موسى، ولو أنه في هذه شفى وكفى.

أما وقد تعلق الامر بأحمد كلي فقد رأيت أنه أمر تخرم له العادة ولا مندوحة لي إذا عن قول كلمة ولو قصرت عن الشأو، نظرا لما أكنه لأحمد من محبة متبادلة ومتأصلة الجذور ومودة هي صنع يده.

أما الكلام تخصيصا أو تعميما عن مآثر أسرتنا وأشياخنا وأحبتنا أهل الشيخ سيديا فهو من باب الإغراء في الوسط:

بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول

أما أحمد فهو نسيج وحده:

نفس عصام سودت عصاما وعلمته الكر والإقداما

أحمد كلي أخذ من التقليد محاسنه ومن متاح الحضارة فوائده فجمع ذلك في انسجام ملفت.

رجل غزير المعرفة لين العريكة يألف ويؤلف، شغل المناصب كلها فلم تنله نشوتها وتركها فلم يستهوه بريقها.

أعتقد أن من لم يخالط هذه الشخصية المتعددة الجوانب لن يتاح له فك رموزها.

فمرحبا بهذا الكتاب الثمين الذي وجه الأضواء صوب من يهربها: من لم يعرف أحمد فقد فاتته فرصة عظيمة. قال الشاعر:

من لم ير الخط ممطورا وساكنه فإنه ما رأى الدنيا ولا الناسا

حفظ الله أحمد كلي ورعاه.

ببها ولد أحمد يوره

ترجمة الحسين ولد محنض
لتعليق الأستاذ محمد سالم ولد الدَّيِّن
على كتاب الوزير السابق
أحمد كلي ولد الشيخ سيديا:
"مسار مَّا".

قرأت للتو بكثير من الاهتمام، والمشاعر الطافحة كتاب "مسار مَّا"، الجزء الأول، لعزيزي الغالي أحمد كلي.

لن أتحدث عن القيمة الأدبية لهذا العمل، ولا عن سلاسته، وقرب مأخذ لغته وإتقانه لها، مما سبق أن تعرض له ببراعة موسى افال وأشاطره الرأي فيه تماما. بل سأقتصر هنا، إذ لست كاتبا متميزا، على المشاعر التي أثارها لدي فصل واحد من هذا الكتاب، كما سأتقاسم وإياكم أيضا فكرة أو اثنتين، أو على الأصح شعورا أو شعورين اتجاه المؤلف أثارتهما لدي قراءة هذا الفصل.. وقد أكون واهما بشأنهما لكن هكذا كان شعوري.

هذا الفصل قصير جدا، فهو من ثلاث صفحات فقط، ويحمل عنوان "وفاة عبد الله". بمجرد قراءة العنوان أحيى بداخلي ذكريات ترجع إلى 56 عاما، دارت بخلد فتى يافع بدأ للتو دراسته الإعدادية، وتأثرت بالتأكيد بالمشاعر الجياشة التي اجتاحت وسطي الأسري الذي انهار تماما بسبب الإعلان عن وفاة هذه الشخصية التي تحظى بتقدير كبير.. لقد أدركت فورا أن المؤلف أراد عن وعي أن يجعل هذا الفصل قصيرا جدا حتى يزيد من كثافته، ويجعل من هذا الحدث نقطة ارتكاز العمل احتراما لفكرته التي سيذكر لاحقا: الصمت يفرض نفسه لوصف الحدث.

كما أيقظت قراءة هذا الفصل لدي ذكريات أخرى تتعلق بعودة المؤلف عدة أيام بعد ذلك قادما من فرنسا.. لم أكن قد رأيته قبل ذلك أو لا أذكر أني رأيته قبل ذلك،

لقد لاحظت حينها أن قدومه إلينا وهو ما يزال يلبس بدلته العصرية قد وضع محيطي الأسري، لاسيما والدتي، في وضعية محزنة. أدركت أن هذا الشاب كانت له علاقة بعبد الله، هذه العلاقة التي فسرتها لي والدتي في ساعة متأخرة من تلك الليلة.

هذه الذكريات أقنعتني بعد أن عرفت المؤلف معرفة واسعة لاحقا أنه كان يريد أن يرينا أن هذا الحدث لم يكن فقط نقطة ارتكاز لهذا العمل، بل أيضا نقطة تحول فيما يتعلق به هو شخصيا. لقد كان هناك قبل نوفمبر 1964 أحمد كلي الفتى الشاب الذي لا يشغله شيء، وأصبح هناك بعد نوفمبر 1964 أحمد كلي الفتى الذي وضع التاريخ فجأة على أكتافه الغضة مسؤوليات جسيمة.

محمد سالم ولد الدين

النسخة العربية لتعليق
الدكتور سيد أحمد ولد مكي

الأستاذ سيد أحمد ولد مكي

انواكشوط بتاريخ 25/ 07/ 2020

إلى أحمد كل ولد الشيخ سيدي

لقد قرأت باهتمام وارتياح كتابكم. وفي الحقيقة فإني التهمته دفعة واحدة لأني وجدت فيه كل المتعة والانبهار.

مثلكم تماما، فقد رباني جدي، إبراهيم رحمة الله عليه، وكان يحدثني وأنا ما زلت يافعا بعلاقات الصداقة والاعتراف بالجميل والتعلق الذي لا ينصرم، التي يكنها لوالدكم الشهير، باب، وعائلته. ونحن نفتخر بهذا الإرث الذي يرويه منا الصغير عن الكبير.

كان من حظ جدي أن عرفكم في الشدة. " ففي الشدة يتجلى الأصدقاء الحقيقيون"، (حسب سيسرون Cicéron). لم ينس ذلك أبدا. عندما رجع إلى ءادرار وأثناء حفل تكريم أقيم له بمناسبة إطلاق سراحه، قال له الأعيان الحاضرون: برجوعك إلى ءادرار، نرجو أن تنسى "الگْبْلَ"، فرد عليهم ببيت من الحسانية قائلا أن كل ما يعشق ويحن إليه يوجد بين ريعة بَكَّلْ وبير عين السلامة.

مشهد آخر من والدي، أحمد، رحمة الله عليه، أثر في تأثيرا بليغا. فقد طلب مني زملاء من رابطة الجراحين الفرنسيين أن أنظم لهم رحلة إلى مدينتي، شنقيط. أخبرت والدي بقدومي مع ضيوفي وأصدقاء موريتانيين، طالبا منه أن ينظم لنا استقبالا تحت خيام مبنية على الكثبان وأن يحضر لنا نوقا مطافيل. وضعت وزارة الصحة تحت تصرفي سيارات كان من بين سائقيها ولد امَّيْسَ. ولما وصلنا المكان، تقدمت إلينا جماهير يقودها والدي. نزل ولد امَّيْسَ المنتمي لعائلتكم قبلنا وتوجه مباشرة صوب

أحمد وقدم له نفسه. فما كان منه إلا أن انعطف معه متجاهلا ضيوفي وأصدقائي الموريتانيين، وجلس معه على كثيب ليسأله عن أخبار عائلتكم. شعرت بالحرج فذهبت إليه لأقول له بأن زوارنا ينتظرونه لتحيته قبل دخول الخيام. فلم يستعجل إطلاقا وتابع سؤال ولد اميس: ما حال هذا؟ وما حال تلك؟ وأولادهم؟ ما زلت أتذكر اسم سعيدة التي وردت في كتابكم.

كان الجانب الآخر من " مسار ما"، بل أقول المسار الحقيقي، ذا دلالة ثرية. يحتوي رؤية ومادة للتفكير حول مستقبل بلادنا في زمن هذا الضجيج الاجتماعي. أقولها " والحق يقال"، لقد كان مساركم مثاليا على أكثر من صعيد.

فقد خدمت وطنك مسلحا بقيم تقى وكرم وتسامح أسرتك، برؤية طلائعية. كما أني تأثرت بتواضعك. لقد أدبكم باب رَحِمَهُ اللَّهُ: "فأفضل نتيجة للتربية هي التواضع". (كيلن كيلير)Kellen Keller

والسلام عليكم ورحمة الله، حفظكم الله ورعاكم ومدد شأنكم أنتم وجميع الأسرة الكريمة.

ذكرتكم فما ضاعت مودتكم ... وما رضينا بغير الود عنوانا

يا من زرعتم فينا محبتكم ... فصرتم في قرار العين سكانا

جعل الله جنان الخلد موعدكم ... على الأرائك مقابلين إخوانا

وجعل العشر مباركة لكم ... وبلغكم الأضحى وما بعده أزمانا

سيد أحمد بن أحمد بن إبراهيم بن مكي

تعليق محمد ولد ميشل

صديقي العزيز أحمد كلى

اسمح لي بادئ ذي بدء أن أشكرك على إرسال كتابك الذي اكتملت طباعته للتو،

إنه لشرف عظيم وسعادة كبيرة بالنسبة لي، وأنا ممتن لك كما أنني أهنئك بحرارة.

إنه لكتاب جميل هذا الذي بين يدي، لقد اكتشفته وسمح لي بفهم أشياء كثيرة. حاولت ولو بطريقة موجزة كتابة بضع الكلمات (وهو تمرين لم أتعود عليه)، لكن من الصعب إجراء تحكيم، لذا فإن جميع النص كان جيدا.

أبعث إليك بهذه الكلمات، وتفضل بقبول مشاعر الصداقة والتقدير.

مسار معين

لكاتبه أحمد كلى ولد الشيخ سيدي،

إنه كتاب جميل جدا اكتشفته وسمح لي بفهم أشياء كثيرة.

قراءة هذا الكتاب أخاذة حقا وممتعة جدا بالنسبة لي؛ فعلى الرغم من تواضعه الكبير، انتهى الأمر بأحمد إلى الحديث عن نفسه ونجح في تسجيل الكثير من المعلومات الثمينة للأجيال القادمة ضمن قصته التاريخية التي تحمل عنوان مسار معين، هو بشكل أوضح مسار غير عادي. فهو يحمل ضمن أهدافه شعار: لا مجال من الآن فصاعدا لنسيان أولئك الذين نحبهم والذين غادروا عالمنا هذا، حيث كان لهم الكثير من الحكمة والكرم وقدموا الكثير. هكذا وفى، بوصفه شاهدا ووريثا، بواجبه عن طريق كتابة حياته وحياتهم، بأسلوب واضح يكشف مواهبه الأدبية الحقيقية. فهنيئا له.

كانت الأوصاف جميلة وجذابة، تمثلت في المظاهر الطبيعية والآبار

والحيوانات والرجال والمدارس والحياة اليومية في المخيم، وهدوء الحياة في المناطق المأهولة من الصحاري المترامية الأطراف.

كانت ولادة الكاتب في عين السلامة، في كنف أسرة مرموقة جدا وعريقة جدا في الدين والمعرفة، هي أسرة جده (الشيخ الزعيم الديني)، حيث أنه حفيد الشيخ الذي كان يميل في زمانه إلى نشر المعرفة (مؤسس معهد بتلميت ومدرسة الفتيات الصغيرات)، والذي يتقبل التحول، رغم أنه يستمد كل سلوكه من دينه الإسلامي المقدس. أسرة لها دور تاريخي وإشعاع استثنائي في مناطقنا وفي محيطها. وقد التقى في عين السلامة وفي بتلميت بكبار الزعماء في ذلك الوقت، من محاربين ودينيين من جميع مناطق موريتانيا. وقد استقبلت بتلميت فيما بعد الجنرال ديغول وكانت مركز قوة بالنسبة لرجل دولة عظيم. لذا فليس من المستغرب أن تترعرع في هذه البيئة نخبة عبقرية بما فيها أحمد الذي تولى مناصب وزارية عدة، وكان سفيرا وحاميا ونقيب هيئة المحامين، الخ. فهو إذا فاعل وشاهد طيلة عقود عدة على مسيرة موريتانيا.

إن كتاب أحمد كلي يعطينا المعلومات ويسمح لنا بالفهم؛ مع أنه لكل شخص بطبيعة الحال فهمه الخاص، وذلك من خلال الأمثلة الداعمة الموضحة للأشخاص الذين التقى بهم خلال هذا المسار، حيث يسمح الكتاب (دون إعطاء درس) بسبر بعض الرسائل العميقة التي نستشهد هنا ببعضها، على سبيل المثال لا الحصر:

- ضرورة التمسك بالأخلاق في كل شيء واحترام القيم الإسلامية وحب الأرض والوطن؛
- في مجال الصداقة التي هي كنز ثمين، يجب أن تكون القاعدة هي التقدير والإعجاب الذين يتم الحصول عليهما ببذل جهد مستمر من الصدق والولاء؛
- لم تكن الهوية الموريتانية قط عرقية أو قبلية أو جهوية، فهنا يحافظ الإسلام وثقافته على جعلنا سواسية، الأمر الذي سبق الحزب الواحد بكثير من الزمن؛
- خلال الفترة الماضية، كانت ثروتنا الرئيسية المتمثلة في النزاهة الأخلاقية

واحترام القادة أكثر أهمية من الحديد والنحاس والسمك. فالذين لم يصبحوا أثرياء لم يعتبروا متخلفين عقليا؛

➢ يتم اتهام رؤسائنا بأي شيء وبكل شيء، حيث لا يكون التساهل مطلوبا كما هو الحال في دول أخرى مماثلة؛ إذ يمكن أن يجد رصيد الرؤساء المعنوي للرؤساء المتجسد في إسعاد الناس والإنصاف والعدالة مكانا أفضل ضمن التقدير الذي نكنه لهم، بالموازاة مع التركيز على "الإنجازات العظيمة".

تأثر طالب القانون السابق والنقيب المستقبلي لهيئة المحامين بالرئيس الفرنسي شاري ديغول، ليس فقط من خلال زيارة هذا الأخير التذكارية لبتلميت أو الاجتماع به في باريس، لكن من خلال مساهمته في مراجعة الدستور المنشئ للجمهورية الخامسة.

أوصي بقراءة هذا الكتاب وخاصة بالنسبة للراغبين في معرفة جانب من تاريخ بلادنا بشكل أفضل، عبر نظرة أحد المتطلعين والمسئولين المتضلعين من المعرفة.

محمد ولد ميشل.

تعليق القاضي هارون ولد إديقبي

مسارٌ مَّا.. ذو دلالة

الحديث عن "مسارٍ مَّا" يقتضي التمعن في معالمه بلغته وجغرافيته وتاريخيته ومآثريته وزمانه.

وما من شك أن مسارا بدأ رسمه من بوصلة المجد لن تتيه به ماءٌ من الماءات الكثيرات التي أفسدت مسارات أخرى لم تبدأ منطلقها من أسس حضارية هي عينُ السلامة... وعين السلامة قرية بنواحي بوتلميت تبوأها دارا الشيخ عبد الله.. كزمخشر، إلا أنه ليس كالرَّدَّاد حتى يجتازه أعرابي في مساره نحو خَوارزمَ.

فجميع قُرَى الدنيا سوى القَرْيَةِ التي تَبَوَّأهـــا داراً فِـــداءُ زَمَخْشَـــرا

ولا شك أن مسارا تعقبه بالتوجيه الشيخ عبد الله ولد الشيخ سيديا لن يكون تائها... بل إنه أحد المسارات الفارقة في تاريخنا الوطني. ولنا في هذه الربوع قصة مع التاريخ حكاها بتوجُّع جد الكاتب بل تحكيها فصول مذكراته هذه، مسار مَّا.

لقد كان لي شرف الاطلاع على ما كتب الشيخ المخضرم والمثقف الغطَمْطم والإطار اللامع والانسان الرائع المنزوي في ركن قصِيّ من أعالي ذرى المجد في عين السلامه، زمخشر آمِشْتِيلْ:

وأحْـرِ بـأَنْ تُزْهَـى زَمَخْشَـرُ بـامْرِئٍ إذا عُـدَّ في أُسْـدِ الشَّـرَى زَمَـخَ الشَّـرَا

الاستاذ أحمد كِلِّي ولد اسماعيل ولد محمد ولد الشيخ سيديا عن مسار طويل من مسارات التاريخ..

يعود بنا إلى حقبة التخيل لأحداث لم نشهدها إلا سماعا تدور أحداثها على أرض الرجال.. وتلخص لنا نهاية مسار التأسيس.. الذي ابتدأ بنضالات فكرية... فعلية قام بها الشيخ سيديا الكبير من أجل اقامة كيان مركزي ثم ظلت تثرى مع حفيده الشيخ سيديا باب إلى أن آلت الى الشيخ عبد الله الذي ختم ذلك المسار مع كوكبته

الخالدة بتحقيق حلم أعيى الكثيرين تخطَّفتهم مسارات شتَّى. ذلك الحلم هو إقامة دولة مركزية في هذا المنكب البرزخي.. هي الدولة الوطنية التي كان لأحمد كلي حضور بارز في كتيبة بُناتها الأُول المعروفين "فيلق المختار ولد داداه التاريخي": وزير سفير مستشار محامي نقيب سياسي مثقف ومنظر كبير.

لقد كان حضور راصد هذا المسار الاستاذ أحمد كلي بارزا وفارقًا في صناعة معالم ذلك المسار لينقل لنا مآله بصدق وبعاطفة جياشة وبموضوعية كبيرة تمتزج فيها فكرة الحق بواقع الحقيقة امتزاج أفكار القانوني بالمؤرخ الكبير.. الذي خبِر الحياة واستخلص منها ما ميَّز مساره هذا.

لن أخفيكم انبهاري بمسار هذا العملاق لأنه باختصار كشكول صنع في الأعالي بأيادي فاضلة سيعرفها من غاص في أعماق مساره الاجتماعي.. الذي أرجو أن يكون بارزا في الجزء القادم.

ورغم أني من بين القلائل الذين لم يزوروا عين السلامه إلا مرة واحدة كانت كافية لترْسِيم ما انطبع في ذهنية طفل صغير امتلأت أذناه بذكر الكاتب وجده وعيناه من رؤيته مآثره المتجسدة.. إلا أن مساره الحياتي وجمعه بين علو الكعب في الإطارية والبساطة في الحياة والصرامة دون تطبع في التشبث بنمط حياتي نظيف جعلني مفتونا بمسيرته عن بعدٍ.. قريبٍ اجتمعا كاجتماع القريب والبعيد في مساره الظافر.

ولن أكون مبالغا إن قلت إن الأحداث التي يرسم لنا الكاتب في هذا المسار الحضاري الجامع كانت ستوصلنا في النهاية إلى برِّ الأمان.

الأجمل أن الكاتب يتحدث عن مسارٍ شواهده قائمة وشهوده على قيد الحياة سيجمعون على موضوعية وتواضع تضجُّ بهما المذكرات، أقول المذكِّرات، بمسار مَّا ضيعناه يا أسفا كما ضيعنا كاتبه وأي فتى أضاعوا... الأستاذ أحمد كلي الذي نحتاجه اليوم ونظراءه من قدامى المحاربين في لجنة من الحكماء المحنكين المخضرمين الذين ما كنا لنرى أبعد منهم اليوم إلا لأن أكتافهم تحملنا بصبر...

وذلك من أجل تصحيح المسار.

من أعماقي أشكره على التجاوز الى قنطرة السابقين... فالتاريخ يُسجِّل والسابقون لهم الأجر الأعظم.

انواكشوط بتاريخ ذي دلالة مَّا:

10 يوليو 2020

هارون ولد إديقبي

النسخة العربية
لتعليق بيجل ولد حميد

"مسار ما" هو سرد حياة شخص اكتسب النضج قبل سنه وتقلد المسؤوليات السامية في وقت مبكر. وينطبق على مؤلفه، صديقي وأخي الأستاذ أحمد كلي ولد الشيخ سيديا، القول المأثور لشاعر فرنسي: "إذا تميزت النفس في نشأتها فلا عبرة بعدد السنين".

ويثبت الكاتب موهبة روائية كبيرة وهو يحكي، بلغة متقنة وممتعة، طفولته بين أحضان أجداده. ويصف جميع مشاهد الحياة اليومية، ما بين منابر العلم وتدابير الأمور العامة، وسط بيئة معروفة بإشعاعها الثقافي وارتباطاتها السياسية، مع إعطاء تفاصيل دقيقة عما يدور من أحداث وتحركات. ويجعلنا نكتشف، في الوقت نفسه، من خلال عيون طفل ثاقبة، جوانب متنوعة من الحياة البدوية وأولى نقاط تماسها مع وسائل الحداثة.

وبعد أن أصبح للمؤلف دور في تسيير الشؤون الوطنية، فإن شهاداته تسلط الضوء على تعرجات السلطة وملامح الرجال الذين واكبوا السنوات الأولى من الاستقلال، مدعومة بوثائق تاريخية وشواهد مصورة. ويشار بشكل خاص إلى تحليلاته للمناخ السياسي الذي سبق انقلاب 1978، والفترات اللاحقة التي تولى فيها مناصب رفيعة في سلم الدولة.

إنه مسار رجل ارتبط بالشأن العام في وقت مبكر، كما هو مسار الأطر الأوائل لهذا البلد، بكل تنوعهم.

عسى أن يسلمنا صديقي وأخي الأستاذ أحمد كلي الجزء الثاني من هذا المسار في أسرع وقت ممكن.

بيجل ولد حميد

النسخة العربية لتعليق بلال ولد ورزك

في "مسار ما" لأحمد كلي ولد الشيخ سيديا، الرجل لذي كان في ثمانينات القرن العشرين سفيري في بروكسل (بلجيكا)، لقد سمحت لي تلك الفترة التاريخية باكتشاف طينة مثله من الرجال المميزين الذين يتحلون على الدوام بالاحترام والنزاهة الأخلاقية وغيرها من المزايا التي أفادت بلادنا وحملتها لتتبوأ العديد من المحافل الدولية.

على المستوى الشخصي لطالما كنت متأثرا بمكانة جد الكاتب الراحل عبْدْ الله (عليه رحمات الله تترى). فقد ورث عنه الحفيد كونه قدم إلى دنيانا قبل عصره، وتسامحه بشكل كبير، كما أنه ذو بصيرة ثاقبة في رؤاه التنموية وعلى صعيد العدالة الاجتماعية.

يسمح لنا هذا الكتاب باستحضار مواقف تلك الشخصيات العظيمة التي تحتفظ الذاكرة بمواقفها التاريخية الحاسمة في مسار بلادنا.

الأسلوب المستخدم من لدن الكاتب يبقى فريدا في شكله ومضمونه، فقد تميز بالصيغ التعبيرية الرائعة والأساليب الذكية، وقد يحس القارئ بكونها ممتعة ومسلية قي الآن ذاته، ولا يخفى أن الكاتب يجمع بين دفتي كتابه الإتقان الكامل للموضوع والمعرفة العميقة بأطوار وهموم الوطن قبل كل شيء، كما هو إدراك جلي وواضح للرؤى المرابطة بأب الأمة الموريتاتبة الراحل المختار ولد داده، رحمة الله عليه.

إن مصطلحات لاذعة مثل "المراعي الإدارية" وكذلك جمل من قبيل "أولئك الذين ساندوك البارحة هم من يتظاهرون اليوم" تذكرني بالصراحة المقترنة بروح الدعابة، كما كانت لصيقة بشخصية سفيري الأسبق.

أحيي بقوة المواصلة في مسار ما.

السفير بلال ولد ورزك

نواكشوط 24/ 07/ 2020

تعليق الدكتور
الشيخ المصطف ولد أربيه

﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ [الأعراف: 58]

تعليقا على "مسار ما"

تأخرت في التعليق على الجزء الأول من مذكرات الشيخ والوالد، الوزير أحمد كلي ولد الشيخ سيديا رغم أني من أوائل من أتيحت لهم فرصة قراءة الكتاب بل وقرأته مرات عديدة، وكلما أردت الكتابة عنه اجتاحتني رغبة عارمة في إعادة قراءته.

كانت لغة الكتاب جميلة جذابة وعتيقة وعفوية، سهلة الفهم، تعبق أصالة ونبلا ووفاء للوطن وساكنيه.

الجزء الأوحد الذي لم أستطع أعادة قراءته هو ذلك الذي عنونه بوفاة عبد الله أو "رحمة عبد الله" كما يسميها أهل هذه البلاد. أظن أن الكاتب تعمد عدم إطالة هذا الجزء لأنه لو كتب فيه آلاف المجلدات لما كفاه ولأن المصيبة لم تكن مصيبة شخصه أو حتى عائلته، بل أصابت الجميع.

لقد شكل حي عبد الله (افريك عين السلامة) لوحة رائعة تتعايش فيها جميع ألوان المجتمع وجهاته ومشاربه في جو يطبعه الود والتضامن والوفاء والإيثار.

عرفت أسرة أهل الشيخ سيدي بمجموعة من الخصال النادر اجتماعها وهي العلم والورع والكرم والزعامة ودماثة الخلق، إضافة إلى قدرة خارقة على غوث الملهوف وإغناء المحتاج وتأمين الخائف وإصلاح ذات البين. جمع الشيخ عبد الله كل هذه المحامد وزاد عليها.

في بداية طفولتي كنت كثيرا ما أتطفل على مجلس جدي إسحاق ولد امرابط مكه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكان دائما يحدث جلساءه عن مناقب عبد الله ويسأل عن أخبار حفيده المدلل. كان يقول أن الفتى أحمد كلي كان لا يفارق عبد الله حتى في اجتماعاته

الرسمية. لقد كان يصفه بأنه أعز فتى في العشيرة.

كنت أرمقه عن بعد أيام طفولتي في بتلميت حين كان يحضر لبعض المناسبات الاجتماعية (مناسبات العزاء خاصة). ومما شدني إليه تواضعه وتحضره، فقد كان كثير الإنصات لمن حوله، قليل الكلام. كان يفتح عند كل رأس ساعة مذياعه المحمول ليسمع عناوين الأخبار.

توطدت علاقتي الشخصية بالشيخ أحمد كلي أيام عملي بمستشفى حَمَدْ ببتلمليت، حيث كانت سيارته تأتي مرات للمستشفى حاملة مرضى قادمين من عين السلام ومن امشتيل وآوكار، يتكفل بعلاجهم ويتحمل مؤنهم في طريق العودة. كان يتصل بي بين الحين والآخر ليطمئن على حالتهم الصحية ويسألني عن إمكانية علاجهم في بتلميت أو ضرورة رفعهم إلى انواكشوط. كما كلفني مرة بدعوة جميع طاقم المستشفى إلى حفل عشاء أقامه على شرفهم في عين السلامة تثمينا للدور الذي يلعبونه في خدمة سكان المدينة ومنطقتها.

في بداية التسعينات زارنا أحد أصدقاء جدي: محمد ولد أحمدو ولد أعمر رَحِمَهُمَاٱللَّهُ، يحمل هدية من أحمد كلي تتمثل في بندقية (مدفع) جديدة من نوع FALL مع صندوق من الذخيرة. استقبل جدي هذه الهدية بكثير من الغبطة والامتنان والفخر وأخذ يقلب المدفع ويقول: ألم أقل لكم أنه ابن عبد الله وتربيته؟ هذه الصورة الجميلة بقيت في مخيلتي وأتذكرها بكل سرور كلما التقيت الشيخ أحمد كلي أو ظهر لي رقم هاتفه أو لمحت سيارة قادمة أو متوجهة إلى عين السلامة.

حفظ الله والدنا الشيخ أحمد كلي ومد في عمره حتى يتحفنا ببقية الأجزاء التي ننتظرها بكثير من الشوق.

رحم الله السلف وبارك في الخلف.

الشيخ المصطف ولد أربيه

تعليق الدكتور
دحان سيدي عالي عبد الدايم

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الأستاذ الفاضل أحمد كلي،

كان لي الشرف اللامتناهي بقراءة كتابكم الثمين " مسار مّا (Un certain parcours) " في جزئه الأول الذي جعلني أشتاق برغبة جامحة لقراءة جزئه الثاني.

ولا أخفيكم إعجابي اللامحدود بهذا المؤلف الراقي رقي مؤلفه، والذي لست أدري، أيصنف في أدب السير الذاتية أو السير الأخلاقية، أم هو أدب وصفي يقدم تاريخ البلد في صورة اجتماعية رائدة ومتجددة، تذوب فيها الذات الفردية وتطغي فيها الذات الجمعية؟ ولعله كل ذلك، بقدرة الكاتب وتوظيفه لمخزونه العلمي والاجتماعي في شكل تناغمت فيه الأصالة والمعاصرة في انسجام قل أن نجد له مثيلا... كل ذلك ممكن ومتوقع من شخصية الأستاذ احمد كلي، سواء في بنائه الاجتماعي أو المعرفي، أو تكوينه المهني... فأسرة أهل الشيخ سيديا خلعت عليه ثوب الحياء والوقار وإيثار الآخر والاهتمام بشؤونه قبل شؤونه الخاصة، بفضل الحضور العلمي والاجتماعي والسياسي لهذه الأسرة المجيدة التي يمكن أن يقال دون مزايدة أنها متقدمة علي عصرها بعقود، فكرا ووعيا واستشرافا للمستقبل وقدرة علي تكييف الواقع واستنباط الحلول الملائمة..... وإن كان محتوي الكتاب مفيدا وآسرا، فإن للعنوان من الإفادة والأسر لفت الانتباه ما لمحتوي الكتاب نفسه....و

فضلًا عن هذا كله، يبقي الكتاب حقًّا موسوعة زاخرة بالمعلومات التاريخية الهامة والحياة الاجتماعية الوطنية في صورة صادقة وأمينة، سواء تعلق الأمر بالأسرة بوصفها منارة علم ودوحة شرف حباها الله بمصفوفة من الأخلاق الحميدة

المتكاملة، علما وأدبًا وكرما وجاها، لعبت دورها الريادي بكل جدارة واقتدار، سواء في تدريس العلم بجميع صنوفه أو في القيادة السياسية والزعامة الروحية، وذلك في تناغم متناسق قل أن يجد نظيرا في المنطقة، كل ذلك بفضل حنكة وحكمة خلف عن سلف. فلا غرو أن يكون الكاتب أحمد كلي شخصية عبقة بهذه الخصال كلها، " إذ هذا الشبل من ذاك الأسد "، ولا غرو أن يقدم عصارة فكر ثاقب ورؤية عميقة لمجتمع سايره ولدولة عاصر نشأتها ولم يكن فيها مجرد راصد للأحداث، بل مشاركا وفاعلاً مؤثراً ومتأثراً.....

"هذا خالي، فليرني امرؤ خاله... "

دحان سيدي عالي عبد الدايم

قراءة مَّا لمسار مَّا لأحمد كلي ولد الشيخ سيديا

الجزء الأول

محمد السالك ولد ديده

فور قراءة الصفحات الأولى من كتاب "مسار مَّا" الذي اتسم عنوانه بإجمال فرضه تواضع وحياء المؤلف، يتضح أننا أمام عمل جبار يصف مسارا استثنائيا لرجل ذي مؤهلات سابقة لأوانها، وأسرة بعيدة الصيت.. فسحر الكلمات، وروعة الأسلوب، ووضوح الرؤية التي هي بمثابة استعراض حقيقي للقوة الأدبية للكاتب كلها أمور خانت تواضع الرجل المنحدر من وسط يعتبر تجنب الظهور فضيلة كبرى، وقيمة متجذرة في طباع جميع أهل تلك القرية.

شعور بالذنب يجتاحنا نحن الذين لا ننتمي إلى تلك القرية لدى اطلاعنا على الأحداث الكبيرة التي طبعت حياتها، أحداث تم استعراضها بكثير من الحصافة والمنهجية والدقة، في حين أن الصورة النمطية التي كانت لدينا عن هذا المكان تصوره على أنه قطعة من الأرض ضائعة في الصحراء القاحلة التي تغطي على جميع أنواع الطموح والمحاولات الإيجابية لصنع مستقبل أفضل. هذه الصورة التي حجبت عنا عظمة وأبعاد عمل رجال عظماء. كيف يمكن لبعضنا أن يجهل ولسنوات طويلة أن جزءا كبيرا من تاريخنا كان له موعد مع القدر في هذه الربوع، وأن صفحة عن "موريتانيا على درب التحديات" قد سطرت بماء الذهب بين هذه الكثبان التي تغير رمالها المتحركة ملامحها في كل لحظة.

قراءة هذا الكتاب تسمح أيضا ببعث الأمل في أنه في هذه الفترة الحالية التي طبعتها الخيبات منذ عقود بسبب التفكك الذي لا مثيل له لمؤسسات الدولة، ما يزال في الإمكان أن تحدث نهضة جديدة عن طريق السير على آثار هؤلاء الرجال الذين

يمثلون القدوة الأولى لنا، وقد استطاعوا تأسيس دولة في هذه الصحراء بفضل طموحهم ومثابرتهم...

من هؤلاء الرجال يذكر المؤلف في البداية الرجل المثالي الراحل الشيخ ولد محنض معلم القرية الأول والإطار السامي في الدولة الناشئة مستقبلا، والد صديقي المؤرخ الكبير والأديب البارع الحسين ولد محنض، فباستعراض المؤلف لذكرياته عن هذا الرجل الذي هو أحد بناة هذه الأمة تحس لديه حنينا وتحسرا على أن شخصيات من طراز هذا الرجل الذين كان له ولنظرائه الفضل في تنشئة جيله الذي أصبح أحد أفضل نخب المنطقة لم يعودوا معنا الآن للأسف. ولا شك أن دافعه في ذلك وفاؤه لذكراهم، ولكن يمكن أن يكون أيضا تعلقه الدائم بالمصلحة الوطنية، عسى أن يعاد لهؤلاء الجنود الشجعان المجهولين الذين أخرجوا للوجود وطنا من العدم الاعتبار، حتى يتسنى لهم أن يضطلعوا من جديد بمهمة إنقاذ نظامنا التعليمي الذي يعاني اليوم في غيابهم من المرض والانهيار.

وكما يقال غالبا بأن "الولد يشبه أباه" فإن المرجع الديني الإمام محنض والد الشيخ تم تقديمه في هذا الكتاب هو الآخر كعالم ورع واسع العلم، وكصاحب سر الزعيم الروحي الكبير الشيخ سيديا بابا، ثم ابنه الكارزمي الشيخ عبد الله، وكمرجعية شرعية لكل القرية، كأنما ليذكرنا المؤلف بأن القيم الأخلاقية والدينية تدخل في صميم اهتماماته وأسس تربيته.

وفي مرحلة مَّا من مراحل الكتاب أيضا نلاحظ ذلك التناغم الحاصل بين مسارين يتقاطعان.. "مسار مَّا" أراد الكاتب أن يتحدث عنه: مسار رجل قطع في وقت قياسي كل مراحل التميز، فتماهى بحكم قوة الأشياء مع مسار الجد الشيخ عبد الله بن الشيخ سيديا بابه، وهو رجل لا نظير له، جمع إلى ميراث جده الشيخ سيديا صيتا طبق كل منطقة غرب إفريقيا ومعظم بقية العالم الإسلامي.

وفي المحصلة فإن ثراء تعابير الكتاب، والإتقان غير العادي للغة الفرنسية،

وصراحته المؤطرة بتواضع البيئة المتصوفة، وتعدد الأحداث المذكورة فيه تدفع إلى قراءة هذا الجزء الأول بشغف.

فمع انتهائه يحس القارئ بتلهف شديد ورغبة جامحة لمواصلة قراءة باقي المسار من خلال ("مسار مَّا، الجزء الثاني") الذي نرجو أن يصدر قريبا.

ترجمة

الحسين بن محنض

المومنة في مسار أحمد كلي

حافظة صغيرة للكحل من زمن ما قبل الدولة تملكها جدتي الكبرى المومنة منت سيدي ولد ألمين، حافظة أنيقة ومرتبة مرت عليها كل تلك السنين ولا تزال على أفضل حال، وأغراض أخرى، كانت كافية لترجعني إلى الوراء سنوات، وأتأمل في تلك الحقبة وأستدعي الأسئلة عن تلك السيدة وكيف كان أهل دهرها يعيشون؟ والخلاصة أنها كانت في ما يبدو سيدة استثنائية، صنعت لنفسها مكانا مهما في أرض لم تولد فيها ولم تعش فيها، بل أتتها كزوجة لأحد رجال المنطقة، هو جدي أحمد ولد الشيخ ولد جدو.

لم أملك تفاصيل كثيرة عنها، وخاصة من الأهل، فهم قرروا منذ زمن طويل تبني فلسفة في الحياة، تجعلهم يرون أن الحكايات ملك لأصحابها وتعنيهم فقط، ولا يخوضون في غير الحاضر ولا تهمهم كثيرا قصص الأولين، وحتى الكتابة عن شأنهم غير مستحبة عندهم، فلا يحبون الحديث عن ذواتهم ويفضلون أن يمر الإنسان في هذا العالم دون صخب.. يقوم بما عليه وليس من الضروري أن يحدث صخبا، بل من المحبب أن لا يكون لافتا للانتباه.

وأنا أشاطرهم الرأي بعض الشيء، فحياة الناس ملك لهم ومن لم يكتب عن نفسه قد يكون من التجني أن يكتب عنه، هذا مع ظني في نفس الوقت أن حجب القصص والأحداث التاريخية، قد يكون أنانية، فالتجارب البشرية مفيدة للإنسان وتشاركها قد تكون فيه مصلحة، وكثير من القصص تمثل مناجم زاخرة بكنوز الحكمة. والحجب غير ممكن أصلا.. وأعتقد أنك إن لم تكتب كتب عنك.

وحدث واقترفت فعلة الكتابة، لكنه اقتراف جميل، ولم يكتب عن الأسرة من طرف "الغريب" بل يبدو أن الأهل قرروا الكتابة، فحوت مذكرات المحامي والسياسي أحمد كلي ولد الشيخ سيدي، بعضا من قصص الأسرة، كتبت بحب ومن

منظور ذاتي، فهو في النهاية يكتب عن أهله.

تحدث عن المومنة.. وعن زيارته لها مع جدته التي لا تكثر الحركة ولا تزور غالبا إلا أسرتنا، وعن غبطته وسروره بتلك الزيارات التي يصنع فيها الشاي ويحصل هو على قطع السكر، وعن كونها أما للكل، خاصة أبناء باب ولد الشيخ سيدي، فهي أرضعت جلهم، وعن هيأتها وحضورها أصلا لبوتلميت وسياقه وقصصه وزخم ذلك القدوم والمقام الطيب، وتأثيرها في حياة مجتمعها الجديد.

ذكرها أحمد كلي هي والأسرة بالكثير من المحبة والإعجاب، وتحدث عن علاقة المودة والمحبة التي ربطت أسرتينا، العلاقة الفريدة التي جعلت عبد الله ولد الشيخ يتساءل قائلا أنه يستغرب أنه رغم كل هذه المحبة التي بيننا لا توجد أي علاقة دم، وهي ملاحظة سجلها أحمد كلي.

وفي سياق تتبعه لتاريخ مدينة بوتلميت، أتي بقصص عن الشيخ ولد جدو، ودوره في إدارة شؤون الناس وعن وضعية الأسرة في النسيج المجتمعي للمدينة وحب جده عبد الله لهم.

كان يتحدث بود وكثير من التقدير، وسرد قصصا أخرى تؤرخ لحياة الناس في ذلك الزمن.. طبعت بعضها الطرافة.

سار بنا أحمد كلي عبر آلة الزمن في رحلة شيقة وماتعة وعاد بنا إلى طفولته وسرد قصصا عنها، وتحدث عن نظرته لواقعه وعن جده وملهمه، وأناس عايشهم وأحبهم، ورماني في بحر ذكرياته، لتكون تلك إشارة جديدة كالحافظة، لأتعرف على تلك العوالم.. خاصة العائلي منها، فأنا لم أكترث يوما لتفاصيلهم ولا لحكاياتهم.. وسبق وسألني أستاذ جليل عن أحد شخصيات الأسرة والروابط الجينيالوجية بيني وبينه فاستعنت بصديق من خارج الأسرة الضيقة ليمدني ببعض المعلومات عن العائلة، فوقتها لا أعرف إلا من أدركته حيا منهم.

أحمد ولد جدو

"مسار ما"

- بعد انتهائي من الجزء الأول من مذكرات الشيخ والأستاذ الوزير أحمد كلي ولد الشيخ سيديا

وجدت نفسي بحاجة إلى إعادة قراءته مرات عديدة دون ملل، وذالك لما يحويه من جمل جذابة ولغة عتيقة وعفوية سهلة الفهم، تعبق أصالة ونبلا ووفاء للوطن وساكنيه.

وفي الحقيقة التهمت هذا الجزء دفعة واحدة لما فيه من الانبهار والمتعة.

- فعلى المستوى الشخصي لطالما كنت متأثرا بمكانة الكاتب وتميزه وماضيه التاريخي وحاضره العتيق وأسلوبه الراقي وشخصيته الحضرية المرموقة، يسمح لي هذا الكتاب باستحضار مواقف تلك الشخصيات العظيمة التي تحتفظ الذاكرة بمواقفها التاريخية الحاسمة في "مسار ما" والتي كنت أسمع عنها.

كما أن الأسلوب الذي استخدمه الكاتب يبقى فريدا في شكله ومضمونه فقد تميز بالصيغ التعبيرية الرائعة والأساليب الذكية المنقحة والأكثر سلاسة ودقة فهو يصف كيف تربى في عز ووافر كرم وسخاء بين أجداده.

كتاب "مسار ما" هو سرد حياة شخص اكتسب النضج قبل سنه وتقلد المسؤوليات السامية في وقت مبكر، الرجل الذي كان في ثمانينات القرن العشرين سفيرا في بروكسل (بلجيكا).

وفي الحقيقة لو ظللت ليوم كامل أستحضر ماضي الشيخ والأستاذ والوزير الشيخ أحمد كلي ولد الشيخ سيديا وحاضره فلا أحسب أني سأنتهي لا اليوم ولا في الغد من حصر هذه الموسوعة الغنية التي سقيت بعبق المكرمات والشموخ والرقي والأخلاق والمعرفة والحنكة واللطافة والرزانة والأمانة والألمعية والفصاحة والحصافة. هذا بغض النظر عن الجانبين الاجتماعي والسياسي. وطبعا أنا لست أهلا لذلك،

"أحيي بقوة المواصلة في "مسار ما"
وأترقب لا بل أتلهف بفارغ الصبر للجزء الثاني،
حفظ الله الشيخ أحمد كلي ولد الشيخ سيديا
ومدد شأنه وجميع المسلمين،

يوسف باب الشيخ سيديا

28/7/2020

***

أخي أحمد كلي،

قرأت كتابك الجميل والرائع باهتمام كبير.

لم أكن أعرف أن قريتنا عين السلامة كانت موطنا لمثل هذا الكاتب الموهوب.

على أي حال أهنئك حقا على كتابة هذه التحفة الرائعة.

أعترف بأنني تأثرت كثيرا بقراءة المقاطع المتعلقة بجدينا الكريمين عبد الله والشانه اللذين ندين لهما بكل شيء، رحمهما الله رحمة واسعة.

أخيرًا، أحسنت، أحسنت، _لله درك، وفقك الله تعالى.

أتمنى لك عمرا مديدا لتستمر في كتابة كتب جميلة أخرى.

محمد ول أهلو

***

عادة عندما أبدأ قراءة كتاب لا أتركه حتى أنهيه. لكن وبشكل استثنائي، عمل أخي الكبير أحمد كلي "مسار ما" كان مثيرا للإعجاب لدرجة أنني لم أرد إنهاءه سريعا.

في الواقع، لقد قرأته بجرعات صغيرة لأجل أن أتذوق كل تفصيله. العمل كان وبكل بساطة ساميا". "

حضرة الكاتب ذكر في مكان ما في الكتاب وصية أوصاه بها الراحل العلم "المختار ولد داداه": (لا تكتب أبدا إلا ما يمكنك أن تريه للجميع). وأستحضر هذه

النصيحة لأسلط الضوء على حقيقة أن صاحب العمل الفني لم يُر الجميع فحسب، بل قام أيضا بتمجيدنا أكثر.

في الحقيقة، توقعت عملا سرديا متعلقا بطفولة مدللة في عائلة كبيرة ميسورة ترعرع فيها الكاتب محتلا مرتبة الخيار الأول.

لقد كنت راضية جدا عن المعلومات التي وجدت ومسرورة أيضًا بعمق الأفكار المعالجة وملاءمة التحليلات لمختلف الأوضاع الاجتماعية والسياسية وغيرها...

تكشف لنا المهارة والبراعة اللتين تمت بهما معالجة المواضيع المثارة عن موهبة سياسي قل نظيره.

على صعيد آخر، تعرض لنا الانتقالات والمرور من محتوى إلى آخر وتناسق النص على طول العمل عن قدرات كاتب ذي معايير رفيعة.

المراجع الأدبية والتاريخية مصدر إلهام كبير، وافقت الممرات المختلفة للعمل ورفعته إلى مستوى عال.

وأنا أتصفح الجزء الوحيد الذي نشر حتى ألان، أدرك أن تعطش القارئ لمعرفة جميع العلوم الإنسانية والاجتماعية قد روي بغزارة.

. بكل بساطة، أنا أرحب به

ميمون بنت إسحاق

***

بادئ ذي بدء أتوجه بجزيل الشكر للأستاذ أحمد كلي ومن خلاله إلي الأسرة الكريمة على تشريفهم لي بإهدائي نسخة من كتاب "مسارا ما"، فلهم مني كل التقدير والاحترام.

بعد قراءة هذا الكتاب ارتسمت في ذهني كقارئ شغوف صورة الشجرة التي تخفي الغابة. خلف عنوان بسيط يبقى القارئ المهتم مفتونا لساعات حيث يكتشف العديد من صفحات هذه الرحلة الفريدة والأصيلة.

إن أصالة هذا النص تكمن في سهولة قراءته وإلمامه بما هو طبيعي.

أفضل أن أقول بأن بنيته العملية تجنبنا عذاب التجريد البعيد، كما أن العناوين المختارة لا ينقطع بعضها عن بعض. في فصل "الولادة "يستحضر الرؤية التاريخية تحت زاوية الماء، والمسؤوليات الوزارية في علم المياه، مصر والنيل، الخ.

في الفصل "مع عبد الله "يتحدث عن كل شيء.

إنه المقطع الأفقي للكتاب: شخص عبد الله، أصدقاؤه، الأمراء، الثقافة، السياسة، فرنسا، العالم.

في فصل "عائلة"الشانه" لدينا رحلات إلى الولايات المتحدة واليابان وغيرها.

إن الدعائم والصور والوثائق الأصلية المقدمة في حوالي 50 صفحة من الكتاب هي رحلة أخرى لا تقل أهمية من حيث المضمون. وعبر هذا الإعلان: "قررت دخول مغامرة كتابة هذا الكتاب من أجل جدي عبد الله والشانه".

لقد أنجز المحامي الوزير واجبا، ألا وهو مشاركتنا نحن والأجيال القادمة لهذه الذاكرة الغنية من خلال طفولته الممتعة وتكوينه القوي وسيرته المهنية الرائعة وتجربته العظيمة. كل ذالك صاغه الكتاب بعبارات سلسة. ولعل هذه الطريقة في الكتابة هي التي تولد المتعة لدى قارئ هذا الكتاب الفريد من نوعه. إن تميز هذا الكتاب يتجلى في أصالته وطريقة سرده لما لم يتم نسيانه.

إضافة إلى ذلك يبدو أن أهم ميزة في نص الكتاب هي أنه لا يزعج أحدا. وقد أفادتني قراءته في تكوين صورة كاملة عن التاريخ الحديث للبلدة، للولاية، بل لموريتانيا الناشئة (الوليدة). ولقد نبه الأستاذ أحمد، وأنا أشاطره الرأي، إلي ضرورة عناية مؤرخينا بالبحث في هذا الجانب من ماضينا. أعتقد آن "مسارا ما " يمكن أن يكون مصدر إلهام لإنارة قضايا معينة لأجيالنا القادمة.

بعد هذا المدخل، نتنظر الأمور الأساسية، وهي الجزء الثاني.

عبد الله ولد الدوّه ولد الدياه

فهرست المحتويات

توضيحات..... 5
المولد..... 8
المدرسة القرآنية..... 14
مدرسة الحي..... 17
مع عبد الله..... 28
نماذج من المراسلات المتبادلة بين الفرنسيين وعبد الله..... 49
قصاصات صغيرة يزود بها عبدُ الجليل ولد عبد الرحمن عبد الله يوميا..... 53
نماذج من محاضر استماع للإذاعة، معدة لعبد الله..... 54
قطعة من آخر ما قاله وضمَّنه العلامة محمد سالم ولد عدود من الدعاء لأسرتنا.. 56
الحياة في الحي..... 57
أبيات وشجرة نسب..... 72
عن الأصدقاء..... 74
عائلة الشانه..... 88
المنطقة التي عشت فيها..... 93
أخي الأكبر حمدِ..... 97
وفاة عبد الله..... 103
تعليق..... 105
الرؤساء..... 112

رئيسان: ديغول والمختار..... 116
المختار..... 120
ذكريات سفير..... 147
مع بعض الرؤساء..... 151
أقوال رئيس..... 155
ملحق: يتضمن نماذج مما علق به بعض المثقفين على هذا الكتاب 173
تعليق الدكتور محمد المختار ولد أباه..... 175
تعليق محمذن ولد باباه..... 177
تعليق الوزير والمحامي محمد ولد امين..... 179
تعليق موسى افال 182
تعليق ببها ولد أحمد يوره..... 186
ترجمة الحسين ولد محنض لتعليق الأستاذ محمد سالم ولد الدَّيِّن على كتاب الوزير السابق أحمد كلي ولد الشيخ سيديا: "مسار مَّا"..... 187
النسخة العربية لتعليق الدكتور سيد أحمد ولد مكي 189
تعليق محمد ولد ميشل..... 191
تعليق القاضي هارون ولد إديقبي..... 194
النسخة العربية لتعليق بيجل ولد هميد..... 197
النسخة العربية لتعليق بلال ولد ورزك..... 198
تعليق الدكتور الشيخ المصطف ولد أربيه..... 199
تعليق الدكتور دحان سيدي عالي عبد الدايم 201
قراءة مَّا لمسار مَّا لأحمد كلي ولد الشيخ سيديا..... 203

المومنة في مسار أحمد كلي..... 206
"مسار ما"..... 208
فهرست المحتويات 213

الكاتب في سطور

أحمد كلي ولد الشيخ سيديه، من مواليد منطقة بوتلميت. شغل حقائب وزارية عدّة، كما كان أول أمينٍ عامٍّ للرئاسة وأول رئيسٍ لسلك المحامين، وخدم سفيرًا ومستشارًا برئاسة الجمهورية.

* * *

مع مرور الزمن دون رؤية الأعزاء، يمكن بسهولة أن ننسي المكانة التي كانوا يتبوءونها. لا أتذكر كل شيء عن أهلي، ما عدا سعادتنا العارمة وصورة الكتب المتراكمة التي تظل دائما محط الأنظار وفي متناول اليد. يُلجأ لها أحيانًا لحل معضلة دينية أو قراءة مقطع ذي دلالة خاصة أو قصيدة، يُفضل، بدافع الحياء، أن تكون لغير القارئ.

يدفع الإلهام والمعرفة الجميع إلى الأعلى، رغم كل العوامل المقاوِمة.

* * *

ISBN 978-977-2-80-805-2
9 789772 808052

دار المستقبل
للنشر والتوزيع
القاهرة - مصر